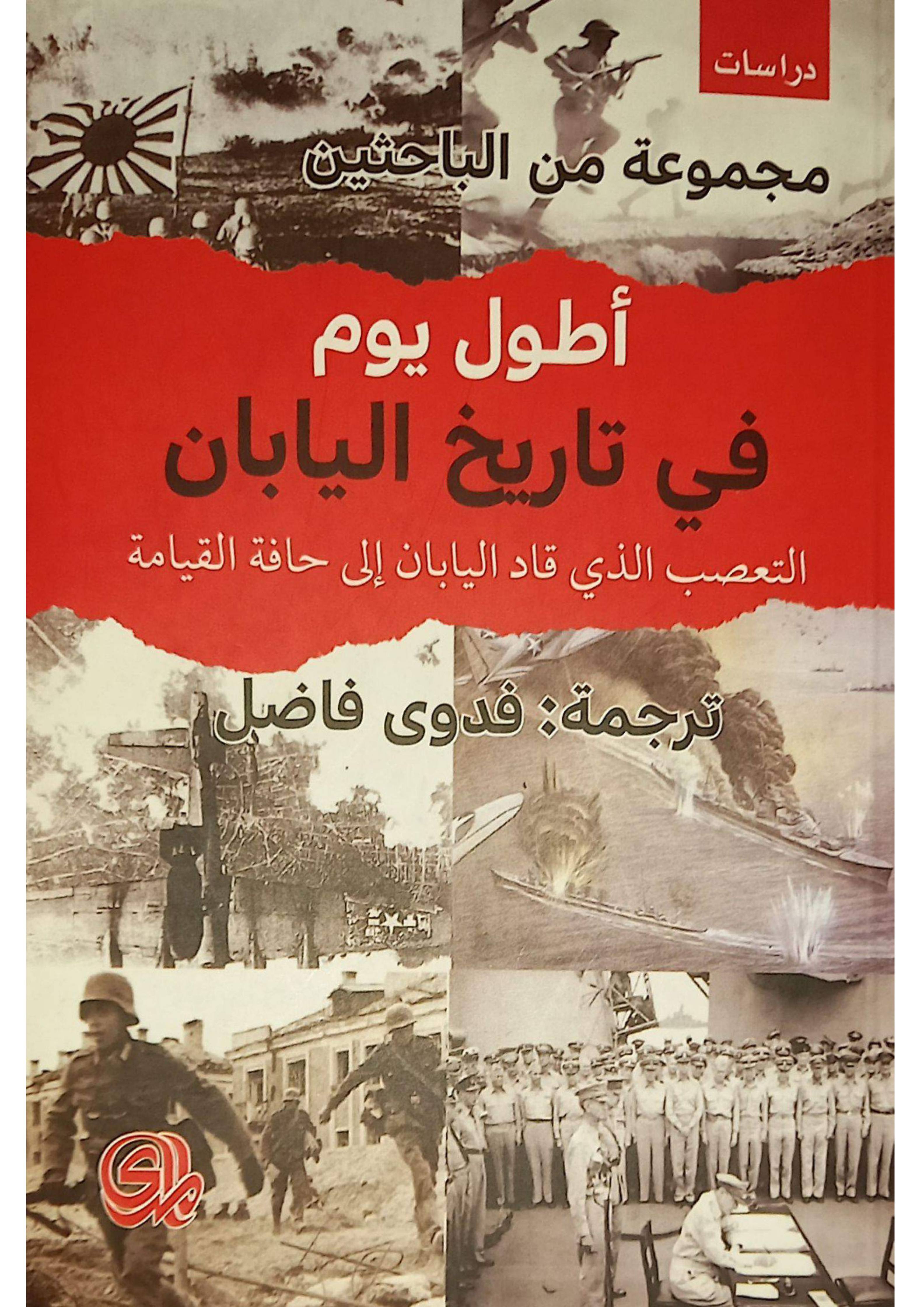


دراسات
مجموعة من الباحثين
أطول يوم
في تاريخ اليابان
التعصب الذي قاد اليابان إلى حافة القيامة
ترجمة: فدوى فاضل

مجموعة من الباحثين

أطول يوم في تاريخ اليابان

التعصب الذي قاد اليابان إلى حافة القيامة

ترجمة : فدوى فاضل





اسم المؤلف: مجموعة من الباحثين
Author: A group of researchers

عنوان الكتاب: أطول يوم في تاريخ اليابان
Title: Japan's longest day

ترجمة: فدوى فاضل
Translated by: Fadwa Fadel

تصميم الغلاف: ماجد الماجدي
Cover Designed by: Majed Al-Majedy

الناشر: دار المدى
P.C.: Al-Mada

الطبعة الأولى: 2019
First Edition: 2019



للإعلام والثقافة والفنون

Al-mada for media, culture and arts

بغداد: حي أبو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+964 (0) 770 2799 999
+964 (0) 770 8080 800
+964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الأول
dar@almada-group.com
+961 706 15017
+961 175 2616
+961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+963 11 232 2276
+963 11 232 2275
+963 11 232 2289

مقدمة

• بقلم كازوتوشي هاندو

في الساعة الثانية عشرة ظهراً، الخامس من آب 1945، حدث أمران تاريخيان في نفس الوقت في اليابان: الشعب الياباني سمع صوت امبراطوره لأول مرة، ليخبرهم في الراديو أن بلدهم خسرت حربها الأولى. هذا الكتاب هو سجل تفصيلي للاربع والعشرين ساعة التي سبقت ذلك البث، منذ الاجتماع الامبراطوري حيث أُتخذ قرار الاستسلام إلى خطاب الأمبراطور نفسه.

كان ذلك أطول يوم يعيشه شعب اليابان في تاريخه.

بالنسبة لنا، نحن أعضاء معهد دراسات حرب الباسيفيك، كانت فكرة تجميع وكتابة هذا السجل مهمة للغاية، إذ بدا كما لو أننا نعيش من جديد قسوة تلك الاحداث التي عاناها بلدنا. الخامس عشر من آب سنة 1945، كان ذروة السنوات المائة الأخيرة في تاريخ اليابان، منذ «إحياء ميجي». كل مستقبل الشعب الياباني، واليابان نفسها، يتوقفان على ذلك اليوم.

إنني الأكبر سناً بين أعضاء معهد دراسات حرب الباسيفيك، فقد كنت في الصف الثالث الاعدادي يوم تحدث الأمبراطور من الراديو. حينها كنت أعمل في مصنع للعتاد الحربي ينتج خرطوشة للرشاش 20 ملم، وتلك كانت مساهمتي في الحرب. وفي أحد الايام قصفت طائرات بي

29 المصنع وقتل العديد من زملائي في العمل. يومها كانت جبهة القتال قد انتقلت إلى الداخل، مع ذلك كنت لا أزال آمل بانتصار اليابان، لذلك كان شعوري في منتصف ذلك اليوم خليطاً من المرارة والغضب، مع احساس بعبثية الأمل، إذ أُخبرنا أننا مع احتلال اليابان سوف نُجبر على عيش حياة العبيد.

في ذلك اليوم دخنتُ أول سيجارة، الأمر الذي كان ممنوعاً في المدارس، مع الاصرار على القيام بأي شيء آخر، فقد كنت ما أزال شاباً، وبدا أن القليل من الوقت قد تُرك لي لأعيشه، ولم تكن هناك متعة في أي شيء أفعله. بالنسبة لنا، نحن الذين عانينا الحرب، سواء على الجبهة أو في الداخل، كنا بشكل أو بآخر عرضة لرعب الحرب. كانت الحرب مثل قدر لا يمكن تجنبه. كان علينا تحمّل قسوة المشاهد اليومية لوحشية الإنسان ضد الإنسان.

على الرغم من أن الخامس عشر من آب وضع نهاية لبعض تلك الوحشية، فالحقيقة أن الهزيمة، بالنسبة للشعب الياباني، كانت تجربة كارثية من الصعب جداً قياس آثارها. وحتى اليوم لا تزال اليابان ضالّة طريقها لتهدئة أرواح قتلى الحرب، وإلى أن تفعل، لا تستطيع القول إن كانت قد نسيتْ الماضي، أم أنها تعيش برمتها في الحاضر.

ما الذي قاد مئات الآلاف إلى الموت؟ بعض الاجابات قد توجد في أفكار وذكريات اللاعبين الرئيسيين في دراما الأربع وعشرين ساعة تلك! وكان ذلك أحد أسباب وضع هذا الكتاب.

أن تموت من أجل وطنك، كان على الدوام واجباً دينيّاً في اليابان. ربما تكون عشرون عاماً ليست طويلة بما يكفي على أمّة، لتطرح عنها ذلك الاعتقاد القديم، لكن يجب عليها أن تفعل هذا، إذا أراد الشعب الياباني أن يعيش في عالم اليوم وليس الأمس. وربما هذا سببٌ آخر لوضع هذا الكتاب.

إن مصاعب تسجيل احداث تاريخ معاصر، بينما ممثلوه لا يزالون

أحياء، واضحة. لقد قابلنا كل الأحياء من المشاركين في الدراما النهائية لهزيمة اليابان - مع استثناء واحد، هو بطل تلك الدراما، الأمبراطور نفسه - وبينما نقرأ بشكل طبيعي كل ما نُشر في تلك الفترة، فإن القاعدة الأساسية لتقريرنا تعتمد المقابلات الشخصية، صياغتنا للأحداث، المشاعر والحالات الذهنية، كلها دُعمت من قبل الرجال الذين قابلناهم.

مع ذلك، علينا أن نتذكر أن أكثر من عشرين سنة انقضت* منذ ذلك اليوم. الأحداث تصاعدت بسرعة، لوّنتْ الذاكرة بطريقة قدرية لا يمكن تجنبها. ذاكرات شاحبة، رجال لهم أسبابهم لاسترجاع ما يريدون تذكره فقط، أو تكرار ما يرغبون بتكراره فقط. ثم على المؤرخ أن يستخلص الحقيقة من الزيف - وأحياناً لا يمكن تلافي الفشل.

العديد من اللاعبين الرئيسيين ماتوا، إذ كانوا رجالاً مسنين وقت حصول الدراما، والبعض مات قبل وقت قريب. أحدهم فضّل عدم الكلام: عندما قابلنا الماركيز كويتشي كيدو، ظلّ كاتم السر الامبراطوري رافضاً كسر صمته.

محنة استسلام اليابان كانت أشبه بزلزال ما فتئت آثاره بادية حتى اليوم. ولأعادة حساب التفاصيل المأساوية للهزيمة، ينبغي، بل ومن الضروري، استحضار وحث الذاكرة الحزينة، فربما ساعدتْ أيضاً على تعبيد الطريق لبداية جديدة أفضل. وربما يكون هذا أهم الأسباب لوضع هذا الكتاب.

ك. هاندو

معهد دراسات حرب الباسفيك

عن الترجمة

صدر هذا الكتاب عام 1965، وتُرجم عن الأصل الياباني إلى الإنكليزية، وهو مصاغ بلغة أدبية وسرد متواتر جميل، ليكشف جانباً من الحالات النفسية التي كانت تتحكم، سراً، بمواقف وسلوك شخصيات سياسية وعسكرية كبيرة، تتحدث بلياقة وهدوء لكن دواخلها تعتمل بالغضب والفزع والضياع، مطلوب منها إتخاذ قرارات سريعة لمصارعة الزمن الذي يهدد، في لحظاته الأخيرة، أكبر امبراطورية استعمارية في الشرق بالانهيار، وقادتها بالهوان، بعد أن أصبحوا يعيشون في ملاجئ تحت الأرض، محاصرين بين نزعة ضباطهم المتعصبة للاستمرار في الحرب، وبين هزائم جيوشهم المتوالية أمام زحف قوات الحلفاء، تعززها غارات كثيفة فوق مدن اليابان وعاصمتها طوكيو، ثم مسح هيروشيما وناغازاكي من الوجود بأول سلاح نووي يستعمل في التاريخ.

لقد أراد المؤلف أن يسرد تفاعلات يوم واحد في حياة اليابان، يوم إعلان الاستسلام، بكل ما يتشعب عنه من أحداث وتطورات وانفعالات تمتد على مدى أربع سنوات من الحرب، وهذا يتطلب بناءاً دراميا أدبياً، نجح فيه هوندو إلى حد كبير.

لقد تقصدتُ الحفاظ على السياق الروائي الذي صور المؤلف عِبرَه حدثاً تاريخياً يبدو طويلاً ومعذِّباً، فاعتمد في تصويره على زخم سردي مطعّم بالصور المجازية، ليحقق للنصّ جمالية أدبية قلما نعثر عليها في كتب السياسة والتاريخ العربية.

ولتسهيل انسياب الحالات والصور في ذهن القارئ، قدمت عدداً لا بأس به من التعليقات والهوامش عن خلفيات الأحداث، لم يجدها المؤلف ضرورية في حينه، لأنها كانت معروفة بشكل واسع لدى صدور الكتاب (1965)، وربما لأن الكتاب موجّه بالدرجة الأولى إلى اليابانيين الذين يعرفون تاريخ بلدهم والأسماء التي ساهمت في صنعه. كذلك وضعتُ ملخصاً سريعاً للتطورات التي مرّت بها اليابان خلال السنوات التي سبقت الاستسلام، ليدخل القارئ الكتاب وهو مزود بخلفية تساعده على ربط النتائج التي يشير لها المؤلف، بالأحداث التي سبقت وأدت إليها، مستعينة بمجموعة من المصادر أبرزها موسوعة (Compton) وموسوعة (Chronicle Encyclopaedia of History).

المترجمة

حروب واتفاقيات اليابان

منذ عهد الأمبراطور ميجي 1868 حتى الاستسلام في عهد الأمبراطور هيرو هيتو 1945

- حتى عام 1868، وهو العام الذي توّج فيه الأمبراطور ميجي، حُكمت اليابان من قبل لوردات الحرب الذين اطلق عليهم اسم (شوكانز). وباستلام ميجي الحكم، بدأت اليابان نقلة راديكالية حوّلتها من مجتمع اقطاعي إلى أقوى أمّة في العالم المعاصر، فقد اهتم ميجي بعصرنة اليابان بعد عزلة عن الغرب استمرت 250 سنة، واهتم، شخصياً، بدعم مؤسستي الجيش والبحرية، مما أنعش لدى اليابانيين الروح الشوفينيه والرغبة في التوسع.
- في اكتوبر 1874، غزت اليابان جزيرة فورموزا لتصبح قواتها على مشارف الصين. وفي فبراير قامت قوات يابانية مموهة بالهجوم على كوريا. وفي فبراير من نفس العام رتبت اليابان الخطوات لاستقلال كوريا.
- 22 مايو 1882، وقعت الولايات المتحدة معاهدة مع كوريا، رتبت بموجبها استقلال كوريا عن الصين وروسيا واليابان، وكانت الدول الثلاث تتنازع للسيطرة عليها.
- 1 اغسطس 1894، أعلنت الحرب بين اليابان والصين.
- 22 نوفمبر 1894، وقعت الولايات المتحدة واليابان اتفاقية تجارية.
- 23 ابريل 1895، تدخلت روسيا وألمانيا وفرنسا لإيقاف الحرب

بين اليابان والصين، وأجبرت اليابان على إعادة بعض المناطق التي احتلتها إلى الصين.

- 30 يناير 1902، وقعت بريطانيا واليابان اتفاقية يحترم بموجبها الطرفان مصالح كل منهما في الصين.
- 5 سبتمبر 1905، نشبت الحرب بين روسيا واليابان في منشوريا وكوريا.
- 15 ابريل 1907، سلمت اليابان منشوريا للصين ضمن شروط معاهدة بورتسموث، التي وضعت نهاية للحرب بين اليابان وروسيا.
- 4 يوليو 1910، اعترفت روسيا لليابان بحقها في السيطرة على كوريا، مقابل اطلاق يد روسيا في منشوريا.
- في يونيو 1915، وسعياً وراء التدخل في شؤون الصين، وضعت اليابان 21 مطلباً، تجعل الصين دولة خاضعة للنفوذ الياباني.
- في 30 يوليو 1921، مات ميجي، وتولى السلطة ابنه يوشيتو في نوفمبر 1921، فاطلق على نفسه لقب الأمبراطور يايشو. إلاّ أن يايشو ظهرت عليه بسرعة علامات الاختلال العقلي، ثم توفى عام 1924.

عهد الأمبراطور هيرو هيتو:

- في 25 ديسمبر 1926، خلف هيرو هيتو والده يوشييتو في تولي السلطة، وفي 10 نوفمبر 1928 توّج امبراطوراً لليابان، إذ أن التقاليد اليابانية تفرض مرور سنتين على وفاة الامبراطور ليصبح ولي العهد امبراطوراً جديداً للبلد. حكم هيرو هيتو لأطول فترة في تاريخ اليابان. تميّز عهده بالسلام المشرق، على الرغم من حرب اليابان ضد الولايات المتحدة من 1941 إلى 1945. وكما يصف المؤلف هيرو هيتو في مكان آخر، فهو شخص وديع، مسالم، يكره العنف والحروب، إلاّ أن العسكريين الذين يقدسون الأمبراطور حسب

التقليد الديني للبلد، ارادوا خلق سلطة موازية لسلطته من خلال الحروب التوسعية وتغذية الروح الشوفينية بين اليابانيين، وقد نجحوا في ذلك، إلاّ أنهم دمروا اليابان في النهاية. وقد سار هيتو على نهج جده الأمبراطور ميجي بالنسبة للدستور فقد ظلّ الأمبراطور بعيداً عن أي تدخل شخصي في قرارات الحكومة، فاستغل الجيش هذه النقطة لاحتلال منشوريا ضد رغبة الأمبراطور، وحسب بعض المؤرخين فإن احتلال اليابان للصين هو الذي مهد للحرب العالمية الثانية.

- أثناء فترة الحروب السابقة، تحوّل الجيش إلى قوة مؤثرة في الحياة السياسية، وخلق لنفسه سلطة موازية لسلطة الأمبراطور. ورغم طبيعة هيرو هيتو الميالة إلى السلام، وتطوير المظاهر الديمقراطية التي بدأها جده ميجي، واصل الجيش حروبه التوسعية في المنطقة، تشجعه حكومات ضعيفة، وأخرى تطمح إلى اخضاع البلدان المجاورة لسلطة اليابان.
- 18 سبتمبر 1931، عادت اليابان واحتلت منشوريا.
- 25 نوفمبر 1936، وقعت اليابان وألمانيا اتفاقية لحماية العالم المتحضر من تهديد البولشفيك. وفي 6 نوفمبر 1937 انضمت اليابان إلى المحور النازي الفاشي.
- 13 ابريل 1941، وقع ستالين اتفاقية سلام مع اليابان.
- عندما احتلت ألمانيا هولندا ثم فرنسا، أصبحت الهند الصينية التي كانت تحت الهيمنة الاستعمارية الهولندية والفرنسية غير محميّة، فهددت اليابان بالاستيلاء عليها، وفي سبتمبر عام 1937 دفعت اليابان بقواتها إلى الهند الصينية لتحتلها بهدف الحصول على قواعد عسكرية لقواتها في حربها ضد الصين.
- 27 سبتمبر 1940، وقعت اليابان معاهدة مع ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية، تنصّ على التحالف بين الدول الثلاث لخلق وضع عالمي جديد، تسيطر فيه ألمانيا وايطاليا على أوروبا، بينما تسيطر اليابان على شرق آسيا.

- 7 ديسمبر 1941، هاجمت الطائرات اليابانية القاعدة الجوية الامريكية في بيرل هاربر في هاواي.
- في منتصف 1942، احتلت القوات اليابانية الفيلبيين، ومستعمرات هولندا، ومالاوي، وبورما، وبذلك سيطرت على المنطقة الآسيوية الوسطى من الباسيفيك، وكانت قواتها وصلت إلى جزيرة اليوتيان في آلاسكا. كانت اليابان تطمح، بانتصاراتها السريعة، إلى عقد معاهدة سلام مع الولايات المتحدة أثناء انشغال الأخيرة في الحرب إلى جانب حلفائها في اوروبا ضد هتلر.
- حتى منتصف 1942، كان حظ اليابان في ذروته، والحلم بالهيمنة على شرق آسيا يوشك أن يتحقق، إلاّ أن الولايات المتحدة قد وصلت إلى قمة تطورها الصناعي، وكان ذلك فقط بعد أشهر من حادث بيرل هاربر، حين بدأ الحظ ينقلب إلى جانب خصمها.
- 25 ديسمبر 1941، استسلمت هونغ كونغ لليابان.
- في 17 ابريل 1942، أنذر الجنرال الامريكي جيمي دووليتل بقصف طوكيو بطائرات B.25، مما فاجأ سكان اليابان وصدمهم، وفي حزيران من نفس السنة بدأت المعارك البحرية في بحر كورال، حيث انطفأ حظ اليابان تماماُ في الدفاع عن نفسها.
- 15 يونيو 1944، بدأت الولايات المتحدة قصف المدن اليابانية.
- في بداية 1945، أنزل الجنرال ماك آرثر قوات أمريكية في خليج Lingayen لإعادة الاستيلاء على الجزيرة التي احتلتها اليابان قبل أربعة أعوام، مما ساعد على إنهاء المقاومة العنيفة التي أبداها الجيش الياباني قبل الانسحاب من الفيليبين وفي مانيلا التي استمرت لعدة أشهر، وبذلك نظف الامريكيون آخر جيب للمقاومة اليابانية في الفلبيين.
- 26 يوليو 1945، اجتمع قادة الدول الحليفة في ضاحية بوتسدام بمدينة برلين بعد احتلالها، وأنذروا اليابان بالاستسلام أو مواجهة الدمار. لكن اليابان واصلت القتال.

الامريكية السويسرية قد باءت بالفشل، والكثير من الرجال، بما فيهم الامبراطور نفسه، فضّلوا تعليق الآمال على المساعي الحميدة التي يقوم بها الاتحاد السوفييتي، وظلوا معلقين بهذه الآمال إلى اليوم الذي أعلن فيه ستالين الحرب على اليابان.

الوزارة الحالية للبارون سوزوكي كانت تصرخ أبعد من صراخ الجنرال توجو، أحد أكبر مهندسي خطة الجيش لتقسيم العالم بين اليابان وألمانيا[1]. وزير الخارجية شيجينوري توكو ترأس المجموعة المؤيدة لإعلان بوتسدام، وإن بوقت متأخر جداً، ليوفروا على الشعب الكثير من العناء، ويجنبوا اليابان الدمار الشامل. وكلا المجموعتين –المؤيدة للسلام والمحبّذة للحرب– متشابهتان باصرارهما على صون الكيان الأساسي للأمّة باستعدادهما لوهب أرواحهم من أجل معتقداتهم ومن أجل الامبراطور، لأن اليابان بدون سيادة مسألة لا يمكن التفكير بها من قبل الجانبين.

عشرون يوماً قبل اليوم الأخير، استيقظ الشعب الياباني على ما بدا له يوم حرب عادياً من أيام الصيف الحارة الرطبة. المعدة خالية ويبدو أنها ستبقى كذلك، وثمة عمل يجب انجازه، هو مواصلة الحرب حتى النهاية، بينما كانت الحرب تكبر وتصعب مع مرور الأيام، مع زيادة سوء التغذية، تصاعد التلوث الاشعاعي الذي يعني الموت للبعض والتشرد للكثيرين، ونقص المواد الخام الذي يعيق الانتاج. كل هذا في حرارة ورطوبة صيف اليابان. يوم آخر رغم الجوع والارهاق، لكن ما زالت بسالة اليوم مثل بسالة الأمس، مثل غدٍ.

إلاّ أنهم كانوا مخطئين، والحكومة علمت بهذا. في السادسة من صباح نفس اليوم التقطت دائرة الإذاعات الخارجية في طوكيو بثّاً من سان فرانسيسكو، يعلن عن بيان وقعه في اليوم السابق كل من الرئيس

1- في 26 تموز 1944، اجتمع رؤوساء الدول الحليفة في مدينة بوتسدام بألمانيا المحتلة، وأنذروا اليابان بأن تستسلم في الحال، أو تواجه التدمير الشامل.

الأمريكي ورئيس جمهورية الصين ورئيس وزراء بريطانيا الذي كان طرفاً في محادثات بوتسدام، يوصي بإعطاء اليابان فرصة لإنهاء الحرب. على الفور بدأ مكتب وزير الخارجية دراسة عبارات البيان بينما الترجمة أصبحت جاهزة:

لقد حان الوقت لتقرر اليابان فيما إذا كانت ستظل محكومة بنصائح العسكريين المتشبثين برأيهم، الذين أوصلت استنتاجاتهم غير الذكية امبراطورية اليابان إلى حافة الهلاك، أم أنها ستتبع طريق المنطق؟

بعد ذلك جاء دورنا. لن ننحرف عنهم، لا يوجد بديل، لم نعد نحتمل أي تأخير. علينا إنهاء تلك الفترة، حيث كانت الصلاحيات والنفوذ بيد أولئك الذين خدعوا الشعب الياباني وأدخلوه في مشروع لاكتساح العالم، باصرارنا على أن نظاماً جديداً من السلام والأمن والعدالة سيكون مستحيلاً ما لم يختفِ العسكر من العالم!

«نحن لا نقصد استعباد اليابان كعرق، أو تدميرها كأمّة، لكن العدالة الصارمة تقتضي اقصاء مجرمي الحرب، بمن فيهم أولئك الذين أوقعوا وحشيتهم على أسرانا. على الحكومة اليابانية أن تزيل كل العقبات من أجل إحياء وتعزيز الاتجاهات الديمقراطية لدى الشعب الياباني. حرية الكلمة، العقيدة، الفكر، ومبادئ حقوق الإنسان لا بُدّ أن ترسى.

نحن ندعو الحكومة أن تعلن الآن التنازل غير المشروط عن كل ما احتلته بالقوة، وأن تقدم التعهدات الصحيحة والملائمة لإثبات حسن النوايا. أما البديل عن كل هذا فسيكون الدمار السريع والشامل لليابان».

أول شخص استجاب لبيان بوتسدام الذي بثّ من سان فرانسيسكو كان نائب وزير الخارجية شونيكي ماتسومو، فقد نصح وزير الخارجية توكو أن على اليابان أن تقبل ما جاء في ذلك الإعلان، حيث سيكون الرفض أكبر حماقة ترتكب، وكان قد بدأ بتحرير مسودة الموافقة اليابانية فعلاً، ليتم إرسالها إلى سفارات اليابان في سويسرا أو السويد، ومن هناك تمرّر إلى العدو. عندها دخل توكو الغرفة.

«انتظر..» قال وزير الخارجية: «لن يكون الأمر بهذه السهولة». كان صوته في غاية الحزن، «فالجيش لن يقبل الإعلان كما جاء».

لكن توكو شعر أن حقيقة تخفيف الحلفاء حدة مطلبهم الأول في إعلان القاهرة من (استسلام اليابان غير المشروط) إلى (استسلام كل قوى الجيش الياباني غير المشروط) مفاده أن ثمة تخفيفا وتوددا أكثر في اللهجة سيأتي قريباً، بحيث يقبل به الجيش ويحفظ له ماء وجهه. لذا فقد استنتج أنه قبل الردّ، على اليابان أن تبذل محاولة أخيرة للاستعانة بالمساعي الحميدة للسوفييت. لقد توصل توكو إلى هذا الاستنتاج على الرغم من حقيقة أن كل محادثات طوكيو مع موسكو، ولحد الآن، لم تكن حاسمة على الاطلاق. فمحاولات توظيف مساعدة السفير السوفييتي في طوكيو باءت بالفشل، وناوتاكي ساتو، السفير الياباني لدى الاتحاد السوفييتي أكد لتوكو أن «لا مجالا مهماً لكسب الاتحاد السوفييتي لجانبنا...» ما لم يكن يعرفه توكو بالطبع، إن روزفلت وتشرشل اتفقا على امتيازات كبرى في الشرق الأوسط إذا دخل ستالين الحرب ضد اليابان خلال شهر أو ثلاثة أشهر بعد انتهاء الحرب في أوربا.

على الرغم مما كُشف وما لم يكشف، كان توكو قادراً ليس على اقناع نفسه فقط، إنما رئيس الوزراء أيضاً بأن الاتحاد السوفييتي لم يكن عاجزاً تجاه اليابان، والمساعي الحميدة للكرملين ربما لا تزال ممكنه.

في الساعة العاشرة والنصف صباح 27 تموز، اجتمع المجلس الأعلى لإدارة الحرب لمناقشة إعلان بوتسدام واحتمالات الوساطة السوفيتية. مجلس الحرب الأعلى هذا يتألف من اليابانيين الست الكبار، رئيس الوزراء، وزير الشؤون الخارجية، وزير الحرب، وزير البحرية، ورئيس عام قوات الجيش ورئيس عام البحرية. في الاجتماع أُكد توكو على أهمية الانتقال من استسلام اليابان غير المشروط إلى استسلام القوات المسلحة اليابانية غير المشروط، واعلن عن اعتقاده أن رفض ما جاء في الإعلان سيكون تصرفاً غير سياسي إلى حدٍ كبير. كان توكو قادراً رغم

المعارضة الكبيرة على اقناع المجلس الأعلى بتأجيل ردّ اليابان إلى أن يسمع مرة أخرى من موسكو. هذا يعني، رغم الكلمات المنذرة: «أننا لم نعد نتحمل أي تأجيل». كانت فترة من الترقب الحذر.

ما هي أفضل طريقة لإخبار الشعب الياباني بالإعلان؟ كانت تلك مشكلة كبيرة أخرى. مجلس الوزراء عقد اجتماعاً كاملاً بعد الظهر في محاولة لحلّها.

مرة أخرى أخذ الجنرال توجو القيادة. الرجل المتعجرف ذو الثانية والستين، الميال إلى احتقار آراء الآخرين، كان أكثر انطلاقاً في الكلام حتى من رئيسه (رئيس الوزراء) كانتارو سوزوكي الذي تجاوز السابعة والسبعين من عمره، المتناعس، ثقيل السمع، يقول شيئاً اليوم وعكسه غداً، مرحبّاً بتسليط الأضواء على الآخرين بينما هو يتخذ طريقه في كسل إلى الاجتماعات التي لا تبدو لها نهاية ولا ينتج عنها شيء.

أكد توكو أنه طالما كان إعلان بوتسدام القاعدة الأساسية الوحيدة لمحادثات السلام، فمن المؤمل ألاّ يُعلن شيء منه للشعب إلى أن تكون الحكومة قادرة على اتخاذ موقف ثابت بطريقة أو بأخرى.

وزير الشؤون الاجتماعية تاداهيكو اوكادا قال إن البيان قد اذيع حول العالم، فلن يكون من الصعب على شعب اليابان أن يسمع عنه، وقبل أن يحدث هذا يجب أن يطلعوا عليه رسمياً عن طريق حكومتهم.

مدير دائرة المعلومات هيروشي شيمومورا وافق مضيفاً أن التأجيل قد يعتبر في الخارج كدليل على خوف اليابان المفرط من الموقف. ثم اتجهت كل العيون إلى وزير الحرب الجنرال كوريتشيكا أنامي، الذي تحدث إلى الجيش وهو لا يزال يتمتع بأكبر نفوذ في البلد، رغم افتقاره لحماسة أسلافه.

إنه في السابعة والخمسين، ما زال يحتفظ بهيئة مهيبة، مزداناً بنياشين الرماية والمبارزة، وبالنسبة للضباط الشباب يبدو بمظهر الشخص الموثوق به، والأبوي. كانوا واثقين من الاعتماد عليه لدى ذهابهم إلى

الحرب، وفي الاجتماع أصرّ وبعناد عزز من صورته هذه لديهم، على أن انتشار أخبار البيان الآن، يوجب على الحكومة أن تقرر شيئين: اعتراضها على صيغته، والموقف الذي تريد أن يتبناه الشعب الياباني إزاءه. أُثني على أنامي من قبل رؤساء الجيش والبحرية في الاجتماع.

في النهاية توصلوا إلى تسوية مفادها: بما أن الحكومة غير قادرة عملياً على تجاهل الإعلان، ولا على نشره مع الاحتجاج عليه، إلى أن تعرف أين تقف، وافق المجلس في النهاية على إطلاق الأخبار بشكل ينطوي على بعض الغموض، بحيث يبدو كأنه قادم من أرض الأحلام وليس من بوتسدام. فموقف الحكومة من الاعلان يجب أن لا يكون واضحاً عند النشر، وعلى الصحف ان تقلل من شأن الموضوع قدر الإمكان، إذ كان مسموحاً بنشره معدلاً، لكن من دون أي تعليق عليه.

لقد عزمت الحكومة اليابانية على «تجاهل» الإعلان. ورغم إصرار أنامي على الاحتجاج عليه بلهجة قوية، فإن رئيس الوزراء سوزوكي اتفق مع وزير الخارجية توكو على ما أسماه «قتل الإعلان بصمت»، قال، وبهذه الكلمة التراجيدية المشهورة: «موكو ساتسو»[1] وهي تعني أيضاً ابقَ هادئاً، حكيماً، وبلا حركة. وهذا بلا شك كان المنطق الذي يفكر به سوزوكي، لكن لسوء الحظ بدا المعنى الآخر أكثر إثارة وإقناعاً، وعندما ظهرت الكلمة على الصفحات الأولى من صحف طوكيو في الصباح التالي، فُهمت على أن الحكومة تحتقر البيان، وفي الحقيقة ترفضه. لذا فُهمت «موكو ساتسو» في واشنطن وبريطانيا وبقية أوروبا والدوائر الدبلوماسية الأمريكية على أنها: «أنتجت أبلغ الضرر».

جريدة أساهي شيمبون، وهي أكبر صحف طوكيو، فسرت إعلان بوتسدام في نفس صباح ذلك السبت على أنه «ليس بذي قيمة». الشعب الياباني أُعلم بالبيان وأُكد له في ذات الوقت أن الحكومة وجدته غير

1- موكو تعني بصمت، وساتسو اقتل. وقد تعمدت الحكومة استعمال هذه الكلمة لكي تحمل أكثر من معنى.

مقبول، الأمر الذي كان مجلس الوزراء قد توصل إليه بصعوبة كبيرة ظهيرة ذلك اليوم. إلاّ أن الناس لم يعرفوا بهذا أكثر مما كانوا يعرفون ما كان يجري خلف الأبواب المغلقة للوزارات والدوائر الحكومية وخنادق القصر، وبهذا تعاملوا مع البيان باحتقار صامت، كما أخبرتهم الحكومة أن هذا أقصى ما يستحقه.

اليوم التالي، السبت، ال28 9 من تموز، وافق رئيس الوزراء على لقاء صحفي في الساعة السابعة لمناقشة إعلان الحلفاء. على كل الأسئلة المتوقعة والمهمة ردّ سوزوكي أن إعلان بوتسدام لم يكن إلاّ الفكرة القديمة لإعلان القاهرة وضعت في قالب جديد. والحكومة اعتبرته «شيئا لا قيمة له». بعد ذلك أضاف فجأةً: «نحن ببساطة سوف نقتل الإعلان بصمت» ثم أعلن أن الحكومة مصرّة على الاستمرار في الحرب حتى إحراز النصر.

كان وزير الخارجية توكو غاضباً عندما سمع بيان رئيس الوزراء. احتج على أن البيان جاء متناقضاً بشكل فاضح مع القرار الذي وصل من مجلس الوزراء، وفي نفس الوقت أدرك أنه لا يمكن عمل أي شيء: «من المستحيل الآن حمل رئيس الوزراء على التراجع عن تصريحه». كان الضرر قد وقع وانتهى الأمر.

تصريح سوزوكي نشر في صحف اليابان يوم 30 تموز، وتناولته الصحافة في كل أرجاء العالم، بأن اليابان غير مهتمة أصلاً حتى بمجرد رفض إعلان بوتسدام. ولوصف هذه اللحظة لاحقاً، قال سكرتير وزارة الحرب الأمريكية هنري ستمسون: «إن الولايات المتحدة يمكنها فقط المباشرة لإثبات أن الإنذار الذي حمله إعلان بوتسدام يعني تماماً ما أشار إليه، وهو إذا استمرت اليابان في الحرب فإن جميع قواتنا المسلحة، مؤَيدة بإصرارنا، سوف تعني الدمار الشامل لقوات الجيش الياباني، وفقط الدمار الشامل لأرض اليابان».

من الواضح أن القنبلة الذرية ستكون أبرز سلاح مناسب لمثل هذه الحالات. لكن اليابان ظلّت تنتظر خلال ذلك ردّ الاتحاد السوفييتي.

عندما أبرق السفير الياباني لدى الكرملين إلى توكو بأنه «لا مجال بأي حال» لإقناع الروس بدعم اليابان، ردّ عليه وزير الخارجية: «بالرغم من رأيك، عليك مواصلة تنفيذ التعليمات، محاولاً الحصول على مساعي السوفييت الحميدة -في إنهاء الحرب- لتقتصر على الاستسلام غير المشروط». وكان توكو قد خدم لفترة كسفير لدى موسكو، لذا لم يكن يجهل الذهنية التي يفكر بها السوفييت. كانت أسبابه بالاصرار على متابعة هذه الجهود أنها قد تلقي بحفنة من القش على مستنقع محاولات إنهاء الحرب، والتي ربما لخصت في ما قاله في ذلك الوقت: «بغض النظر عن صعوبة ما يمكن أن ألاقيه في محاولة إقناع الجيش الياباني لإجراء محادثات مباشرة مع الأمريكان أو البريطانيين، فليس لدي شكّ، حتى لو أنهم رفضوا الإصغاء، يجب أن نحاول التفاوض من خلال موسكو، إذ ليس ثمة مجال آخر لإنهاء الحرب».

لم يكن الجيش واثقاً من امكانية التوصل إلى تفاهم مع السوفييت. في منتصف حزيران توقّع أنامي أن الروس: «سيهاجمون اليابان، تماماً كما يستعد الامريكان لإنزال قواتهم على جزرنا»، وقد استمر في هذه النقطة إلى النهاية. قبل الاستسلام بأيام قليلة أخبر أنامي وزارة الداخلية بأن اليابان لو تأخرت فترة أطول لتشغل القوات الامريكية في كيوشو جنوب اليابان، فإن واشنطن ستكون خائفة من أن يحتل الروس أجزاء مهمة من شمال اليابان، مما يبقيها مترقبة للتوصل إلى معاهدة سلام، لذلك سوف تعرض امتيازات لصالحنا.

لكن القوات البحرية اليابانية كان رأيها أن السوفييت سوف يدخلون الحرب بعد معركة اوكيناوا، وهذا أحد الأسباب التي جعل البحرية تطلب من القوات اليابانية اتخاذ موقف متشدّد، ينزل خسائر كبيرة في قوات العدو. لذلك، رغم أن الروس قد أعلنوا أنهم ما عادوا مهتمين باتفاقية الحياد بين الدولتين (اليابان والاتحاد السوفييتي) إضافة إلى ردّ موسكو لليابان الذي تضمن بشكل رئيسي العبارات المائعة والصمت،

فإن مجلس الستة الكبار والامبراطور نفسه ظلوا معلقين آمالهم على المساعي الحميدة السوفييتية. كانت الأيام تمرّ، واليابان تنتظر ردّ ستالين.

في تلك اللحظة كان البلد يبدو كما لو أنه بأكمله مرتبكاً وذاهلاً. اليابانيون فهموا أنهم لن يخسروا الحرب، لذلك بدا التنازل أمراً خسيساً، والبديل الوحيد الشريف للانتصار هو الموت.

كان صعباً، ومستحيلاً التصديق بأن ما حدث قد حدث فعلاً: «كان خراباً تاماً، وأمراً لا يمكن تلافيه». الضريبة التي دُفعت ربما كان موقف الامبراطور أكبر ثقلاً في حالة الصدمة التي عاشوها، لأن اليابانيين يؤمنون أنه ليس فقط منحدر من سلالة مقدسة، إنما هو القدسية ذاتها، حيث يعتبر وجود اليابان من وجوده هو، مثلما استمر هذا الاعتقاد منذ زمن سحيق.

من الصعب التكهن بما يمكن أن يحدث لو أن قوات الحلفاء عرضت في تلك اللحظة تعهدات على النظام الياباني في شخص الامبراطور، مؤكدة على: «إنهاء الحرب، تنازل الجيش، ولن يُعطى الروس فرصة لدخول منشوريا». لكن هذه التكهنات لا قيمة لها؛ ففي حالة ذهولها اتبعت اليابان فقط الطريق الوحيد الذي بدا مفتوحاً ومرّت الليلة الأولى من آب بلا أهمية وبلا أمل، باستثناء الانتظار والترقب والحذر. في 6 آب جاء الردّ.

في الساعة الثامنة التقطت محطة رادار هيروشيما اثنتين من طائرات B29. كان الإنذار قد أُطلق في المحطة، والطائرات حلقت على مسافة مرتفعة جداً؛ وقد أعلن الراديو أنها كانت في طلعات استطلاعية، بينما معظم سكان هيروشيما (ربع مليون) لم يبالوا ولم يتوجهوا إلى الملاجيء، ولم يتوقعوا قصفاً، والعديد منهم راح يحدق في السماء بينما الطائرتان تناوران.

من الطائرة القائدة انفتح باب حفظ القنابل.

في الساعة الثامنة والربع و17 ثانية شاهد العديد من الناس عناقيد

من المظلات تنقذف من احدى الطائرتين. في الثانية التالية تحوّل الجو إلى سطوع أبيض يعمي النظر... وأربعين ألف شخص بين ميت أو على وشك الموت.

هذا إذن كان الردّ على انتظار اليابان. لم يأتِ، كما كان متوقعاً من الاتحاد السوفييتي، إنما من الولايات المتحدة، حيث سدّدت القسط الأول من تهديدها «الدمار الكلي الشامل» لليابان.

وصلت الرسالة الاخبارية الأولى لوكالة أنباء دومي إلى طوكيو تقريباً عند الظهر، إلاّ أن التفاصيل عن حجم الكارثة وطبيعتها وصلت بعد ذلك في وقت متأخر، على شكل تقرير من مقر رئاسة الجيش الثاني، عبر قاعدة كورو البحرية، مع ذلك ظلت التفاصيل شحيحة، وكل ما علمته طوكيو أن عدداً قليلاً جداً من طائرات العدو أحدثت أضراراً هائلة باستعمال قنابل من نوع مجهول.

في الصباح التالي، عند الفجر، كان اللفتنانت جنرال توراشيرو كاوابي، نائب رئيس الجيش العام، أول من استقبل الرسالة الموجزة، التي أعملته أن هيروشيما قد مُسحت خلال لحظة انفجار خاطف بقنبلة واحدة. فيما بعد قال كوابي إنه يشك بأنها قنبلة ذرية. رفاقه الضباط لم يكونوا في شكل من هذا.

الحكومة في طوكيو التقطت بثّاً من واشنطن أكد شكوك كوابي. «أنفقنا بليوني دولار» قال الرئيس ترومان، «حصلنا على أعظم إنجاز علمي في التأريخ - وانتصرنا».

أضاف: «إذا كان اليابانيون لم يقبلوا إنذارنا فليتوقعوا أن تمطر عليهم السماء دماراً لم تشهده الأرض من قبل أبداً...».

لم يعد لدى طوكيو أي سؤال حول ما حدث في هيروشيما.

«لقد أصبح مصدر القوة من الغرب وليس من الشرق» كما قال ترومان، وتستطيع هذه القوة أن تخسف الأرض في المشرق فوق

الجالسين على عرش سليل أماتيراسو اوكيكامي إله الشمس. بيدَ أن طوكيو كانت غير مكترثة بشكل يثير الاستهجان. لقد تطلّب الموقف ردّاً عنيفاً، ولا تزال البلادة الغريبة التي سيطرت على العاصمة اليابانية مستمرة في شلّ حركة الرجال الذين يتوجب عليهم صنع القرار.

في اليوم التالي، 7 آب، أصدر الجيش بلاغاً رسمياً جاء فيه أن الهجوم على هيروشيما من قبل «عدد صغير» من طائرات B29 سببت «أضراراً بالغة» وقد أُستخدم في القصف «نوع جديد» من القنابل. «التفاصيل» قال الجيش، «الآن تحت التحري...».

في 8 آب، نصح وزير الخارجية الامبراطور بأن على اليابان أن تقبل إعلان بوتسدام بأسرع وقت ممكن، عندئذ أصدر الامبراطور أمراً له ليخبر رئيس الوزراء بأنه على ضوء السلاح الجديد الذي استخدمه الحلفاء، فإن اليابان الآن بلا قوة للاستمرار في الحرب، ويجب بذل كل جهد لإنهاء هذه الحرب بدون تأخير. على اليابان أن تتقبل هذا الأمر الصعب.

بناء على ما قاله الماركيز كيدو، كاتم أسرار الامبراطور، أن صاحب الجلالة قال إن أمنه الخاص يأتي في الدرجة الثانية من مسألة وقف الحرب حالاً. وأصرّ على إن مأساة هيروشيما يجب أن لا تتكرر. عندئذ دعا سوزوكي إلى اجتماع طارئ للمجلس الأعلى للحرب، لكن الاجتماع أُجل لأن أحد أعضائه كان محجوزاً في مهمة بمكان ما.

خلال ذلك، حاول الجيش التعتيم على إذاعة العدو في مانيللا واوكيناوا، كما حاول احباط جهود العدو لقذف منشورات فوق طوكيو تعّبر عن رغبة الحلفاء في إنهاء الحرب من دون تدمير اليابان. في كل الأحـوال، ادعى الجيش أنه ليس من الممكن عملياً، حتى بالنسبة للامريكان، تصنيع واستخدام السلاح الذري، لأنه أمر مستبعد وخطير. في نفس الوقت سجلت الحكومة ملف احتجاج رسمي لدى سويسرا ضد حكومة الولايات المتحدة.

بعد ظهر نفس اليوم، طُلب من السفير الياباني في موسكو المثول في

مكتب مولوتوف. اختصر مولوتوف الطريق أمام محاولات السفير ساتو جعل اللقاء ودياً، بأن قرأ عليه الموجز الذي ينتهي بالكلمات التالية: «... حكومة الاتحاد السوفييتي ستعتبر نفسها في حالة حرب مع اليابان».

خلال ساعتين دخل الجيش الأحمر منشوريا، وبدأ هجوماً منظّماً لإبادة جيش اليابان الـ (كوانتوك)[1]. لقد اعتبر اليابانيون تصرف السوفييت غير شرعي ولا يغتفر، لأن الاتحاد السوفييتي واليابان ما زالا ضمن اتفاقية الحياد التي تنتهي في نيسان 1946، إلاّ أن ستالين جعل تصرفه مشروعاً بمساعدة ترومان، وعلمت حكومة سوزوكي الآن أن البديل للاستسلام الغير مشروط هو فعلاً وبلا أدنى شكّ الدمار. وبدا أن فرصة هذا الدمار الشامل هي تماماً ما أراده الجيش. إن هدوء صبيحة ذلك الخميس الحار، الرطب والمتقد من التاسع من آب، بدت لوزير الخارجية توكو مثل ماء بارد يراه من بعيد رجال عطشى يموتون في الصحراء.

في الساعة الثامنة صباح 9 آب، كان توكو في بيت رئيس الوزراء سوزوكي في كويشيكاوا شمال وسط طوكيو، حين طلب من رئيس الوزراء وبحدّة أن يُعقد المجلس الأعلى للحرب الذي أُؤجل، وعلى الفور. لقد ضاع الكثير من الوقت الثمين: «الحرب يجب أن تنتهي بأسرع وقت ممكن».

وافق سوزوكي، وقال لهيساتسون ساكوميزو، سكرتير رئيس الوزراء: «ليأخذ مجلس الوزراء مسؤولية قيادة البلد لإنهاء الحرب». في الظروف الطبيعية، وبعد الأخطاء المخزية لمحاولات حكومته في استخدام مساعي السوفييت الحميدة، كان المفروض أن يقدم استقالته هو وحكومته، لكن ظروف اليابان، وبأي شكل، كانت صبيحة ذاك الخميس أبعد من الطبيعي، وبدا سوزوكي مصرّاً على تجنيب أكبر عدد من اليابانيين الموت.

بعد ذلك توجه توكو لرؤية وزير البحرية الادميرال يوناي، الذي وافق

1- تعني الذي لا يُقهر

كما في السابق على أن ليس لليابان خيار غير استئناف محادثات السلام. وداخل الـوزراة ظل توكو يتساءل عن موقف كابتن البحرية الأمير تكاماتسو، الذي لم يكن ردّه مشجعاً، فقال وزير الخارجية إنه مقتنع بأن الوقت متأخر جداً لمناقشة حقيقة أفضل مما طُرح في إعلان بوتسدام، وبينما هو يفعل كل ما باستطاعته شعر أن اليابان لا يمكنها الإصرار على شيء يصون الدولة الوطنية.

خلال ذلك، كان الامبراطور، رمز الدولة، والرجل الذي أعطى لها الوجود والمعنى، قد تشاور مع اللورد كيدو كاتم الأسرار، وطلب منه أن يحاول التأثير من جديد على رئيس الوزراء سوزوكي، مؤكداً رغبة جلالته في التعجيل بإنهاء الحرب باسرع وقت ممكن. كان سوزوكي قد دخل منذ حين للقصر، فوافق على استدعاء مجلس الحرب الأعلى ومجلس الوزراء لعقد اجتماع طارئ ومشترك، بحضور رئيس الوزراء السابق الذي يُدعى (جوشن) أي كبير رجال الدولة، حيث يعتبر جزء من واجباته تقديم المشورة للعرش من وقت لآخر.

الساعة 11 من صباح نفس اليوم، سقطت ثاني قنبلة ذرية في العالم فوق ناغازاكي، وهي احدى مدن أقصى الشرق في اليابان وفوق جزيرة كيوشو، وقد حدث الانفجار قبل نصف ساعة فقط من دعوة المجلس الأعلى للحرب من جديد لمتابعة مناقشاته غير المتروية والبطيئة التي كانت تجري في القصر الامبراطوري بطوكيو، وهو يبعد حوالي 600 ميل عن المكان الذي تحلق فيه الطائرات.

افتتح رئيس الوزراء الاجتماع بالقول إنه على ضوء مستجدات هيروشيما، واحتلال الاتحاد السوفييتي لمنشوريا، يبدو واضحاً استحالة مواصلة اليابان للحرب. «أنني أعتقد..» قال سوزوكي، «ليس لدينا بديل سوى قبول إعلان بوتسدام، وأنا أحبّ الآن الاستماع إلى آرائكم».

مجلس الحرب الأعلى ظلّ صامتاً.

أخيراً كسر الادميرال ميتسوماسا يوناي السحر الذي كان مخيماً على

المجلس. كان يوناي رجلاً هادئاً، دمثاً وله ابتسامة لطيفة، وقد كان رئيساً للوزراء عام 1940 ثم ارغم على الاستقالة بسبب معارضته التحالف مع ألمانيا وإيطاليا. كان واعياً مثل سوزوكي وتوكو للخطر الجسيم من وراء مقتل الضباط الشبان الذين تلتهمهم نيران الحرب.

«نحن لم ننجز شيئاً..» قال يوناي، «ما لم نتحدث. هل نتقبل إنذار العدو غير المشروط؟ هل لدينا ما نطرحه من شروط؟ إذا كان كذلك، فمن الأفضل مناقشته الآن».

بدأ الأعضاء الآخــرون في المجلس بايضاح مواقفهم، وقد ظهرت بسرعة موافقتهم الاجماعية على نقطة واحدة: «صيانة الكيان الامبراطوري للبلد». بعد ذلك ظهر انقسام حاد، أصبح مألوفاً وأكثر حدّة بمرور الأيام.

سوزوكي، توكو، ويوناي فضلوا قبول إنذار الحلفاء مع شرط واحد يتعلق بالدولة الامبراطورية، الثلاثة الآخرون -وزير الحرب أنامي واثنان من رؤوساء الأجهزة، اوميزو للجيش وتويودا للبحرية- أرادوا طرح شروط أخرى: تقديم أقل عدد من القوات اليابانية التي تحتل بلدان أخرى لمحاكمتهم كمجرمي حرب من قبل اليابانيين أنفسهم وليس العدو، ويقوم بعض الضباط اليابانيين بتسريح عدد من الجنود. أنامي ورئيسا الأجهزة كانوا غير قادرين كما يبدو على قبول فكرة الهزيمة أو الاستسلام، لأنهما ضد قناعتهم، لذلك انتهى هذا الطرح إلى رفض حقيقة الهزيمة، والاستسلام.

ردّ توكو بقوة أن موقف اليابان في غاية الخطر، وحتى لو حاولت اليابان طرح عدد من الشروط، فإن الحلفاء وفي كل الاحتمالات سيرفضون مناقشتها. فردّ الجنرال اوميزو رئيس جهاز القوات المسلحة هو الآخر بقوة قائلاً إن اليابان لم تفقد الحرب بعد، وإذا غزا العدو أرضنا فإن الجنود اليابانيين ما زالوا قادرين على منعه، وربما حتى إلحاق الخيبة به، والثمن في خسائر العدو سيكون هائلاً. عندها قال توكو، حتى إذا

فشلت أول محاولة، فإن قوة اليابان في الدفاع عن نفسها ستكون أكثر ضعفاً، والهجوم الثاني للعدو بالتأكيد لن يفشل، ثم أضاف: يجب أن يُقبل إعلان بوتسدام الآن، ومطالبنا لن تكون أكثر من صيانة البيت الامبراطوري.

في الساعة الواحدة عقد المجلس الأعلى جلسة لمدة ساعتين، وكانت أخبار قصف ناغازاكي قد وصلت، ثم وصلت الحقيقة الأخرى عن سقوط منشوريا بأيدي السوفييت، بينما ظلّ المجلس غير قادر على الوصول إلى اتفاق. توضح الخط الفاصل بين الفريقين بوضوح، إذ وقف كل ثلاثة في جانب، فعرض سوزوكي أن يُفضّ الاجتماع ليعاد عقده لاحقاً بعد انعقاد مجلس الوزراء بعد ظهر نفس اليوم، وبذلك، وعلى هذه الصورة انتهت جلسات الخميس التي عقدها مجلس الستة الكبار لاتخاذ قرار بشأن الحرب.

في واشنطن تحدث الرئيس ترومان في الراديو معلناً: «سوف نستمر باستخدامها حتى تدمير قوة اليابان نهائياً وإنهاء قدرتها على الاستمرار في الحرب. ولن يوقفنا غير استسلام اليابان».

في الوقت الذي فضّ فيه الستة الكبار اجتماعهم، دعي هيروشي شيمومورا، مدير الاستعلامات، إلى مقابلة رسمية مع الامبراطور. وكانت المقابلة بناءً على طلب قدمه سكرتير شيمومورا إلى وزارة شؤون القصر الامبراطوري. استمرت المقابلة ساعتين كاملتين، مع أن العادة أن لا تأخذ المقابلات مع الامبراطور أكثر من 30 دقيقة فقط، وبإنتهاء اللقاء قال شيمومورا لسكرتيره مع ابتسامة ارتياح: «كل شيء جرى على ما يرام. وافق الامبراطور على إذاعة بيان يخبر فيه الأمّة فيما إذا كنا سنحارب أو نسالم».

إذا كان الامبراطور سيذيع هذا البيان فعلاً، ستكون تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها اليابانيون صوت الامبراطور.

إذا عدنا إلى اجتماع مجلس الوزراء الذي عقد بعد ظهر الخميس

الساعة الثانية والنصف في المقر الرسمي لرئيس الوزراء، فقد افتتحه وزير الخارجية توكو بتناول موضوع إعلان السوفييت الحرب على اليابان، متضمناً محاولات الحكومة اليابانية لإقناع موسكو بالتوسط. بعد ذلك وصف توكو طبيعة الكارثة بأنها تجاوزت حدود هيروشيما وناغازاكي. أما وزير البحرية ووزير الحرب فحين سألهما رئيس الوزراء عن رأيهما كررا نفس ما قالاه: «نحن ربما نكسب أول معركة لليابان..» قال الادميرال يوناي، «إلاّ أننا لن نكسب الثانية. الحرب خُسرت بالنسبة لنا، لذلك يجب نسيان مسألة حفظ ماء الوجه، علينا أن نستسلم بأقصى سرعة ممكنة، ومنذ هذه اللحظة يجب التفكير بأهمية إنقاذ بلدنا».

الجنرال أنامي قال، ملخصاً النقاش من الجانب الآخر: «لا يمكننا التمثيل، الحصول على النصر أمر مؤكد، لكن من السابق لأوانه القول خُسرتْ. لأننا سنوقع هزائم مؤلمة بالعدو عندما يغزو اليابان، هذا أيضاً مؤكد، لذلك فإن القول باستحالة عكس الموقف لصالحنا وانتزاع النصر من هذه الهزيمة قول لا معنى له».

«أكثر من ذلك..» استمر أنامي بالكلام، «جيشنا لن يستسلم للتسريح، رجالنا ببساطة لن يلقوا سلاحهم، إذ طالما تعلموا أن الاستسلام غير مقبول، وطالما تعلموا أن الرجل المقاتل الذي يستسلم يقع عليه عقاب شديد جداً، إذن في الحقيقة ليس لنا خيار إلاّ مواصلة الحرب».

«نعم، نعم!» صرخ أنامي بنفاد صبر، «كل واحد يتفهم الموقف... لكن علينا الاستمرار في الحرب حتى النهاية، بغض النظر عن حجم الاستهجان ضدنا!». هنا أدلى وزير الداخلية جنكي آبي بأول ملاحظة حين قال إنه لا يستطيع الوعد بامتثال المدنيين إذا قررت الحكومة إنهاء الحرب بمعاهدة سلام، مذكّراً بحادث العصيان الذي قام به بعض الضباط الشبان في 26 شباط عام 1936، عندما قادوا ما يقارب الألفي جندي، مما أدى إلى موت العديد من الأرواح، إضافة إلى محاولة قتل رئيس الوزراء، وجرح وزير الخزانة، وكاتم أسرار الامبراطور. كان الثوار

قد احتلوا وزارة الحرب، ومقر بوليس الامبراطور، ومقر إقامة رئيس الوزراء قبل أن يضطر الامبراطور نفسه إلى التدخل، آمراً وزير الحرب باتخاذ الاجراءات اللازمة، مسترجعاً تفاصيل ذلك العصيان الذي جرى قبل أقل من عقد مضى، نصح جنكي آبي بالوقوف ضد فكرة قبول إعلان بوتسدام.

أوضح ساكو ميزو بأن هذا الاجتماع سيوفر الكثير من الوقت، لذا يجب الإسراع بعقده. في العادة، ومن التقاليد اليابانية أن الحكومة لا تتصل بالعرش حول أية مشكلة إلى أن تتوصل إلى قرار اجماعي فيها، والامبراطور نفسه لا يأخذ جانب أحد ولا يدلي برأيه الخاص، وهو غالباً يوافق على ما تقرره الحكومة، إذ أن ذهنه في شهر تموز يجب أن لا يعكره نزاع حزبي أو طموح سياسي، لأن صنع القرار واتخاذ الاجراءات ليست أبداً من مسؤوليته. إن وجود الامبراطور لدى حدوث انشقاق داخل مجلس الوزراء مسألة لا يمكن التفكير بها في العادة، وإذا لم يتوصل المجلس إلى اجماع ينبغي أن تستقيل الوزارة. لكن سوزوكي أصرّ على عدم الاستقالة، لأنه قرر أن يأخذ على عاتقه، هو ووزارته، مسؤولية إنهاء الحرب، إلاّ أنهم لن يتخذوا القرار لوحدهم – في الحالة الراهنة أنهم بحاجة إلى الأثر السحري للأمبراطور – هذه دراما واحدة لا يمكن حلها بدون «ماكنتين».

كان الوقت يتسرب من أيدي الجميع، ولا يوجد شك في أن شخصاً واحداً يستطيع ترتيب الوضع.

كان الوضع محفوفاً بالمخاطر، كلٌ من سوزوكي وتوكو أجريا نقاشاً في وقت متأخر من الليلة الماضية، كانا واعين للخطر. إذا كان الموقف على هذه الدرجة من الخطورة، إذن ستكون الحركة الخاطئة بمثابة كارثة.

كان الجيش هو الحجر الأقوى وغير المتوقع في هذه اللعبة. الحجر الذي ظلّ على مدى سنوات لا يخضع لأية قاعدة إلاّ نفسه. إذا لم

يحصل الجيش على ما يريد سيكون مستعداً للجوء إلى الاغتيالات، أو حتى اللجوء إلى ثورة عارمة، ودائماً خلف تلك الحجة (التي تجد قبولاً عاطفياً) حماية الامبراطور من حاشيته الخونة. كانت لدى كل من سوزوكي وتوكو مخاوف عميقة ومبررة من أن العنف هو الذي يمنع التوقيع على الاتفاقية التي تمثل، برأيهم، الإنقاذ الوحيد لليابان.

لدى وصولهم إلى القصر في تلك الليلة، استقبلهم الأمبراطور لحظة وصولهم، سأل سوزوكي وزير الخارجية توكوأن يخبر الأمبراطور عن الاجتماعين الذين لم يخرجا بأية نتيجة، بعد ذلك اقترح سوزوكي أن على المجلس الأعلى للحرب أن يعقد جلسة جديدة هذه الليلة بحضور الأمبراطور. كان جلالته مهيئاً لهذا الاقتراح فأعطى موافقته على الفور. في نفس اللحظة طلب سوزوكي اقناع المجلس الأعلى للحرب ومجلس الـوزراء لعقد الاجتماع. خلال ذلك، وبعد مغادرة الوزيرين استقبل الأمبراطور الماركيز كيدو كاتم السرّ، باختصار: كانت هذه المقابلة السادسة مع كاتم السرّ في ذلك الخميس التاسع من تموز. إذا كان وزراؤه، أخيراً، قد استيقظوا من سباتهم، وقرروا التحرك، فعلى الأمبراطور أن لا يتلكأ.

كان الرجل الذي استدعاه القدر لإنقاذ بلده لطيفاً، خجولاً، خجولاً إلى أبعد حد، قصيراً ممتلئاً، في الرابعة والأربعين من العمر، منذ تتويجه عام 1928 كان يعيش حياة متوحدة كما يتوقع منه رعاياه. علاقته بالشعب تختلف عن علاقة أي عرش آخر بشعبه: كان يكفي بالنسبة لشعبه أن يكون موجوداً، إنه هناك، يجسّد في قدسيته هذا الوجود العظيم الذي يدعى اليابان. بدونه، أو بدون ورثته، لا يوجد أي يابان.

كانت حياة الأمبراطور دائماً بسيطة، ومنذ بداية الحرب أصبحت أكثر بساطة وتقشفاً، حتى أن أفقر رعاياه لا يحسده عليها، وهو عادةً يستيقظ في السابعة، يحلق، ثم يقرأ الصحف. بعد الصلاة في الكاشيكودوكورو، وفي الكوريدين، والشيندين، يتناول افطاراً بسيطاً من الخبز الأسمر وعصيدة الشوفان، وفي العادة يبدأ العمل من الساعة التاسعة والنصف

حتى الظهر، ثم يتناول غداءه المكوّن، من خضار مطبوخة وحساء. بعد ذلك يعود إلى العمل وينهي يومه بالتمشي قليلاً في الحديقة الداخلية. وهو لا يدخن ولا يشرب الكحول وينام بمعدة خفيفة.

الآن فُتح الباب بهدوء، وبمصاحبة أعوانه دخل الأمبراطور إلى الملجأ الصغير حيث، قبل أن يمرّ الليل كان مصير بلده قد أُودع بين يديه.

الساعة 11:50. أنحنى أعضاء المجلس الذين كانوا ينتظرون منذ الساعة الـ 1:301 مع أعوانهم، ثم جلسوا في مقاعدهم مع اثنين من الضيوف المدعوين، وحولوا أنظارهم بعيداً عن جلالته احتراماً. مظهر الأمبراطور أوحى لهم بأنه كان متعجلاً، وفي الحقيقة لو أن آخر مقابلة له مع الماركيز كيدو لم تنته إلاّ الساعة 1:371، كما جاء في يوميات كيدو، فإن الأمبراطور لم يكن لديه متسع من الوقت للاستعداد لمواجهة أكثر الساعات احراجاً في تاريخ بلده، وحياته الخاصة. بالاضافة إلى الكبار الستة وأعوانهم، حضر رجلان آخران، دعيا من قبل رئيس الوزراء هما: سكرتير مجلس الوزراء ساكونيرو، والبارون هيرانوما رئيس سرّ المجلس.

تقع الغرفة التي عقد فيها الاجتماع في ملجأ تحت الأرض (30×18 قدم)، تهويتها سيئة، وتبدو مثل جحيم مصغّر بحرارة ليالي آب، وكان أعضاء المجلس وضيوفهم يرتدون بدلات الصباح الرسمية أو الزي العسكري، والمناديل البيضاء استخدمت بكثرة، وبدت غريبة مع بدلاتهم ووجوههم الداكنة.

كان سقف الملجأ مدعماً بعوارض حديدية، وجدرانه مغطاة بألواح خشبية قاتمة. جلس الرجال الأحد عشر خلف طاولة طويلة مغطاة، يواجه أحدهم الآخر، ستة في جانب وخمسة في الجانب الآخر، الرجل الثاني عشر (الامبراطور) اتخذ مجلسه على كرسي بسيط بظهر مستقيم في رأس الغرفة، خلفه شاشة بسيطة، بينما جلس معاونه قرب الباب.

نهض سوزوكي الجالس على يسار الأمبراطور ثم سأل سكرتير مجلس الوزراء أن يقرأ إعلان بوتسدام بصوت عال. حتى ولو لدقيقة واحدة في

هذا الاجتماع، أو الاجتماعات التي عقدت لاحقاً خلال الأيام القليلة التي وقعت بها اليابان تحت محنة الاستسلام، فإن الكلمات الحقيقية التي قيلت في ذلك الاجتماع ضاعت في التاريخ؛ لأن ما حدث كان جزئياً، ويقوم على إعادة تجميع شخصية من قبل رجال حضروا، ومن أولئك الموثوق بهم.

بعد قراءة الإعلان، كرر سوزوكي التقييم الذي قدمه للامبراطور عن اللقاءات المحبطة السابقة، وقدم الاعتذار لجلالته على الطلب منه الحضور في هذا الاجتماع الذي لم يتفق فيه وزراؤه بعد على قرار. (لقد قيل أيضاً إن سوزوكي قدم اعتذاراً بطريقة غير مباشرة لرئيسي الاركان على استخدام توقيعيهما في الطلب الذي قُدم للعرش لعقد الاجتماع بينما الآراء ما زالت منقسمة. الطبيعة الغريبة لهذا الاجتماع المنعقد في منتصف الليل جعلتهما غير مكترثين - لكن طالما وقّعا الطلب، وطالما أن الأمبراطور أمر بعقد الاجتماع، لم يكن لديهما خيار غير تلبية الإستدعاء الامبراطوري) لخّص سوزوكي الوقف كله في تلك اللحظة: المجلس الأعلى للحرب كان منقسماً ثلاثة لثلاثة، بينما مجلس الوزراء، الذي يملك لوحده الصلاحية الدستورية للموافقة على استسلام اليابان كان منشقاً إلى ثلاثة أقسام - ستة أعضاء فضلوا قبول إعلان بوتسدام بشرط واحد هو ضمان صيانة البيت الأمبراطوري، ثلاثة آخرون أصروا على الشروط الأربعة التي وضعها أنامي، بينما خمسة آخرون وضعوا شروطاً أخرى لكن أقل من الشروط الأربعة لجماعة مؤيدي الحرب.

دعا رئيس الوزراء وزير خارجيته توكو، فلخص توكو النقاش بإظهار ميله إلى الاستسلام، منهياً الحديث بتوصية مهمة أن على اليابان قبول إعلان بوتسدام بدون أي تأخير، إذا اعطيت ضمانات بصيانة الدولة الوطنية. بعدها استدار سوزوكي إلى وزير البحرية الصامت، فقال الادميرال يوناي: «أتفق مع وزير الخارجية»، ثم عاد ليجلس في مقعده. وزير الحرب، الجنرال أنامي قفز محتدّاً معبّراً عن رفضه التام، قائلاً إنه يؤمن بأن على الأمة الاستمرار في القتال، لأن نتائج المعركة لن تظهر إلاّ

بعد أن يُخاض القتال، وفي أي حال، إذا كان على اليابان أن تستسلم فعليها الإصرار على أربعة شروط: ضمان ليس فقط صيانة الكيان الامبراطوري، إنما أيضاً حق اليابان في خيار نزع سلاحها، وأن تقيم محاكمتها الخاصة بالحرب، وتحدّد عدد قوات اليابان التي تحتل دولاً أخرى.

وافق الجنرال اوميزو، مضيفاً أن اليابان ما زالت أكثر من مجرد ندّ للعدو، والاستسلام غير المشروط سيكون مهيناً لشرف موت اليابانيين. وفي حالة الاستسلام أصرّ، مثل أنامي، على الشروط الاربعة السابقة. ثم جاء دور الادميرال تويودا، رئيس أركان البحرية ليتحدث، لكن سوزوكي طلب البارون هيرانوما بدلاً عنه، وكان هيرانوما قد دُعي للاجتماع في محاولة لاشراك مجلس السرّ في متابعة النقاش، حيث من حقه دستورياً المصادقة على الاتفاقيات الخارجية. هيرانوما أخضع الوزراء إلى سلسلة من الأسئلة الدقيقة الشاملة حول إخفاق العلاقة مع السوفييت، وعن الرجال الذين سيصنفون كمجرمي حرب، وعن قدرة الأمة على حماية نفسها ضد الغارات وضد الغزو، وحول احتمال قيام عصيان في لحظة إعلان الاستسلام. ثم أنهى حديثه بالقول إنه إضافة إلى شروط صيانة الدولة التي مرّت من دون نقاش، فليس من الضروري الحكم بالفشل على الشروط الثلاثة الأخرى.

أخيراً أُعطي الادميرال تويودا الفرصة للحديث، فكرر الجدل بتفضيل استمرار الحرب، خاتماً بأنه لا يضمن ردّ فعل البحرية، ما لم يكن تسريحهم بواسطة اليابانيين أنفسهم.

مرّة أخرى نهض رئيس الوزراء، قال: هذا دليل على أننا غير قادرين على التوصل إلى اتفاق، وفي ضوء هذه الحقيقة، ومع هذا الموقف الطارئ، يبدو أنه علينا القيام بشيء واحد. ثم أدار رأسه باتجاه رأس الغرفة وقال: «إن قراركم يا صاحب الجلالة مطلوب، وما تقررونه سوف ينفذ، بين رأي وزير الخارجية، أو الشروط الأربعة».

كان الصمت مطبقاً في الغرفة الصغيرة الخانقة. يصعب القول كم من

الرجال الأحد عشر الجالسين حول الطاولة الطويلة عرفوا أو خمنوا أن سوزوكي سيتخذ تلك الخطوة، لم يُسمع في تاريخ اليابان أن طُلب من الأمبراطور اتخاذ قرار ما، أو القول كم كانت الصدمة حتى النخاع بهذا الاجراء غير التقليدي.

في الايام السابقة كانت البيانات الامبراطورية الرسمية تسمى (صوت الغرنوق[1])، والغرنوق يمثل رمز الامبراطورية، ويقال إن صوت الغرنوق يظل مسموعاً في السماء حتى لو حُجب عن الرؤية. بالنسبة للمجلس الأعلى للحرب، في الساعة الثانية من صباح الجمعة، العاشر من آب 1945، كان صوت الغرنوق على وشك أن يُسمع مرة أخرى في الأرض.

قال الأمبراطور في هدوء: «استمرار الحرب يمكن أن يؤدي فقط إلى إبادة الشعب الياباني ويطيل المعاناة البشرية. يبدو واضحاً أن الأمّة لم تعد قادرة على تحمل الحرب، وقدرتها على الدفاع عن شواطئها مشكوك فيها. هذا لا يُطاق بالنسبة لي»، ثم أضاف صاحب الجلالة، «أن أرى جنودي المخلصين منزوعي السلاح ذاهبين بدون قول.... لكن جاء الوقت لتحمل ما لا يًطاق تحمّله».

لم يعد الأمبراطور بحاجة لأن يضع كلامه في صياغة معينة، مع ذلك، استمر في نفس الهدوء، وبصوت ثابت قال: «أعطي موافقتي إلى جانب قبول إعلان الحلفاء على أساس الشروط التي طرحها وزير الخارجية». ثم غادر الغرفة ببطء.

في الصمت، عاودت المناديل البيضاء الظهور - ربما لمسح العرق الذي يتصبب في آب بتلك الغرفة الصغيرة، أو ربما لمسح الدموع التي

1- الغرنوق أو مالك الحزين، من الطيور المائية، يصفه الدميري في كتاب (الطير في حياة الحيوان) بأنه أبيض، له قنزعة صغيرة، طوله حوالي متر واحد، وفي موسم التفريخ يكتسي بريش طويل ناعم يتدلى من الظهر والكتفين وأسفل الرقبة، وينام واقفاً على ساق واحدة، وهو معروف في جنوب شرق أوربا وتركيا وايران وشمالي الصين واليابان. (المترجمة)

ترقرقت في أعين الرجال الذين أصبحوا ملزمين بمنح بلدهم للعدو.

«قرار صاحب الجلالة»، قال سوزوكي، «يجب أن يكون قرار الاجماع أيضاً». فاستمر الصمت.

على كل حال، الجهة الوحيدة التي تملك الصلاحية الدستورية في تنفيذ قرار الاستسلام هو مجلس الوزراء. (مع أن موافقة مجلس السرّ كانت أيضاً مطلوبة، إلاّ أن هذا الأمر أثير لاحقاً).

غادر الأعضاء القصر إلى المقر الرسمي لرئيس الوزراء. المناقشات هنا تركّزت ليس حول قبول القرار الامبراطوري - وليس ثمة شك في هذا على الرغم من معارضة وزارة الداخلية - لكن لصياغة بيان الاستسلام، وفي غضون ثلاث ساعات كان البيان قد أُبرق إلى سويسرا والسويد لنقله من ثمَّ إلى قوى الحلفاء.

قال البيان تحديداً: [إن الحكومة اليابانية مستعدة لقبول الشروط المذكورة في الإعلان الذي صدر في بوتسدام في 26 من تموز 1945، من قبل رؤوساء حكومات الولايات المتحدة، بريطانيا العظمى، والصين، ولاحقاً بمشاركة حكومة الاتحاد السوفييتي، آخذين بالاعتبار أن البيان المذكور لا يشمل أي مطلب قد يكون مجحفاً بامتيازات صاحب الجلالة كحاكم مطلق].

ليلة اليابان الطويلة في 9 آب انتهت أخيراً، لكن اليوم الأطول لم يأتِ بعد.

في اجتماع الليلة السابقة قال وزير الحرب الجنرال أنامي: «إن العدو رفض تقديم تأكيدات بصيانة البيت الامبراطوري - هل ستستمر الحرب؟» فنظر رئيس الوزراء سوزوكي الذي وجّه إليه السؤال إلى أنامي للحظة، ثم قال: «نعم. سوف نواصل الحرب» نفس السؤال وجهه أنامي للأدميرال يوناي وزير البحرية، وحصل على نفس الجواب.

في الصباح التالي، الجمعة 10 آب، أمر أنامي كل موظفي وزارة

الحرب ممن هم أعلى رتبة من رئيس قطاع، ليتجمعوا في التاسعة والنصف في ملجأ الوزارة. عندما أخبرهم عما حدث في الاجتماع مع الأمبراطور، كان ردّ فعلهم بين الصدمة وعدم التصديق. مع أنهم كانوا يتوقعون أن إجراءاً من هذا النوع سيتخذ، لكنهم لم يكونوا مستعدين لأمر واقع كهذا. الجيش الذي يدير الحكومة ولم يطع أوامر الأمبراطور حين تبدو دوافعها مشكوكاً فيها، صار على وشك الاختفاء من الوجود، الاختفاء كلياً من حياة اليابان. وهذا واحدٌ من تبعات الاستسلام، والمخاوف كثيرة من أن اليابان نفسها ستختفي أيضاً بشكل أو بآخر. كانت الكثير من مشاعر الغضب تعتمل في قلوب الضباط الشبّان، خليط من المشاعر الغريبة - حبّ وكره، خوف وفزع، رعب وشعور بالهزيمة، رهبة الإهانة، الارتباك والذهول من رؤية الانهيار الكلي الوشيك لكل ما آمنوا به وأقسموا عليه: ربما ليس مفاجئاً أن عواطفهم كانت أحياناً خارج سيطرتهم، وأن ردود أفعالهم، إذ حاولوا بطريقتهم ايجاد مخرج لهذا الفخ، كانت تتحرك من لحظة إلى أخرى، لكنها لا تتغيّر إلاّ ضمن الولاء للامبراطور. وبغض النظر عمّا فعله الضباط، فإنهم كانوا مقتنعين بأنهم فعلوه باخلاص، بعضهم لسوء الحظ قرروا أنهم لا يعرفون أكثر من موضوع إخلاصهم وليس كيف يكونوا مخلصين.

صوت الوزير أنامي كان ثابتاً، وموقفه لا لبس فيه حين قال لضباطه: «ليس لدينا بديل، غير الإلتزام بتنفيذ قرار الأمبراطور». ثم أضاف، «إن قتالنا أو استسلامنا، يعتمد على ردّ العدو على بياننا. لا يهم ما نفعل، يجب عليكم جميعاً أن تتذكروا أنكم جنود، يجب عليكم اطاعة الأوامر، يجب أن لا تحيدوا عن القواعد العسكرية الصارمة. في هذه الأزمة التي تواجهنا إن التصرفات المتهورة لأي رجل واحد قد تدمر البلد كلياً».

أصغر الضباط نهض ليقول: «وزير الحرب أخبرنا أن نطيع أوامره في حالة الحرب أو الاستسلام. هل وزير الحرب فعلاً يقبل الاستسلام؟». خبط أنامي بعصاه الصغيرة على الطاولة، فدوّت الضربة مثل اطلاقة

رصاصة، ثم قال الوزير ببرود: «أي واحد غير مستعد لأطاعة أوامري، عليه أن يفعل ذلك من فوق جثتي».

بسبب 13 ساعة في فرق التوقيت، كان الوقت تقريباً نفس صباح تلك الجمعة حين عقد الرئيس ترومان مؤتمراً في البيت الأبيض لمناقشة أخبار استسلام اليابان غير المشروط، التي استقبلوها بالراديو مباشرة من موجة إذاعة طوكيو الموجّهة إلى الولايات المتحدة. خلال ذلك كان حاضراً الاجتماع وزير الخارجية، ووزير الحرب، ووزير البحرية، ورئيس أركان الجيش الامريكي.

سأل الرئيس ترومان الرجال الأربعة فيما إذا كانوا يعتقدون أن بيان اليابانيين يمكن قبوله على أنه (الاستسلام غير المشروط) الذي طلبه الحلفاء.

كانت المشكلة تقع في تفسير عبارة (آخذين بنظر الاعتبار أن البيان المذكور لا يشمل أي مطلب قد يكون مجحفاً بامتيازات صاحب الجلالة كحاكم مطلق)، التي كان البارون هيرانوما قد نجح في الإصرار على إدراجها في البيان، إذ أن اليابانيين في البداية تصوروا هذا الـ «شرط» قد قُرأ كالتالي: (آخذين بنظر الاعتبار أن البيان المذكور لا يشمل أي مطلب بتغيير وضعية صاحب الجلالة ضمن القوانين الوطنية). فقد أصرّ هيرانوما أن الأمة والامبراطور كانا حاضرين بوجودهما معاً منذ البداية، ذلك أن سلطة الأمبراطور المطلقة لن تكون بمعزل وبأي شكل عن القانون الوطني. والكلمة اليابانية التي نجح هيرانوما بالاصرار عليها هي «تاياكين» وقد قال توشيكازو كازي، الذي ترجم البيان للإنكليزية، إنه «قد عاش لحظات من التردد في اختيار كلمة -امتيازات-».

لقد تُرجمت «تاياكين» حرفياً لتعني القوة المتأصلة في التاج. وردّاً على سؤال الرئيس ترومان، أجاب وزير الحرب السيد هنري ستمبسون بأنه يشعر أن الوجود الأمبراطوري كان جوهرياً ليس لليابانيين فقط، إنما للأمريكان أيضاً، وذلك لتسهيل اجراءات الاستسلام وتجنب سفك الدماء بين احتلال وانهزام قوات. وزير البحرية جيمس فورستال،

ورئيس الأركان الادميرال وليم. د. ليهي، وافقا على هذا الرأي. أما وزير الدولة السيد جيمس. ف. ليهي فقد كان متشككا؛ فقد أشار إلى أن كلاً من روزفلت وتشرشل قد أصرّاً على أن استسلام اليابان يجب أن يكون (غير مشروط)، وطالما أن بريطانيا والصين قد وقعتا على إعلان بوتسدام فيجب استشارتهما قبل أن توافق الولايات المتحدة على أية (شروط) مهما كانت.

اتخذ القرار الأخير بانتظار وصول النسخة الأصلية من البيان الياباني. وفي نفس ذلك الصباح كانت طوكيو تقصف بكثافة؛ مئات من طائرات بي 29 رشّت القنابل الحارقة فوق العاصمة، بينما آلاف الطائرات الأخرى قصفت بقية المدن اليابانية.

رغم أن اليابان قدمت «البرهان الساطع الذي لا ينمحي والأكثر تأثيراً في كل الحرب» فإنه لم يكن فريداً من نوعه أن الغارات الجوية تفاقمت بكثافة وبشكل مضطرد، والآن صار ملايين الناس بلا بيوت يعيشون فيها، بدون ملابس يرتدونها، وغالباً لا شيء يأكلونه. ربما يقترب الشعب الياباني من حدود طاقته على الاحتمال! وربما ذهب العديد منه أبعد من ذلك في المعاناة.

أصبحت الحرارة تزداد مع رطوبة شهر آب، وكانت أعصاب الحكومة على الحافة، إذ أن القرار اُتخذ أخيراً وبدأت فترة الانتظار. لا يزال الشعب الياباني غير مدركٌ بأن حكومته - بهذا الشرط الوحيد- قد قبلت إعلان بوتسدام، لكن بدا واضحاً لهم أن تغييراً قاسياً على وشك الحدوث. في صحف يوم الجمعة ظهر إعلان السوفييت الحرب على اليابان بالعبارة التالية: «إن طرح الحكومة اليابانية على الاتحاد السوفييتي الوساطة في الحرب في منطقة الشرق الأدنى كانت تفتقر إلى أساس...». تلك كانت المرة الاولى التي يعلم فيها اليابانيون أن حكومتهم طلبت من الاتحاد السوفييتي القيام بـ «مساع حميدة» وفشلت في الحصول عليها، لذا انكشف سرّ أو سران، إلاّ أن

أكبر الأسرار ما زال مخفياً بحرص، فقد ترك الجيش اليابان تعيش في الظلام لعدة سنوات حول حقيقة ما يجري عن مخاوف الحكومة من أثر الإعلان المفاجئ للاستسلام.

في ذلك اليوم (10 آب) عقد اجتماعان لمناقشة المشكلة من قبل أحد مجالس (الجيشن) أو ما يسمى كبار رجال الدولة، وهو المجلس المؤلف من رؤوساء وزراء سابقين ممن يؤخذ رأيهم في الاعتبار، وبحضور شخص من مجلس الوزراء. ومرة أخرى كان الاختلاف في الآراء، وعدم التأكد، والتكرارات التي لا تنتهي لعبارة (... من ناحية أخرى). فكل طرح يعرض كان له طرح مضاد، فلو، على سبيل المثال، أُعلن قبول بيان الحكومة لإعلان بوتسدام في هذه اللحظة، سيكون ممكناً اعطاء اليابانيين التوجيهات مباشرة عنه، وقد يقلل هذا من الآثار الخطيرة للإعلان. لكن، (... من ناحية أخرى) إذا كان الحفاظ على الكيان الامبراطوري لم يضمن من قبل الحلفاء، فإن الاستعداد الياباني للقتال سوف يضيع والى الأبد.

مجلس الوزراء قرر أخيراً أن يلزم الصمت في تلك اللحظة حول كل من قرار الامبراطور أو مذكرة اليابان بقبول إعلان بوتسدام، بدلاً من ذلك أُعطى مدير دائرة الاستعلامات الاوامر باصدار تصريح غامض، فقط لنقل توصيات بتغيير خطير قد تعلن عنه الحكومة قريباً. أعد التصريح من قبل جهاز دائرة الاستعلامات، ونُقح من قبل رئيس الجهاز هيروشي شيمومورا، ثم مرّ على توكو وزير الخارجية، والادميرال يوناي، وبحذر شديد على الجنرال أنامي، ثم أُرسل إلى اذاعة طوكيو ليذاع في نشرة ما بعد الظهر.

وفي نفس الوقت بُدأ الإعداد لتصريح آخر، بدون معرفة ولا موافقة مجلس الوزراء. عندما تحدث الجنرال أنامي في الصباح إلى ضباطه، كان الليفتنانت كولونيل ماساو إنابا، قسم الميزانية في إدارة الشؤون الحربية، يصغي باهتمام شديد وفزع واضح، وقرر أن يحدث الاستسلام

فعلياً، على الجيش الياباني أن يستمر في القتال بحماس لا هوادة فيه، لذلك بدأ باعداد تصريح ليذاع على الجنود في الخارج، بعد أن حصل على موافقة وزير الحربية على الفكرة. وبعد أن أنهى ماساو أول مسودة، عرضها على نائب وزير الحرب، وعلى اثنين من الضباط، بما فيهم الكولونيل اوكيتسوكو آراو في قطاع الشؤون الحربية. بعد المراجعة أراد الضباط أن يطلع الوزير نفسه على مسودة البيان، لكنه كان مشغولاً في مكان آخر، لذا قرر الكولونيل آراو أخذ مسودة البيان إلى الجنرال أنامي لاحقاً في نفس اليوم.

لكن بعد مغادرة آراو بفترة قصيرة، وصل الليفتنانت كولونيل ماساهيكو تاكيشيتا (عديل أنامي) إلى الوزارة مع ضابط ركن آخر لأخذ البيان المذكور إلى الوزارة ليذاع في أخبار الساعة السابعة. وبينما كان آراو قد أخذ المسودة المصححة معه، عدّل القادم الجديد (إنابا) المسودة الأصلية من ذاكرته لتبدو مطابقة قدر الامكان للنسخة التي بحوزة آراو، ثم أعطاها إلى تاكيشيتا. عندما وصل مدير إدارة الاستعلامات هيروشي شيمومورا إلى مقر عمله مع النسخة المصححة لبيان مجلس الوزراء الرسمي، التي عمل عليها مع الجنرال أنامي، أُخبر بأن الجيش أعدّ بياناً آخر باسم الجنرال أنامي ليُقرأ في نشرة أخبار المساء ويطبع في صحف اليوم التالي.

اتصل شيمومورا بأنامي، ومن خلال الحديث معه علم أن أنامي يعرف القليل عن بيان الجيش المذكور، وسوف يشكل هذا ضغطاً قوياً من قبل الضباط الصغار، وخمّن شيمومورا أن أنامي لو رفض إطلاق بيان الجيش فقد يتعرض للاغتيال.

في واشنطن، حررت وزراة شؤون الدولة مسودة الردّ على مذكرة اليابان، وقامت بتحرير مسودة أخرى، ولدى مقارنة المسودتين وافق وزير الحرب على أن المسودة التي أعدتها وزارة شؤون الدولة مناسبة كردّ، ثم أقر الرئيس الامريكي ومجلس وزرائه هذه المسودة. كانت الفقرة الثانية

من المسودة تتعلق باصرار اليابان على ضمانة الكيان الامبراطوري، لكن منذ لحظة الاستسلام فإن صلاحيات الامبراطور والحكومة اليابانية في قيادة الدولة ستخضع للقائد الأعلى لقوات الحلفاء، الذي سيتخذ الخطوات التي يجدها الأنسب لتنفيذ اجراءات الاستسلام.

كانت الفقرة الثانية تبدأ بـ:

«الامبراطور والقائد الأعلى لليابان سُيطلب منه التوقيع على شروط الاستسلام...».

أرسلت واشنطن نسخاً من الردّ الامريكي المقدم لليابان إلى لندن، موسكو، وتشونغ كنغ[1]. أما في اليابان، فقد سمع اليابانيون، في بلدهم وفي الخارج، في نشرة الأخبار المعتادة في الساعة السابعة تصريحين؛ الأول بتفويض من وزير الحرب أنامي جاء فيه: «ليس لدينا سوى خيار واحد، أن نستمر في القتال إلى أن نكسب الحرب المقدسة لصيانة دولتنا الوطنية. يجب أن نواصل القتال، حتى لو اضطررنا لمضغ الاعشاب وأكل التراب والعيش في البراري - في موتنا توجد الفرصة لانقاذ بلدنا. البطل كوسونوكي Kusunoki تعهد بالحياة والموت سبع مرات لينقذ اليابان من الكارثة. يجب أن لا نكون أقلّ منه...».

بالطبع لم يكن بيان مجلس الوزراء بهذه المباشرة، فبعد إعلان استخدام العدو نوعاً جديداً من القنابل بهمجية، وبلا شفقة، أُنهي البيان بـ: لا شك أن قواتنا المقاتلة قادرة على صد هجوم العدو، لكن يجب أن نعلم أننا نواجه موقفاً من أسوأ ما يمكن تصوره. الحكومة ستفعل كل ما بوسعها للدفاع عن أرض الوطن وصيانة شرف الأمة، لكن علينا أن نتوقع

1- العاصمة الأولى لحكومة الصين الوطنية التي شكلها تشان كاي تشك في تايوان، وكان الحلفاء يتعاملون مع هذه الحكومة كممثل رسمي للصين في الأمم المتحدة، بعد أن سيطر ماوتسي تونغ على بكين وإعلانه نظام الحزب الواحد.

أن مئة مليون ياباني[1] ستنهض في الوقت المناسب، متخطية كل العقبات التي تعترض طريقها للحفاظ على دولتنا الوطنية.

لم يكن وزير الخارجية قادراً على منع إذاعة تصريح أنامي، كان حذراً من الرقابة الصارمة المفروضة على الجيش وردّ فعله العنيف على الاحباطات، لذلك أُعطيت الأوامر لوكالة أنباء دومي بعد ظهر نفس اليوم، لبثّ نص مذكرة اليابان الخاصة بقبول بيان الحلفاء بشفرة مورس، آملاً، بهذه الطريقة، منع استخدام القنبلة النووية الثالثة، حيث ظهرت اشاعات باحتمال قصف طوكيو في 12 آب، كما اعتقد في ذلك الوقت أيضاً أن الناس في جميع أنحاء العالم قد سمعوا برغبة اليابان في السلام، مما يشجعهم على إجبار حكوماتهم أن تكون منصفة وتقبل شرط اليابان الوحيد، حتى لو بدا غير مقبول.

لكن الجيش، الذي أهمل مراقبة بثّ شفرة مورس، انزعج للغاية حين علم بتصرف وزارة الخارجية، إلاّ أن ردّ الوزارة كان فقط لتوصيل ما أمر به الأمبراطور ووافق عليه مجلس الوزراء، فالجيش لا يمكنه الاعتراض بشكل صريح. لكنهم ربما بدأوا يفكرون في انتقام مناسب.

وافقت لندن على طرح واشنطن في الردّ على اليابان إعلان بوتسدام باستثناء واحد. أتلي، بيفن، وتشرشل وجدوا الطلب من الامبراطور التوقيع على اتفاقية الاستسلام يخلو من الدبلوماسية، واقترحوا بدلاً من ذلك أن يكون على الشكل التالي: «إن على الأمبراطور أن يخوّل رسمياً

1- 5في عام 1940 بلغ عدد سكان اليابان 73 مليون نسمة، ويبدو أن اليابانيين كانوا يضيفون إلى الرقم الرسمي الجاليات اليابانية المنتشرة في دول شرق آسيا، خاصة في منشوريا، كجزء من دعايتهم الحربية، ولم يبلغ عدد السكان مئة مليون إلاّ عام 1967، العام الذي صدر فيه هذا الكتاب. والجدير بالذكر أن الولادات في اليابان هي الأقل نسبة في كل العالم، مع ذلك تعتبر اليابان الأكثر كثافة بين كل دول العالم بالنسبة لمساحتها الصغيرة (272,313 في الكيلو متر مربع)، حيث يبلغ المتوسط فيها 855 ألف شخص في الميل المربع. (المترجمة)

من يوقع الاتفاقية من قبل الحكومة والقيادة العليا لليابان...» فوافقت واشنطن على الفور.

موسكو حاولت تأخير الردّ، ربما لأنها أرادت الاستمرار في الحرب لفترة أطول، وعندما جاء ردّها في الأخير لم يكن مرضياً إذ طلب مولوتوف رؤية مسؤول من القيادة الروسية العليا وآخر من القيادة الامريكية العليا؛ إلاّ أن افيرل. هـ. هاريمان، السفير الامريكي لدى موسكو ردّ بأن هذا الطلب (غير معقول اطلاقاً). وبعد مماطلات كثيرة تراجعت موسكو فاستقبلت واشنطن موافقة روسيا المرضية، أما تشونغ كنغ فقد أرسل موافقة الصين بسرعة.

صباح السبت، 11 آب، أمنت الولايات المتحدة موافقتها وموافقة حلفائها وأصبحت جاهزة لتسليم الردّ إلى الحكومة اليابانية عن طريق سويسرا، وفي نفس الوقت حاول كلٌ من ستيمسون وفورستل إقناع الرئيس الامريكي بوقف قصف اليابان على الفور، إلاّ أن ترومان قرر أن ذلك قد يشجع اليابانين على المماطلة في النقاش حول الردّ، وبدلاً من ذلك أمر سلاح الجو والبحرية بمواصلة القصف.

11 آب، نفس الصباح، وقبل ثلاثة عشر ساعة من توقيت واشنطن، ظهرت الصحف في شواع طوكيو وهي تحمل تصريح أنامي والتصريح الرسمي لمجلس الوزراء كل على حدة. وحيث تشكل صفارات الانذار خلفية للموقف، كانت لليابانيين الفرصة لأن يدرسوا هذين التصريحين المتناقضين. لم يكن اليابانيون يدركون أن حكومتهم تنتظر بفارغ الصبر ردّ الحلفاء على مذكرة اليابان المشروطة في قبول إعلان بوتسدام. «لقد عشت خلال فترة من العذاب بكل معنى الكلمة» كتب توشيكازو كازي من مكتب الخارجية، واصفاً ذلك السبت، وتصف هذه الجملة حالة أغلب الناس في اليابان، الذين حجب عنهم سرّ قرار اليابان الخطير - باستثناء بعض الضباط، حيث لم يكونوا مكتفين بهذا الانتظار السلبي.

المفارقة أن وزير الحرب الامريكي السيد بيرنس وصف نفس اليوم

قائلاً: «لم أشهد وقتاً يمر ببطء مثل هذا!»، لكن، وبسبب الفرق في التوقيت، كان السبت الذي كتب عنه بيرنس هو نصف اليوم التالي الذي كتب به كازي ملاحظته.

خلال ذلك، استمرت اليابان في حالة بَين بين: فهي ما زالت غير عارفة إن كانت في حالة حرب أو في حالة سلام، إن كان عليها معاودة النهوض من بين الرماد، أو الاستمرار في القتال إلى آخر رمق ضد عدو تجهل حجم قوته، وفي نفس الوقت لم يكن زعماؤها قادرين على إجماع حول خيار. كان اثنان من اخوة الأمبراطور الأصغر سناً ضابطين؛ الأول في الجيش والثاني في البحرية. الأخير، الأمير تاكاماتسو، دعا أعضاء العائلة الامبراطورية إلى اجتماع في بيته ليسمعوا رأي وزير الخارجية توكو حول الموقف. أما الأمير ميكاسا، الأصغر، وهو ضابط في الجيش، فقد زاره بعض رفاقه الضباط ممن فضلوا مواصلة الحرب وطلبوا موافقة الأمير على ذلك، لكنه رفض، وأراد معرفة مجرى الأمور في اليابان، فزوده توكو بالمعلومات. اجتمع توكو أيضاً بالماركيز كيدو، كاتم السرّ والناطق الرسمي أحياناً باسم الأمبراطور، كذلك فعل رئيس الوزراء سوزوكي ورئيس دائرة الاستعلامات شيمومورا. أما الأمبراطور، فقد استقبل الجنرال أنامي وأنّبه بسبب تصريحه. كانت تبريرات أنامي أن من الطبيعي أن يستمر الجيش في القتال إلى أن يصبح الاستسلام حقيقة. وكان أنامي قد استجوب من قبل مجلس الوزراء حول نفس الموضوع، فأعطى نفس التبريرات.

في ملجأ وزارة الحرب في منطقة (اجيكايا)، اجتمع قرابة 15 ضابطاً ليقرروا الخطوة القوية المطلوب اتخاذها للتأكد من استئناف الحرب، وقرروا أن الزمرة المؤيدة للسلام يجب أن تذهب: سوزوكي، توكو، وكيدو ادرجت أسماؤهم في لائحة الاغتيالات. أما الأمبراطور فيجب أن يكون (محميّاً) حتى لو استدعي ذلك احتلال القصر.

اللفتنانت كولونيل تاكيشيتا، عديل أنامي، الذي ترأس هذا الاجتماع

أكد لرفاق المؤامرة أنهم يمكنهم الاعتماد على دعم عديله الجنرال أنامي وزير الحرب. «طالما أن السمكة الكبيرة أصبحت في الشبكة، فإن السمك الأصغر سيدخل فيما بعد». أما بالنسبة لليفتنانت جنرال تاكيشي موري، قائد الحرس الامبراطوري، الذي كان واجبه حماية الأمبراطور، فإذا رفض الانضمام للمؤامرة يجب أن يذهب هو الآخر.

من بين الضباط الذين حضروا الاجتماع كان الليفتنانت كولونيل إنابا، المحرض على تصريح أنامي، والميجر كنجي هاتاناكا الذي سيكون الأكثر بروزاً في نشاط هذه الحركة المتمردة. حينما تفرقوا في النهاية، كانوا منقسمين حول نقاط التفاؤل في مذكرة الحكومة، أما مخططهم للانقلاب على النظام، فلم يكن هناك من سبب للاختلاف عليه، وبمجرد تنفيذ المخطط لن يكون ثمة خيانة، لأن شرف اليابان المقدس وجيشها الأمبراطوري لن يلطخا بعار الهزيمة؛ وبالمزيد من القتلى سوف تهدأ أرواح الذين ماتوا في الحرب. لم يكن الضباط متأثرين بمعاناة الشعب - بل شعروا أن عليهم التضحية من أجل تقليل معاناة الشعب.

في تلك اللحظة، كلُ من الضباط والناس كانوا حاضرين في ذهن الماركيز كيدو. كان مدركاً لخطر حدوث مؤامرة، ومدركاً أيضاً وجود خطر من الإعلان المفاجئ عن الهزيمة. كان مقتنعاً أن من الأسلم أن يكون الإعلان عن الاستسلام بواسطة الأمبراطور نفسه، خاصة وأن الأمبراطور كرر تأكيده أنه سيفعل كل ما يراه ضرورياً.

كان القلق والترقب يزدادان لدى كل من الحكومة والجيش بانتظار ردّ العدو. الأغلبية أملوا أن يكون الردّ مرناً بما فيه الكفاية لتستطيع الحكومة إقرار السلام - فيقبله الجيش، والقليل فضلوا العكس، لكن لا ردّ، أي كان، قد وصل. بعد مرور 45 دقيقة على انتهاء يوم الانتظار، التقط مكتب الخارجية بثّاً من سان فرانسيسكو يجيب على السؤال. إلاّ أن الجواب كان محبطاً.

في الساعة 12:45 بعد منتصف الليل، التقط راديو مكتب الخارجية

بثّاً، التقطه بعد ساعتين كل من البحرية ووكالة أنباء دومي، وعلى الفور عرف كل شخص من الذين كانوا على علم بعرض الحكومة الخاص بالاستسلام والفقرة الخاصة بـ[آخذين بالاعتبار أن البيان المذكور لا يشمل أي مطلب قد يكون مجحفاً بامتيازات صاحب الجلالة كحاكم مطلق]، أن الولايات المتحدة مصرّة أن تكون صلاحية الأمبراطور والحكومة اليابانية في قيادة الدولة خاضعة للقائد الإعلى لقوات الحلفاء. لكن، هل التقط البث الذي جاء عن طريق شفرة مورس بشكل صحيح؟ وإذا كان كذلك كيف كانت العبارة (خاصعة لـ) قد تُرجمت؟ وماذا عنت بدقة؟.

كان مكتب الخارجية مدركاً بشكل جيد، رغم أن اللغة الإنكليزية واللغة الدبلوماسية غير مألوفتين للجيش، فإنه يعدّ ترجمته الخاصة، التي لن تكون مؤيدة لاعلان بوتسدام كما وضع صيغتها السيد بيرنس، وبالفعل فقد قرر الجيش أن (خاضعة لـ) يجب أن تترجم بما معناه (محكوماً بـ) فضلاً عن (مذعناً لـ). وبعد مداولات غير سارة اتفقوا، ان الفقرة قبل الأخيرة لا تفيد بما يعني السيادة المطلقة للأمبراطور، وعرفوا أيضاً أن هذه العبارة قد تستعمل من قبل الجيش كذريعة للاستمرار في الحرب. لقد قُرأت الفقرة كالتالي: إن الهيئة العليا لحكومة اليابان، سوف تقام بناء على الإرادة الحرة للشعب الياباني، طبقاً لإعلان بوتسدام.

إذا كانت كلمة (حكومة) تتضمن الامبراطور، فإن اليابان ملزمة برفض الردّ الأمريكي، لكن ساكوميزو وماتسوموتو قررا أن لا يفعلوا ذلك؛ وعلى ضوء قراراهما توجه الأول ليعرض الأمر على سوزوكي والثاني على توكو.لم يكن من السهل حلّ أحداث ذلك اليوم المكتظ بالتناقضات، وسوء الفهم، والمناورات من خلف الكواليس، وإزاحة تحالفات، واستعداد لتمرد، ومشاعر الخوف والتردد. لم يكن مزاج أحد يسمح بتسجيل ملاحظات أو شحذ الذاكرة.

بدا واضحاً أن الأمبراطور اطّلع بواسطة الماركيز كيدو في وقت مبكر

على مضمون البث الملتقط، وكان كيدو، وهو أحد الأهداف الرئيسية للزمرة المؤيدة للحرب، قد أصبح منذ المجلس الأعلى للحرب مقيماً بشكل دائم في القصر، ليكون أقل عرضة لرصاص الاغتيال، وأكثر وجوداً قرب الأمبراطور. وحتى بقية ذلك اليوم ظلّ ملازماً للأمبراطور بشكل دائم.

كانت الساعة 8 صباحاً، عندما درس وزير الخارجية الردّ الأمريكي وترجمته غير النهائية، فقرر أن على اليابان قبوله رغم عدم رضاه الكامل عنه، فهو الآخر توقع أن يُستغل من قبل الجيش، مع ذلك اعتقد توكو أن كيان الدولة الامبراطورية سيكون مصاناً بنفس هذه الصيغة، أما إذا رفض الردّ الأمريكي فستنتهي اليابان. إلاّ أن الضباط الأغرار في الجيش والبحرية، المعتدّين بشبابهم، قرروا أن على اليابان رفض الردّ الأمريكي.

مثل العاصفة، اتجهوا إلى مقر الجنرال اوميزو والادميرال تويودا وطلبوا إذاعة بيان على الشعب يرفض الردّ الأمريكي، ومع إصرارهم الشديد ذهب اثنان من رؤوساء الأركان إلى القصر، وفي الثامنة والعشرين دقيقة استقبلهما الأمبراطور، وبعد أن عبّرا عن اعتراضهما على الردّ الأمريكي، لم يميز جلالته إن كانا يتحدثان بالنيابة عن الآخرين، أو يعبّران عن نفسيهما فقط! مع ذلك شكرهما وقال إنه لن يدلي بقرار حتى وصول الردّ الأمريكي رسمياً ودراسته.

كان رئيسا الأركان قد طلبا هذه المقابلة من دون استشارة مسبقة من رؤوسائهما، وكان وزير البحرية الادميرال يوناي منزعجاً للغاية حين علم بتصرف تويودا. لكن وزير الحرب، الجنرال أنامي كان ميالاً إلى الرفض على الرغم من أنه مرّ بموقف صعب عندما اقتحم غرفته في الساعة العاشرة دزينة من الضباط الشبّأن وهم في حالة قصوى من الهياج، وتحدث بلسانهم اللفتنانت كولونيل تاكيشيتا، الذي أعلن بصوت وحشي، بارد «إن موضوع الاستسلام يجب أن يُرفض، وإلاّ فإن على وزير الحرب أن ينتحر بسيفه الخاص». كان أنامي قد اكتفى بالتحديق بنسيبه بشفاه مطبقة.

في الساعة الحادية عشرة استقبل الأمبراطور وزير الخارجية توكو وسمع منه ترجمة ردّ الحلفاء، فوافق عليها مع التوصية بقبولها. وطلب من الوزير أن ينقل رغبته هذه إلى رئيس الوزراء. لكن سوزوكي كان في ذلك الوقت يخضع وبالتدريج لضغوط زائرين معارضين تماماً، هما وزير الحرب الجنرال أنامي، والبارون هيرانوما رئيس مجلس السر، اللذان كانا وإلى آخر لحظة يرغبان برفض رد الحفاء، وكانت قناعتهما أن أضعف حلقة في السلسلة المحيطة بالعرش هو رئيس الوزراء.

كان سوزوكي رجلاً كبير السن، الأحداث الأخيرة شتّت تفكيره، وهو مذبذب بطبيعته، فاقتنع بسرعة أن الرد الامريكي يعني، في الواقع، نهاية الدولة الأمبراطورية. وقال هيرانوما بما أن الأمبراطور مقدس، فليس ثمة مجال للناس لتقرير وضعه: هذا يعتبر تغيير غير مقبول في دولتنا الوطنية. أما أنامي فقد ذكّر سوزوكي أنهم اتفقوا على رفض الإعلان طالما لا يتضمن صيانة الكيان الامبراطوري، فوافق الرجل العجوز على الوقوف بثبات إلى جانبهما لحماية العرش.

بعد أن غادر أنامي سوزوكي، ذهب الجنرال لمقابلة الامير ميكاسا، الأخ الثالث للامبراطور، وكان أنامي يعتقد بإمكانية إدراجه إلى صفه مع مؤيدي استمرار الحرب، لكن جلالته أخبر أنامي بطريقة جافة أن كل ما فعله الجيش منذ احتلال منشوريا كان ضد رغبة الأمبراطور ولا يزال.

في وقت متأخر من نفس اليوم، اجتمع الأمير ميكاسا وأمير آخر مع عائلتيهما بالامبراطور، وقدموا دعمهم وتأييدهم لقراره في إنهاء الحرب وإحلال السلام. في نفس الوقت، عقد مجلس الوزراء جلسة طارئة، وبعد أن قرأ سوزوكي ترجمة الردّ الامريكي، كرر أنامي وهيرانوما نفس جدلهما الصباحي، وطلب أنامي أيضاً إعادة نفس الشرطين اللذين طُرحا من قبل. فهبّ توكو غاضباً وأعلن أن أي طلب اضافي سيؤدي إلى وقف المناقشات، لأن هذا مخالف لقرار الأمبراطور، ويؤدي إلى استمرار الحرب، كما يؤكد أنه (تصرف غير عقلاني). بهذا غادر توكو

الغرفة ليتصل بنائبه ماتسوموتو، الذي ضغط على توكو لفض الاجتماع تجنباً للتصويت. ثم سمع توكو أن سوزوكي يقول بما أن رد الحلفاء ليس فيه ما يضمن حماية الكيان الامبراطوري، فعلى اليابان أن تطلب توضيحات وتستمر الحرب ما لم يأت منهم ما يرضي اليابان، فعلق توكو بسرعة: «إن ما قاله رئيس الوزراء يستوجب الانتباه!»، وطلب، مهتاجاً، عقد محادثات خاصة مع سوزوكي، حيث أخبره بطريقة فظّة أن موقفه مبهم، لأن الأمبراطور نفسه قرر الاستسلام، وبعد ذلك أضاف تهديداً مبطناً إذا لم يرجع سوزوكي طوعاً إلى مواقفه السابقة، فإنه سيطلب من الأمبراطور أن يأمره بذلك.

بهذا غادر توكو رئيس الوزراء ناقلاً كوارث ذلك اليوم إلى الماركيز كيدو، الذي أكد لتوكو أنه سيفعل ما بوسعه لإعادة سوزوكي إلى الخط.

نتيجة للشائعات التي راجت وهي تنتقل بين وزراة الحرب ووزارة البحرية، نشرت دائرة بوليس العاصمة حرساً خاصاً في مناطق ستراتيجية داخل المدينة، ووضعت رقابة صارمة على عدد من الضباط الذين كانت الاشاعات تدور حول تورطهم في مؤامرة. من ناحيته، اتصل معاون توكو، نائب الوزير ماتسوموتو، بقسم التلغراف في الوزارة وأمر الضابط المناوب بتسجيل كل اتصال رسمي يصل خلال الليل، على أنه وصل في الصباح التالي، وكانت فكرته تزويد توكو وبقية (جماعة السلام) بالمزيد من الوقت لكي يتعرفوا على دفاعاتهم. لذلك، فإن مذكرة أمريكا الرسمية التي وصلت طوكيو في الساعة 6:40 مساء في 12 آب، كانت قد ختمت في الساعة 7:30 صباح 13 آب.

الساعة 9:30 مساء الأحد، استدعي رئيس الوزراء سوزوكي إلى مكتب كيدو كاتم السر في القصر. هناك ظلّ سوزوكي مصغياً بصمت إذ كان كاتم السر يكرر، مرة أخرى، الحديث الذي يعرفه الجميع عن أفضلية التعجيل بالاستسلام. رسم كيدو مخططاً – لكن ليس بدقة – عن صورة لمئات الآلاف، أو ربما الملايين، من الناس الذين سيقضي عليهم

استمرار الحرب، خاتماً حديثه بان الاستسلام في كل الأحوال هو رغبة جلالته. فوافق العجوز على أن يقف بثبات مع كيدو وتوكو في الدفاع عن العرش.

كانت ليلة صاخبة. حين وقف الجنرال أنامي ينظر عبر الفضاء بعيداً، باتجاه الظل الجميل، الحاد، لجبل فوجي[1] الذي يقف شامخاً في سماء الصيف البراقة. ربما لن يرى أنامي هذا المنظر مرة أخرى، فولج البوابة بصمت. كان قد عاد إلى بيته في (ميتاكا) خارج طوكيو، ليقول وداعاً لعائلته، وفي ذهنه صورة واضحة لما سيأتي به المستقبل.

في الليل زاره الليفتنانت كولونيل إيْدا، والميجر هاتاناكا، ذلك الشاب الرقيق، الشاحب، الذي كان أكثر الضباط الشباب تعصباً في إصراره على الاستمرار في الحرب حتى النهاية. كان الغرض من زيارتهم المتأخرة الطلب من وزير الحرب أن يفعل ما بوسعه للحيلولة دون قبول إعلان بوتسدام. ظلّ الجنرال ممزقاً بين رغبة رؤسائه لإنهاء الحرب، وميله الشخصي إلى إصرار هؤلاء الضباط. واستمر الاجتماع مع معاونيه الآخرين. وفي حوالي الساعة الرابعة من صباح الأثنين 13 آب، أمر أنامي الميجر هاياشي بنقل رسالة شفوية إلى رئيس الأركان الجنرال اوميزو، تقول إن وزير الحرب يرغب بسؤال الفيلد مارشال هاتا لتقديم التماس إلى الأمبراطور، نيابة عن الضباط الصغار في الجيش، لرفض إعلان بوتسدام. بقي اوميزو صامتاً، وراح يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، وأخيراً قال: «يجب أن تعذرني، أنا افضّل قبول إعلان بوتسدام».

هذا الرد، الذي عاد به هاياشي إلى وزير الحرب، كان مفاجئاً جداً، إذ كان أنامي يعتقد أن اوميزو أحد حلفائه الثابتين. بعد ذلك عاد أنامي محاولاً النوم على الأقل لساعة أو ساعتين رغم مشاكله.

1- أعلى جبل بركاني في اليابان (12,389 قدماً). يشاهد من طوكيو التي يبعد عنها 88 كيلومتراً، يعتبر هذا الجبل مقدساً بالنسبة لليابانيين، وقمته تظل مغطاة بالثلج طوال أيام السنة. (المترجمة)

خلال نفس تلك الليلة، وصلت برقية إلى مكتب الخارجية من سفير اليابان في استكهولم يقول فيها إن كلاً من روسيا والصين كانا ضد الأمبراطور، وهذا الرأي في بريطانيا يشتد بنفس الاتجاه. أما الولايات المتحدة، فقد كانت تتعرض للضغط لتغيير رأيها، بينما الاتحاد السوفييتي يتقدم بأقصى سرعة باتجاه الصين: «أي تأخير في قبول العرض الامريكي سوف يجعل الموقف أسوأ، إذا لم يكن مستحيلاً بالنسبة لليابان». كانت رسالة السفير تعطي تأكيداً لما يعرفه مكتب الخارجية في الأصل، لكنها لم تحلّ المشكلة.

في الساعة 7:10 صباحاً، أُدخل الجنرال أنامي إلى مكتب الماركيز كيدو. شؤم، قال الجنرال، لن نكسب الحرب، وحيث أنه يعتقد أن هذا الدفاع المحموم عن أرض الوطن سينتهي إلى قبول أكثر من شروط الحلفاء، فهو يفضل بقوة حالة الحرب. فأشار كيدو إلى أن الأمبراطور نفسه لم يعترض على تلك الشروط التي يجدها الجيش مهينة جداً، وعلى كل حال فإن القرار قد اتخذ وأرسل إلى الحلفاء، وإذا غيّر صاحب الجلالة رأيه الآن سيبدو مجنوناً أو معتوهاً. كيف يتقبل أنامي رؤية الأمبراطور وهو يتراجع؟.

ابتسم أنامي ليجيب: «لا يمكن أن تتخيل ما يجري في الوزارة!» قال ذلك وهو يغادر المكتب. وقد استخف الجنرال بالماركيز كيدو، الذي يدرك صعوبة موقف أنامي. لم يكن وزير الحرب متعصباً، لكنه رجل جيش، اراد أن يفعل أفضل ما لديه من أجل سيادة الأمّة، التي أقسم على الدفاع عنها، كما أقسم للجيش الذي يقوده الآن. قرر الجنرال أنامي أن لا يعود إلى وزارته، وفي الساعة التاسعة انضم إلى بقية أعضاء المجلس الأعلى للحرب، في اجتماع داخل ملجأ المقر الرسمي لرئيس الوزراء. والمفاجأة أن هذا المجلس لا يزال منقسماً حتى الآن، ثلاثة إلى ثلاثة: سوزوكي، توكو، ويوناي من جهة، أنامي ورئيسي الأركان اوميزو وتويودا في الجهة الأخرى، جماعة (القبول العاجل) ضد جماعة

(استئناف الحرب). كان اوميزو متردداً، بَيدَ أنه لن يخذل رئيسه. تويودا رفض قبول ترجمة توكو لـ (خاضعاً لـ..) ولم يهضم ما يدعيه الردّ الامريكي عن (إرادة الشعب الياباني الحرّة..).

استدعي تويودا واوميزو خارج الاجتماع لمقابلة الأمبراطور، الذي أشار إلى أنه طالما اليابان تناقش دبلوماسياً موضوع وقف النار، فإن أي تحرك ضد العدو يجب أن يُحصر الآن في أضيق ما يمكن. فأعطى كلا من رئيسي الأركان، نيابة عن القيادات الامبراطورية، تعهدهما للامبراطور بعدم اتخاذ أي تصرف عدواني مهما كان إلاّ في حالة الدفاع إذا تطلب الأمر. بعد ذلك عادا إلى المجلس الأعلى للحرب، حيث المداولات مستمرة. أما المشاورات في (ايجيكايا) فقد كانت تجري بشكل مخلتف. كانت وزراة الحرب مثل خلية نمل ضخمة هائجة، مئات من النمل المحارب يروحون ويجيئون في الممرات الطويلة، قرون الاستشعار منتصبة في رؤوسهم لالتقاط النتيجة التي قد تحلّ أزمتهم. التصرف بدون وزير الحرب سيكون أمراً صعباً، إن لم يكن مستحيلاً، بينما أنامي لحد الآن لم يقل (نعم) أو (لا). نعم الواضحة كانت ما يريدون، إلاّ أن لا واضحة قد تطلقهم، على الأقل ليحاولا التصرف من دونه بحرية. النمل المحارب كان يقاد بغريزته لحماية خليته، رغم أن النتيجة قد تدمر ليس الخلية فقط، إنما العش كله بالمئة مليون الذين يسكنونه أيضاً.

لم يتوصل المجلس الأعلى للحرب إلى نتيجة حتى الآن، وانفض اجتماعه ظهراً للغداء.

في واشنطن، رغم أن الرئيس ترومان بدأ يفقد صبره، فقد قرر الوثوق بمؤشرات طوكيو على قبولها، واعتبر الأمر مسألة ساعات، وفي تعليماته للجنرال ماك آرثر قال ضمن عدة أشياء: «من لحظة الاستسلام، فإن صلاحية الأمبراطور والحكومة اليابانية في قيادة الدولة ستكون خاضعة لك، وستتخذ الخطوات التي تراها مناسبة لتنفيذ شروط الاستسلام».

في طوكيو، خرج الادميرال يوناي من اجتماع المجلس الأعلى للحرب غير الحاسم، ليعود إلى مكتبه في وزارة البحرية، واستدعى نائب رئيس أركانه الادميرال اونيشي، وهو هائج، عدواني، مخترع عملية الريح المقدسة (كاميكازي)، الهجوم الانتحاري بالطائرات الذي سبب خسائر مرعبة في صفوف العدو. كان وزير البحرية قد علم أن اونيشي تحدث بمرارة لبعض أعضاء المجلس عن افتقار الوزير لرغبته في القتال، وهذا يتضمن ما معناه جبن يوناي. وعندما سأله يوناي كيف تجرّأ على الاستخفاف بوزيره بقول شيء كهذا، انهار اونيشي وصار يبكي. حاول الاعتذار، إلاّ أن الشهقات خنقته فعجز عن الكلام. في الوزارة بـ (ايجيكايا)، النمل المحارب ما زال في هياج. وضعوا الخطة التي أملوا أنها ستحرر اليابان وامبراطورها من الجبناء، تجار السلام، الخونة الذين يسعون لتسليمهما (اليابان والامبراطور) للعدو. ذهب الضباط أولاً إلى نائب رئيس الحرب اللفتنانت جنرال تادايشي واكاماتسو، الذي أصغى لهم بصمت فسروه كصمت كريه، مع ذلك تابعوا تقدمهم إلى وزير الحرب نفسه الجنرال كوديشيكا أنامي. بالاضافة إلى أنامي وواكاماتسو، حضر اللفتنانت جنرال نوكادا مدير مكتب الموظفين، والكولونيل هيرو ساتو رئيس قطاع الاستعدادات الحربية.

بدأ أحد الضباط الشباب بعرض مشروع كانوا أعدوه، لكن ساتو قاطعه قائلاً: «في الظرف الحالي الذي نحن فيه، لا أستطيع الموافقة على تنفيذ خطتك». كان الضباط على وشك الاحتجاج، عندما اندفع إلى الغرفة فجأة الميجر كنجي هاتاكانا، من قطاع الشؤون الحربية، وكان مليئاً بالغضب، وأشار باصبعه إلى ساتو وصرخ: «هناك خائن في الجيش! يجب اتخاذ الاجراءات لتجريده من واجباته!».

لم يتحرك أحد. بدا للرجال الصامتين الموجودين في الغرفة كما لو أن قنبلة ستنفجر الآن. ثم سُمع صوت الجنرال أنامي الهادئ يقول: «عند هذه النقطة، الشيء الرئيسي أن كلاً منا يثق بالآخر». ثم ابتسم للميجر هاتانكا،

الذي كان مشمولاً برعايته إلى حد ما، وكان على وشك مغادرة الغرفة في طريقه إلى اجتماع مجلس الوزراء، عندما تقدم المتحدث بلسان مجموعة الضباط الشباب إلى الأمام ليقول: «الضباط في وزارة الحرب قرروا اتباع وزيرهم في أي إجراء يتخذه. رجاءاً كن على ثقة من ذلك». ما إن غادر أنامي لاحظ أن وجوه الضباط الشبّان كانت متوهجة كما لو أنهم شربوا الخمر. كان على وشك أن يواجه مجلس الوزراء، ليصرّ على تأكيدات أكثر من الولايات المتحدة، كما علم أيضاً أنه قبل ذلك بكثير عليه مواجهة الرجال الشباب أيضاً - وإلاّ وقع ضمن مخططاتهم للاغتيالات.

لم يكن هؤلاء الشباب وحدهم في هذه الحالة غير الطبيعية من الهياج، بل كانت جماعات صغيرة من الشباب المدنيين أيضاً تصر على مقاومة الاستسلام.

مثلاً، أحد أعضاء اتحاد الطلبة (3)، وهو شاب هادئ تماماً، في السنة الثالثة بدراسات الكيمياء في مدرسة يوكاهاما الصناعية العليا، اسمه تاكيو ساساكي، قرر في وقت متأخر من ذلك الاثنين أن يواصل ما كان على الجيش أن يواصله بالاستمرار في الحرب - بغض النظر عمّا قررته الدولة بشأن الاتفاقية. وفي جزء آخر من طوكيو، في طريق مقفر، قاد سائق دراجة بخارية منزوٍ دراجته عبر طرق صخرية مجنونة، وكان صوت المحرك وحده يضرب في هذا الطريق المؤدي إلى العاصمة. كان السائق هو الميجر هيديماسا كوكا، ضابط أركان بقسم الحرس الامبراطوري، وهو عديل الجنرال هيديكي توجو. كان كوكا متجهاً إلى بيت توجو في منطقة سيتاكايا جنوب غرب مركز العاصمة طوكيو، وعلى الرغم من أن بيته مجاور لبيت توجو، فإن كوكا لا يذهب إليه بصورة دائمة، لأنه يعمل على بناء ملجأ للعائلة الامبراطورية ضد الغارات الجوية، وينام في مقر العمل. اليوم كان عيد ميلاد زوجته، لكن أمراً استثنائياً كان يعتمل في دماغه.

أعطى هدير المحرك إشارة عن وصوله، فأسرعت حماته لمقابلته.

بعد تحية قصيرة لم يتوجه إلى زوجته، بل إلى مكتب حماه، رئيس الوزراء السابق لليابان. كان الميجر كوكا وسيماً، جريئاً، ضابطاً في كتيبة الفرسان، يختلف بشدة عن الجنرال توجو، القصير (أقل من خمسة أقدام وخمس إنشات) أصلع مع نظارات قديمة وشوارب. لم يكن الاثنان قادرين على الحديث ذلك المساء. كان حماه منشغلاً مع ضيف له، فأكمل كوكا طريقه إلى الجانب الخلفي من البيت، هناك قال لحماته: «أمّي، لم ترتبي البيت اليوم، أليس كذلك؟ مقر عملي دائماً مرتّب». لم تعرف السيدة توجو بماذا ترد عليه. ثم حمل ولده (11 شهراً) إلى الأعلى وقال لزوجته: «أريد الحديث إليك على انفراد». ذهبا إلى القبو في الأسفل، الذي يعتبر ملجأ العائلة، وبعد لحظات قليلة عادا إلى الأعلى، وقال رداً على نظرة السيدة توجو المتسائلة: «جئت لأسأل ماكي إن كانت تريد الاحتفاظ بشعري وقصاصات من أظافري». وتعتبر هذه الأشياء في اليابان الارث الذي يتبقى من الموتى، فألقت السيدة توجو نظرة خاطفة على ابنتها بينما واصل الميجر كلامه: «سأعود إلى البيت قريباً، فقط تذكري شيئاً واحداً؛ عندما تأتي العاصفة، لا تهربي، دعي عينيك مفتوحتين، ووجهك إلى الأعلى، وأمشي مباشرة إليها». بهذه الكلمات غادر كوكا. وبعد قليل غادر ضيف الجنرال هو الآخر، وبقيت العائلة لوحدها. حين أخبرت المرأتان الجنرال عن سلوك عديله الغريب، توجه على الفور إلى وزارة الحرب في (ايجيكايا).

ذلك المساء، اجتمع مجلس الوزراء مرة أخرى، في محاولة للحصول على اجماع المجلس الأعلى للحرب. وبالرغم من أن رؤساء الأركان ليسوا أعضاء في مجلس الوزراء، ولم يكن أنامي وحده معارضاً لقبول إعلان بوتسدام، فقد أعلن وزير الداخلية أنه لا يعتقد أن الدولة القومية ستكون مصانة تحت الاحتلال الاجنبي، وأكد وزير العدل أن فكرة حق الشعب في تقرير شكل حكومته لا ينسجم مع نظام الدولة اليابانية. بدأ الاجتماع في الساعة الرابعة، وفي الساعة السابعة طلب سوزوكي

الاجماع على رأي. نظراً لهذا قال سوزوكي بما أننا فشلنا مرة أخرى في الاتفاق، أقترح أن نسأل صاحب الجلالة إصدار قرار امبراطوري آخر.

بعد الاجتماع سأل أنامي رئيس الوزراء: «هل تمهلني يومين فقط، قبل أن تذهب إلى الامبراطور مرة أخرى؟».

هزّ سوزوكي رأسه، وقال: «آسف، فرصتنا الآن وعلينا الامساك بها في هذه اللحظة».

بعد مغادرة أنامي، كرر أحد ضباط البحرية نفس طلب وزير الحرب: «هل يمكن الانتظار ليومين فقط؟»، فردّ رئيس الوزراء: «مستحيل. إذا لم نتصرف الآن، فإن الروس لن يجتاحوا منشوريا وكوريا فقط، إنما شمال اليابان أيضاً. إذا حدث هذا، ينتهي بلدنا. يجب أن نتصرف الآن طالما أن قيادة العدو بيد الولايات المتحدة».

قال ضابط البحرية: «الجنرال أنامي سيقتل نفسه».

قال سوزوكي: «نعم. سيكون ذلك مؤسفاً جداً».

كان سوزوكي مقتنعاً، مثل توكو وكيدو، أن أنامي، ورغم معارضته لهما، فإنه سيفعل ذلك ليمنع ضباطه من التورط في تمرد عام. (كان أنامي في موقف أكثر خطورة من الآخرين). يبدو أن سكرتير مجلس الوزراء ساكوميزو قد اكتشف في نفس اليوم محادثة يخبر فيها أنامي مقر قيادته، في كذبة واضحة، أنه طلب من مجلس الوزراء التريث، وأنهم سيتفقون مع رأيه في النهاية.

لاحقاً، أعلن سوزوكي أن رفض أنامي الاستقالة من مجلس الوزراء، سيجعل وقف الحرب ممكناً بدون مشاكل.

حصل ساكوميزو على تواقيع اثنين من رؤوساء الاركان لطلب عقد اجتماع امبراطوري، لكنهما جعلاه يعد أن هذا الطلب لن يستخدم إلى أن يعطياه موافقتهما النهائية، ثم طلبا مقابلة خاصة مع توكو. كان الوقت يجري بسرعة، وكلا الجماعتين تدركان هذا.

في الساعة 8، استدعي عشرة من الضباط الشباب إلى مكتب الجنرال

أنامي في مقره الرسمي في (مياكيزاكا). هناك يعتبر الجو أقل حرارة من مباني المدينة الصلبة والقاتمة، مع ذلك كان الضباط يمسحون وجوههم لدى دخولهم مكتب الوزير. لقد جاءوا لضمان موافقته على تنفيذ الانقلاب العسكري في الساعة 10 من الصباح التالي. في البداية قال الميجر هاتاناكا إن الجماعة المؤيدة للسلام تخطط لاغتيال أنامي إذا بقي مصراً على معارضته الاستسلام العاجل. ضحك أنامي واستدار إلى الكولونيل آراو، رئيس قطاع الشؤون العسكرية في الوزارة. كان آراو في موقع خطير مثل أنامي نفسه؛ كان يعلم أن أنامي لن يؤيد الانقلاب، ومثله أيضاً يتصرف كما لو أنه الناطق الرسمي باسم الضباط المتمردين.

أوضح آراو النقاط الرئيسية للخطة: إن اليابان لن تستسلم إلى أن تحصل على تأكيدات لصيانة الكيان الوطني، ورغم أن قرار الأمبراطور قد أُتخذ، فلا يزال أمامنا تحديد إلى أي مدى كان الأمبراطور متأثراً بالرجال الذين حوله. الماركيز كيدو، رئيس الوزراء سوزوكي، وزير الخارجية توكو، والادميرال يوناي، الذين يجب اعتقالهم، وأن تعلن الاحكام العرفية، ويُحاصر القصر الامبراطوري. تنفيذ الانقلاب المفترض بمساعدة الجنرال أنامي وزير الحرب، الجنرال اوميزو رئيس اركان الجيش، الجنرال شيزوايجي تاناكا، قائد القطاع الشرقي للجيش، والجنرال موري قائد قسم الحرس الامبراطوري الأول.

أصر الكولونيل آراو على أن الجنرالات الأربعة يجب أن يتفقوا قبل اتخاذ أي إجراء. كان رد أنامي أن الخطة تنقصها التفاصيل لتكون فاعلة، ولم يقل إن كان معها أو ضدها، وعندما ضغط عليه الضباط للردّ بكلمة محددة، أخبر الكولونيل آراو بأن يعود في منتصف الليل لمحادثات أخرى، ورفض التحدث أكثر في ذلك الوقت، وتمنى لهم ليلة طيبة.

عندما اعترض معاونه الميجر هاياشي على عدم اعطاء المتآمرين رفضه الصريح، هزّ أنامي كتفيه بلا مبالاة، وقال: «حسناً، سيكون لدي كلام آخر مع آراو».

من الساعة 9 إلى 11 مساء ذلك الاثنين، اختلى توكو برئيسي الاركان الذين حاولا عبثاً تغيير رأسه بشأن شروط الاستسلام، وبمجرد مغادرتهما دخل الادميرال أونيشي بشكل غير متوقع. كانت لديه خطة جديدة ليعرضها على وزير الخارجية. قال إنه مستعد، إذا وافق الأمبراطور، للتضحية بعشرين مليون ياباني في هجوم انتحاري (كاميكازي)، وفي هذه الحالة لا يوجد شك بتحقيق النصر. لكن وزير الخارجية رفض هذا العرض الكريم أيضاً.

في منتصف الليل، أخبر الجنرال أنامي الكولونيل آراو أنه يشك كثيراً بنجاح الانقلاب، لكن آراو غادر بعد ذلك بوقت قصير من دون أن يسمع كلمة «نعم» أو «لا» من وزير الحرب. هل سيحاول الجيش تنفيذ الانقلاب أم لا؟ أنامي وعد بجواب أكثر ايجابية في الصباح. ومع هياشي تساءل أنامي بمرارة: «لا أعرف إن كان آراو سيترجم كلامي ليعني أنني ضد الانقلاب!» فقال هياشي: «ولا أنا أعرف».

غادر أنامي وزارته للحصول على القليل من النوم، لكن الوزارة نفسها بقيت مستيقظة. بعض اليابانيين المولودين في أمريكا كانوا منشغلين في قسم المعلومات لمتابعة ما يبثه الحلفاء وترجمته إلى اليابانية. وفي اندفاع الزوبعة، صرخ الكولونيل تومومي أويادوماي، عضو قسم المعلومات الذي كان يستلم أخبار الهزيمة أولاً بأول: «هل أنتم راضون؟ أن تخسر اليابان الحرب؟ هل يسعدكم ذلك ؟» ثم سحب سيفه بوجه أعضاء القسم وأضاف: «يجب أن اقتلكم جميعاً». لم يردّ أحد، ولم يعرف أحد بماذا يردّ، فصرخ اويادوماي: «أنتم خونة، كلكم!» وكان يشهر سيفه والدموع تنهمر على وجهه، بعدها غادر، تاركاً البقية لمتابعة مهمتهم غير المجدية.

بعد بضع ساعات قليلة من النوم، تناول الجنرال أنامي فطوره في الصباح التالي، الثلاثاء 14 آب، مع الفيلد مارشال هاتا، العائد تواً إلى طوكيو حاملاً تقريراً عن الموقف في هيروشيما. قال إن المدينة لا

توصف، والوضع محزن للغاية، الذين كانوا قد نجوا الآن ماتوا، أو على وشك الموت من آثار الاشعاعات، والناس الذين كانوا في الملاجئ يبدو أنهم هربوا من المدينة.

أكد أنامي عليه أن يذكر هذه الحقائق للامبراطور، إذ قد تؤثر على قراره النهائي.

في الساعة 7، ذهب أنامي إلى وزارته في (ايجيكايا)، وفي السابعة أيضاً اطلع الماركيز كيدو على منشور من تلك المنشورات التي ألقتها قوات الحلفاء بالملايين فوق اليابان، معطية اليابانيين ترجمة رد الحكومة اليابانية الذي تقبل فيه الاستسلام مؤرخاً في 10 آب، وردّ الوزير الامريكي بيرنس مؤرخاً في 11 آب. قال كاتم السرإنه مملوء بالرعب: «لو أن هذا المنشور وقع بأيدي الجنود، فسيثيرهم، ويكون الانقلاب العسكري أمراً لا يمكن تجنبه، ويصبح من العسير تنفيذ السياسة المخطط لها. وهذا سيضع اليابان في أسوأ موقف».

كان الضباط الشبّان في ايتجيكايا مصرّين على مقابلة الوزير. كان من المفترض ان يبدأ انقلابهم المزمع في الساعة العاشرة، أي بعد ثلاث ساعات فقط من الآن. لذا طلبوا موافقة أنامي حالاً، وكانوا قد سألوا مقدماً كلاً من الجنرال تاناكا والجنرال موري للحضور إلى مقر الوزارة لاجتماع خاص. الجنرال أنامي ذهب مع الكولونيل آراو إلى مكتب رئيس الأركان، الجنرال أوميزو، الذي أعلن بشدّة معارضته للانقلاب -اذ لا هدف له سوى محاكمة ومعاقبة المخطئين. الضباط الشبان، مع ذلك، أصرّوا على طلبهم من أنامي، بينما أصرّ أنامي على رفضه غير الصريح.

قال كيدو إن اطلاع صاحب الجلالة على المنشور الذي وزعه الحلفاء يمكن أن يكون الطريق الوحيد للخروج من هذا المأزق الخطير، بعقد اجتماع امبراطوري ثانياً. وافق الامبراطور، وأمر كيدو بالاتصال برئيس الوزراء. وما أن غادر الغرفة، حتى وجد سوزوكي بانتظاره. ردّاً على سؤال كيدو فيما إذا كان عليه طلب عقد اجتماع آخر للمجلس الأعلى للحرب،

قال سوزوكي، أنه يمرّ بوقت عصيب، الجيش يريده أن ينتظر إلى الساعة الواحدة، بينما البحرية تريد الانتظار لفترة غير محددة. في الثامنة وأربعين دقيقة تقدم سوزوكي بصحبة كيدو أمام الامبراطور، بعد اثنا عشر دقيقة، أعطى الامبراطور موافقته الشخصية على عقد الاجتماع في الساعة العاشرة والنصف. في العاشرة، استدعى الامبراطور كلاّ من الفيلد مارشال هاتا، والفيلد مارشال سوغياما، والأدميرال ناغانو لمقابلته، وأخبرهم أنه قرر انهاء الحرب وأمرهم بتأييد قراره هذا، وكذلك الجيش والبحرية.

في نفس الوقت تقريباً، الليفتنانت كولونيل تاكاشيتا والميجور هاتاكا استلما بلاغاً يفيد بأن رئيس الأركان أوميزو قد غيّر رأيه بشأن الانقلاب. هذا يعني أنه إذا ضمنوا موافقة وزير الحرب، فإن المضي في الطريق سيكون مأموناً. بثقة عالية، اندفعا إلى القصر الامبراطوري ليجدا ان أنامي كان قد دخل قبل فترة إلى الملجأ تحت الأرض، حيث سيُعقد الاجتماع مع الامبراطور، مثل سابقه الذي عُقد قبل خمسة أيام.

في العاشرة والنصف، كان أعضاء مجلس الوزراء وأعضاء المجلس الأعلى للحرب، وبعض الرجال الآخرين المهمين في الحكومة قد تجمعوا. كانوا قد أُخبروا ان لا يلبسوا الزي الرسمي، فكان البعض، حيث الطقس الحار والرطوبة العالية، قد استعار ربطات عنق وجاكيتات معاونيهم. كانت الغرفة تحت الأرض ليست فقط رطبة، بل مليئة بالعفن، والماء ينز من السلم المؤدي اليها. في الوقت المحدد وصل الامبراطور، وبعد خمسة وعشرين دقيقة صارت الغرفة مثل حمام بخار صغير.

كان صاحب الجلالة يرتدي زيّاً عسكرياً بسيطاً، سار مباشرةَ نحو مقدمة الغرفة وجلس على كرسي بسيط بظهر قائم عند الطاولة الصغيرة المغطاة بشرشف مذهّب. وخلفه شاشة كبيرة لامعة.

سكرتير رئيس مجلس الوزراء ساكوميزو، ذكر لاحقاً أنه كان متخوفاً من أن رئيس الوزراء لن يكون قادراً على المواصلة، إذ بدا غامضاً ذلك الصباح وغير مستعد للحديث، لكن مخاوف ساكوميزو كانت غير

صحيحة، إذ قال سوزوكي بوضوح وبلاغة، أن صاحب الجلالة قد دعا إلى عقد الاجتماع لمناقشة موضوع قبول ردّ الحلفاء. وأوضح نقاط الاختلاف في الرأي التي أدّت بالاجتماعات السابقة إلى طريق مغلق. ثم دعا اولئك الذين يخالفون الأغلبية بالرأي للتعبير عن رأيهم. تحدث أوميزو وأنامي باختصار، تويودا أخذ نفس الفترة، بدا واضحاً أنهم كلهم كانوا تحت تأثير الاجهاد والتعب. تويودا لم يتحدث بشكل جيد، لكنه كان يناقش بتعب وحزن مألوفين لكل الحاضرين.

عندما انهى المنشقّون الثلاثة حديثهم، نهض رئيس الوزراء معتذراً لجلالته عن انقسام مجلس الـوزراء، وطالب منه مرة أخرى قراراً امبراطورياً.

كان الصمت يسود الغرفة الصغيرة المزدحمة الناضحة بالعرق. الرجال الـ 24 كانوا ينتظرون ليسمعوا للمرة الثانية صوت الغرنوق، الذي يدرك أنه بهذا سيضع نهايةَ لعهد الموت والدمار الذي استمر لأربعة وأربعين شهراً، وليأتي الآن وقت الحصاد: سقوط الامبراطورية اليابانية. الإدراك المتأخر لهذه الحقيقة التي عرفها البعض منذ البداية - ان اليابان أقل من أعدائها في المصادر الطبيعية، الطاقة الانتاجية، والقوى البشرية، ليس لديها فعلاً الفرصة لكسب حرب اضطرت لخوضها. كانت فقط الرغبة الجماعية لشعبها هي التي ساقتها لخوضها إلى هذا الحد، الآن، يُؤمل، أن ذلك كان من أجل التركيز على اتجاه آخر، وهو: غسل وصمة الماضي بدموع الـ 24 رجلاً المجتمعين في ذلك الملجأ تحت الأرض وهم يراقبون امبراطورهم ينهض ويمسح وجهه بمنديل أبيض قبل أن يبدأ حديثه.

دموع الـ 24 رجلاً! في الـ 24 ساعة، هي دموع البلد كله: 24 ساعة من أطول وأصعب، وربما الأكثر مرارة على الاطلاق في تاريخ اليابان الطويل.

14 آب

من الساعة 12 إلى الواحدة ظهراً.

«أي شخص يرفض، عليه أن
يفعل ذلك فوق جثتي».

• الجنرال أنامي

قال الأمبراطور: «أصغيت بانتباه لكل الآراء المعارضة لقبول اليابان ردّ الحلفاء كما هو. ورأيي الخاص، مهما كان، لم يتغيّر، وسأعيد تأكيده الآن. لقد عرفتُ الحالة السائدة في اليابان وفي بقية أنحاء العالم، وأعتقد أن استمرار الحرب لا يعني غير مواصلة الدمار. لقد درست ردّ الحلفاء، وتوصلت إلى استنتاج أن لديهم تصوراً واقعياً كاملاً عن موقفنا، كما أوضحناه في مذكرتنا التي أرسلناها لهم قبل أيام قليلة».

توقف الأمبراطور للحظة، ثم عاد إلى الكلام: «باختصار، يجب أن يكون الردّ بالموافقة».

مسح عينيه وواصل:

«على الرغم من تخوف بعضكم من مسألة صيانة كيان الدولة، أنا أعتقد أن ردّ الحلفاء دليل على حسن نوايا العدو. لذلك فإن إيمان وعزيمة الشعب الياباني هما الأهم، وجديران بالاعتبار. لذلك فضلتُ الموافقة على الردّ، إنني أتفهم تماماً كم سيكون هذا صعباً على الضباط ورجال

الجيش والبحرية أن يسلموا وينزعوا السلاح ويرون بلدهم محتلاً. إنني مدرك أيضاً رغبة الشعب للتضحية بنفسه من أجل امّته وامبراطوره، لكنني غير مهتم بما يحصل لي. اريد حماية حياة الشعب. لا أريد أن يتعرض الناس إلى دمار أكثر، إنه حقاً صعب بالنسبة لي رؤية جنودي المخلصين منزوعي السلاح، ووزرائي الأوفياء يعاقبون كمجرمي حرب».

توقف الأمبراطور مرة أخرى، وكان واضحاً أنه يتكلم بصعوبة وجهد كبيرين:

«إذا واصلنا الحرب، فاليابان كلها ستنتهي. على الرغم من أن بعضكم يرى أنه لا يمكن الثقة كلياً بالحلفاء، أنا أعتقد أن إنهاء الحرب سلمياً وحالاً هو أفضل من رؤية إبادة اليابان. وقبولنا الآن يعطي فرصة للأمّة كي تعيد بناء نفسها.

«أتذكر محنة الأمبراطور ميجي[1]. عليّ الآن أن أتحمل، مثله، ما لا يُحتمل، وآمل باعادة اعمار البلد في المستقبل. لكن تلك مشكلة معقدة وصعبة لا يمكن حلّها بصورة مستعجلة. على كل حال، إنني مؤمن بتحقيق هذا إذا تجمّع الناس مع بعضهم في جهد مشترك، وسأفعل كل ما أستطيعه للمساعدة.

1- ميجي هو الامبراطور ميجي تينو والد هيرو هيتو، الذي توّج امبراطوراً عام 1852. كان اسمه الشخصي موتسو هيتو، وفي حفلة تتويجه اتخذ اسم ميجي، الذي يعني (الحكومة المشرقة) وهو الأسم الذي عرف به عهده، وكان ميجي، عكس والده، قد أيد عصرنة اليابان بعد 250 سنة من العزلة عن الغرب، فبدأ تأسيس نظام جديد للمدارس، وأنهى الاقطاعيات، وتبنى نظاماً برلمانياً وأصدر دستوراً جديداً عام 1889، وفي عام 1890 افتتح أول برلمان في اليابان، وكان جزء من نشاطه في تحديث اليابان دعم تطوير وعصرنة الجيش والبحرية، الذين ساعدا البلد في تحقيق أهدافه التوسعية في الخارج. والمحنة التي يشير إليها الأمبراطور هنا، هي تلك التي تعرضت فيها اليابان للحصار من قبل ثلاث دول كبرى هي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وذلك لرفع الرسوم الجمركية العالية التي فرضها ميجي على سفنها التجارية، وبسبب الحروب التوسعية التي قامت بها اليابان في الصين (1894-1895) وفي روسيا (1904-1905) وضم كوريا عام 1910. توفي ميجي في 30 تموز من عام 1912. (المترجمة)

«لا أستطيع التعبير عن شعوري بالمرارة حين أفكر بالذين في أرض المعركة، أو أرض بلدهم، والأسر التي فقدت أعزاءاً لها. أنا مملوء بالقلق حيال مستقبل أولئك الذين جُرحوا أو فقدوا مساكنهم أو فقدو سبل العيش. أنا أكرر، سأفعل كل ما في طاقتي للمساعدة. وإذ أن الناس في اليابان غير مدركين للظرف الحالي، أعرف أنها ستكون صدمة عميقة حينما يسمعون قرارنا. وإذا كان مناسباً أن أشرح لهم الأمر بنفسي، فأنا مستعد أن أقف وراء المايكرفون.

«الجنود تحديداً سيكونون فزعين من قرارنا، وزير الحرب ووزير البحرية ربما لن يجدا من السهل اقناعهم بقبول القرار. أنا مستعد للذهاب إلى أي حد لتوضيح خطوتنا. أرغب من مجلس الوزراء إعداد مرسوم امبراطوري بأسرع وقت ممكن لإعلان وقف الحرب».

وقف الأمبراطور، ثم غادر الغرفة الصغيرة تحت الأرض. الجموع التي كانت صامتة أثناء وجوده، تحوّلت الآن إلى نحيب مكروب. بعض الوزراء وأعضاء مجلس الحرب الأعلى فقدوا السيطرة على أنفسهم، بعضهم سقط على الأرض حيث ركعوا بألم. ربما، للكثير منهم، كان المحزن أكثر من الاستسلام نفسه، أو محنة البلد، المصير المجهول لهذا الشخص اللطيف، الكيّس، الذي غادر الآن!. «أنا غير مهتم بما سيحدث لي»، قال، لكن هؤلاء الأربعة والعشرين رجلاً في الملجأ الذي تحت الأرض، مهتمون في هذه اللحظة بمحنة هذا الشخص. بالنسبة لهم لم يكن امبراطوراً، كان تجسيداً لقداسة الوطن الذي أقسموا على حمايته حتى الموت، ورمز خلود اليابان.

بالنسبة لهم، كما بالنسبة لأي فلاح يحرث أرضه الصغيرة، كان الأمبراطور شيئاً مقدساً لا تُنتهك حرمته، والآن برغبته الشخصية على وشك أن يجعل نفسه (خاضعاً لـ..) سلطة القائد الأعلى للقوات الأجنبية. العديد منهم عرف لبعض الوقت أن ذلك في النهاية، هو الواقع الأصعب تحمّلاً. لكن إذا كان الأمبراطور نفسه على استعداد لتحمّل ما لا يمكن تحمله، أفلا يستطيع وزراؤه أن يفعلوا ذلك أيضاً، وهناك الكثير مما يجب عمله، والكثير

من المشاكل يجب حلها؟. ولا يهم كم عملوا بمشقة، لا يهم كم نجحوا في حل المشاكل التي واجهتهم من قبل، إذ لا فخرَ في كل ذلك، أما الضمانات، فإن أياً من هؤلاء الـ 14 رجلاً ليس لديه فكرة عما سيحدث له عندما تحتل قوات العدو اليابان. محاكمة، سجن، موت...؟

ساروا بصمت خلال الممر الطويل تحت الأرض إلى كوبونكو، حيث أخذتهم السيارات إلى الوزارة المعنية بشؤون القصر الأمبراطوري. هنا انتشروا، كل ذهب لإنجاز مهامه وفي رأسه أفكار مريرة من الأفضل عدم البوح بها. كان القصر الأمبراطوري الحالي قد بني للأمبراطور ميجي، ثم دُمّرَ في الغارة الجوية يوم 25 أيار، وفقدت فيه أربعون حياةً، ومنذ ذلك الوقت انتقل الأمبراطور إلى كوبونكو، المكتبة الأمبراطورية التي شيدت بالاسمنت المسلح المقاوم للغارات. وكان الملجأ، حيث عقد الاجتماع مع الأمبراطور، موصولاً بنفق تحت الأرض من أحد جوانب المكتبة، والموظفون المسموح لهم بزيارة كوبونكو يدخلون أراضي القصر، ثم وزارة شؤون القصر الامبراطوري، ومنه يتجهون إلى كوبونكو، ويعودون من نفس الطريق.

ياسوهيدي تودا، الحاجب الذي رأى الوزراء وأعضاء المجلس منهارين، ومخنوقين بالألم الذي كان يغلفهم مثل غيمة سوداء، لم يستطع التفكير بأي شيء يمكن قوله، انحنى لهم بصمت عندما غادروا القصر الامبراطوري في طريقهم إلى العاصمة الغارقة في العرق والقصف والهزيمة في ظهيرة ذلك اليوم من آب.

لدى العودة إلى كوبونكو، استدعى الأمبراطور كاتم السر كيدو. كان قد تحدث باختصار إلى الأمبراطور قبل الاجتماع، وهو يعرف ماذا قرر في الاجتماع، مع ذلك فإن الإصغاء الآن إلى الأمبراطور وهو يعيد سرد خطابه، مختنقاً بحقيقة فداحة القرار، جعلت المشاعر التي سيطرت قبل دقائق فقط على الوزراء وأعضاء المجلس الأعلى للحرب وهم يصغون إلى الأمبراطور، تسيطر عليه أيضاً، وللحظة شعر أن رباطة جأشه الفولاذية قد انهارت.

كان على مجلس الوزراء أن يعقد جلسة على الفور في مقر رئيس الوزراء سوزوكي، للمصادقة على (قرار الأمبراطور)، الذي فيما بعد وليس قبل ذلك سيصبح قرار دولة. طبقاً للدستور، فإن صوت الغرنوق المقدس، مهما كان حديثه عالياً وواضحاً يتطلب موافقة جماعية من مجلس الوزراء قبل أن يصبح صوت الأمّة. وفي هذه الحالة يتوقع أن تكون الموافقة اوتوماتيكية.

كان اللفتنانت كولونيل تاكيشيتا ينتظر بنفاد صبر في المقر الرسمي لرئيس الوزراء، وهو يحمل وثيقة عنوانها (خدمة الجنود - خطة ثانية)[1]، وهو يأمل أن الاجتماع مع الأمبراطور لم يعقد حتى نهاية اليوم، مما سيعطيه وقتاً أطول لطرح خطته للتنفيذ. وعندما علم أن وزير الحرب أخذ مكانه في المؤتمر في ذلك الملجأ، عاد يائساً. كان يعرف أن على الأمبراطور اتخاذ قرار آخر لتأكيد القرار الأول.

غمغم تاكيشيتا وهو ينزل السلم بانتظار عديله الجنرال أنامي وزير الحرب. لم يكن تاكيشيتا حتى الآن مستعداً للاعتراف بالهزيمة، لا بالانسحاب ولا بالاستسلام، ولم يفقد الأمل في اقناع أنامي والجنرالات الثلاثة الآخرين بأن ما يفكر به هو الصحيح. كيف يمكن صيانة كيان الأمة إذا كان البلد محتلاً، وجنوده منزوعي السلاح، و(مجرمي الحرب) يحاكمون من قبل قوات العدو؟ أما توكو ويوناي اللذان دافعا عن قبول إعلان بوتسدام بالاستسلام غير المشروط فلا يمكنهما تقديم ضمانات بهذا الشأن.

جلس تاكيشيتا للحظة ثم قفز مرة أخرى، لقد نفد صبره، فعقد العزم على أن التصرف الصحيح الذي على اليابان اتباعه، هو الاستمرار في القتال حتى آخر رجل. وبتوجيه خسائر فادحة لقوات العدو تستطيع اليابان ضمان شروط أفضل. لم يكن تاكيشيتا أحمق إلى حد الاعتقاد بانتصار اليابان المطلق، لكن قناعته تزداد بأن القتال حتى آخر رمق فقط بامكانه انقاذ اليابان: إنقاذها من بين أنياب الموت، بجيش يقف بعناد في صف واحد وعلى رأسه وزير الحرب.

1- المقصود خطة جديدة لمواصلة الحرب. (المترجمة)

لكن، ماذا لو أن الأمبراطور قد تحدث أصلاً عن قبول الاستسلام؟ إن سلطته نظرياً مطلقة، وطالما اتخذ قراره، لا يمكن إلغاؤه: أو يمكن إلغاؤه؟. اعتقد تاكيشيتا أن هذا قد يكون بعيداً، لأن أعضاء مجلس الوزراء بدأوا التجمع في المقر الرئيسي لرئيس الوزراء استعداداً للاجتماع من أجل المصادقة على (قرار الأمبراطور).

سكرتير رئيس مجلس الوزراء، ساكوميزو، الذي كان آخر من وصل، ارتقى السلم راكضاً إلى غرفته في الطابق الثاني، وسأل من لحظته عن ميجيو كيهارا، المقرر السابق الذين عين مؤقتاً في مجلس الوزراء. قال ساكوميزو: «الامبراطور اتخذ قراره»، فاستطاع كيهارا الابتسام وقال: «لا مبرر لأن تقول، فقد عرفت بمجرد النظر إلى وجهك»، فردّ ساكوميزو بحدة: «هكذا إذن؟».

كان يعرف أن لديه الكثير ليفعله، قبل أن يسمح لنفسه باظهار انفعالاته: على الدموع أن تنتظر. كان الرجلان قد اشتغلا ليومين على مسودة قرار انتظاراً لتلك اللحظة، والآن عليهما إعادة صياغة ما أعداه وعلى ضوء قرار الأمبراطور الأصلي.

أوضح ساكوميزو: «نحتاج إلى قرارين امبراطورين. أنا أعد واحداً، بإعلان وقف الحرب، وأريد منك إعداد آخر للجنود أيضاً». ثم أضاف: «سيكون سهلاً».

حين جلس الرجلان إلى مكتبيهما شعرا بعبء المسؤولية على عاتقيهما، إذ أن تحرير المسودات التي باشرا باعدادها ستكون تزييفاً لما قاله الأمبراطور.

اقتنص أعضاء مجلس الوزراء لحظات ليرتاحوا بعد المحنة والارهاق اللذين خلفهما الاجتماع بالامبراطور، فتجمعوا لتناول الغداء، باستثناء رئيس الوزراء، إلاّ أنهم وجدوا أنفسهم غير قادرين على ابتلاع لحم الحوت والخبز الأسمر، كان صعباً عليهم كما لو أنهم يمضغون الصخور. دفعوا الأطباق بعيداً ونهضوا بعد أن اتفقوا على الالتقاء في الساعة الواحدة.

بعد نهوضهم عن المائدة، ذهب أنامي وضابطه المعاون الميجر سابورو هاياشي إلى غرفة الاغتسال، قال أنامي فجأة: «هاياشي! أسمعت عن الاشاعات التي تقول إن قوات كبيرة للعدو نزلت قرب طوكيو؟ أريد أن أضرب تلك القوات بقوة ما دمنا لا نزال نتحدث عن السلام، بعد ذلك ربما نستطيع الحصول على شروط السلام التي نريد».

اندهش هاياشي، فردّ قائلاً: «لكن الأمبراطور اتخذ قراره. على كل، نحن لا نعرف بالتأكيد أين نزلت، إنها مجرد اشاعات عن وجودها قرب طوكيو». هزّ أنامي رأسه، كما لو أن الحياة غادرت وجهه، ولم يقل شيئاً آخر، ثم اصطحب عديله تاكيشيتا إلى غرفة صغيرة لحديث خاص بناءاً على طلب تاكيشيتا. على الرغم من أن عمل أنامي انتهى، وقرار الأمبراطور قد يعكس انعدام الثقة بالجيش في البلد، إلاّ أنه نظر إلى عديله في صمت. كانت عيناه تقدحان شرراً، وبدا مستعداً للقيام بكل ما يجب فعله.

استنتج تاكيشيتا الصلابة في هدوء وزير الحرب، فسأله استخدام صلاحياته لنشر الجنود بهدف تأمين الأمن. ثم أكمل في هدوء: «إضافة إلى ذلك، هناك الكثير الذي يمكنك أن تفعله لدى اجتماع مجلس الوزراء، فأنت لديك القوة، ويمكنك استخدامها. كما تعلم أن رئيس الأركان قد غيّر رأيه. لماذا لا تفعل الشيء ذاته؟».

«لا» رد أنامي بسرعة. «الأمبراطور اتخذ قراره. لا يوجد ما يمكنني فعله الآن. كجندي ياباني عليّ فقط أن أطيع الأمبراطور». قال ذلك بلهجة حاسمة، وبدا واضحاً أنه قد استسلم، رغم كل المخططات التي فكر وأمل فيها في الماضي: إنه الآن مستعد لتجرع كأس الألم والذل، أما تاكيشيتا فلا.

تطلع تاكيشيتا إلى دواة الحبر على المكتب وفكر: هل استخدمه أنامي عندما وقع اسمه على مصادقة مجلس الوزراء على قرار الأمبراطور؟ كان عليه أن يستخدمه أولاً لغرض مختلف. لو أنه رفض المصادقة على القرار الامبراطوري بأن يستقيل من مجلس الوزراء، فإن على الحكومة أن تسقط، وإذا سقطت لن تتوقف الحرب. بدا هذا لتاكيشيتا الطريق الوحيد لتجنب

ذل الاستسلام. أخيراً قال: «الادميرال اونيشي أخبر الضباط المجتمعين بأنه، إذا قرر الأمبراطور إنهاء الحرب، فإن الأمبراطور نفسه يواجه خطورة وصمه بالخيانة، مما يدعم الموقف المؤيد للاستمرار في الحرب من أجل العدالة العليا».

نهض تاكيشيتا منتصباً وقال لعديله: «جنرال، هل توافق الآن على الاستقالة من مجلس الوزراء؟».

ظل أنامي صامتاً للحظة، نهضت خلالها كل آمال تاكيشيتا لتسقط كلها فيما بعد مع أول كلمة قالها الوزير: «الحرب ستتوقف حتى لو استقلتُ. هذا نهائي. وإذا استقلتُ، أضاف بابتسامة. فلن أرى الأمبراطور مرة أخرى».

نظر الرجلان إلى بعظهما. أدرك تاكيشيتا أن أنامي قد اتخذ قراره ولا شيء يمكن أن يغيّر رأيه، وأي استمرار في النقاش الآن لا طائل منه. راح حذاؤه العسكري يضرب على الأرض بقوة وهو يتوجه إلى الباب. لكن إلى أين كان ذاهباً؟ ليس لديه فكرة، وليس لديه مكان يذهب إليه.

جلس أنامي للحظة، قبل أن يتخذ طريقه، مثل بقية أعضاء مجلس الوزراء، إلى مقر وزارته.

كان وزير الخارجية توكو، المؤيد الرئيسي للسلام، راضياً عن قرار الأمبراطور، فاستدعى نائبه، شونيجي ماتسوموتو إلى مكتبه وبدأ يملي عليه ما قيل في الاجتماع الامبراطوري طالما بقي حاضراً في ذهنه. كان صوته قوياً، منتعشاً، فشعر ماتسوموتو، وهو يكتب كلمات الأمبراطور، بإعجاب يتدفق في داخله بما حققه رئيسه من نصر، انتصار الهزيمة.

«أنا اتفق مع وزير الخارجية توكو بأن العدو لا يعتزم تغيير نظام الدولة القومية، أنا أؤمن بأن الكيان الامبراطوري سيبقى كما هو». فكر ماتسوموتو أن من كان جديراً بالتقدير هو الأمبراطور نفسه، الذي أيد السلام باخلاص، مصراً على وقف الحرب حتى لو كان الاستسلام غير المشروط يشكل خطراً على موقعه. كان ماتسوموتو، بينما هو يكتب كلمات الأمبراطور، يشعر بحضور عظمته.

فكر: لقد انتصرنا، وأثمرت جهودنا.

أنامي، الجنرال المهزوم في الهزيمة، كان عائداً إلى وزارة الحرب الضخمة، فوق مرتفعات (ايجيكايا)، كان في موقف لا يحسد عليه. إن وزارته على وشك أن تسقط، وجيشه على وشك أن يُحلّ. الآن سيوضع السطر الأخير لسبعين عاماً من تاريخ الجيش الأمبراطوري. كان اهتمام الجنرال أنامي الدائم أن يقود الجيش في آخر معركة من أجل وطن اليابانيين، الآن هو مجبر على قيادة الـ 6 ملايين رجل في الاتجاه المعاكس، في انسحاب من أجل الاستسلام. ستكون المسؤولية ثقيلة إذا رفض الضباط قبول أمر الاستسلام، لأن البلد ربما تتورط في حرب أهلية، وستكون المحصلة الأكيدة الدمار الكامل ونهاية الأمّة اليابانية. ستكون المسؤولية ثقيلة، وتقع بكل ثقلها على كاهل أنامي، وحيث قد نزعت عنه مسؤولياته التي لم يكن يأمل من ورائها أية مكافأة غير الرضا بأنه أدى كل ما كان معقوداً عليه من واجبات بثبات، فإن البلد، فوق الاستسلام، يجب أن تنقذ من الفوضى.

حين دخل أنامي الوزراة تذكر حكمة قديمة تقول: الجنرال الجيد هو من يقود الهزيمة بشكل منظم.

نزع عنه سيفه وأسنده على الحائط خلفه. كان على وشك الجلوس خلف مكتبه، عندما اندفعت مجموعة من الضباط الشباب مرتعدين، شاحبين، في ردّة فعل عنيفة حول أخبار قرار الأمبراطور وللمرة الثانية بشأن السلام.

جاء الضباط ليعرفوا ما حدث في الاجتماع الأمبراطوري، وماذا يعتزم وزير الحرب أن يفعل. لقد علقوا عليه كل آمالهم للمستقبل. قال وزير الحرب:

«الأمبراطور قال إنه واثق من أن كيان الأمة سيبقى محفوظاً. ليس لنا خيار سوى تنفيذ قراره، إنه يستند إلى ثقته بإخلاصنا».

ظل الضباط صامتين، غير مصدقين. لقد اتفقوا من قبل على أن يفعلوا ما قاله الوزير في الظاهر، لأنهم كانوا واثقين أنه لن يعطي الأمر بالاستسلام أبداً بعد التصريح الذي صدر باسمه يوم الجمعة، ودعا فيه للاستمرار في الحرب،

وليس للسلام المهين (علينا أن نستمر في القتال، حتى لو اضطررنا إلى مضغ الأعشاب وأكل التراب والعيش في الحقول، ففي موتنا فرصة لحياة اليابان). الآن، الثلاثاء، بعد أربعة أيام فقط، هل يقوم الضباط بتغيير موقفهم كلياً ويسلموا كل آمالهم وخططهم لقرار إنهاء الحرب بهذا الشكل المهين؟.

تقدم إلى الأمام الليفتنانت كولونيل ماساتاكا إيْدا، من قسم الشؤون العسكرية، وسأل:

«هل يشرح لنا وزير الحرب لماذا غيّر رأيه؟».

«نعم» أجاب أنامي، «سوف اوضح ذلك. أخبرني الأمبراطور أنه يتفهم تماماً كيف أشعر، والدموع في عينيه، سألني أن اواظب على واجباتي مهما كانت المصاعب. لا يمكنني بأي حال أن اعارض قراره». لم ينطق أنامي كلمة (خائن) عالياً، فقد ظلت معلقة في الهواء. وبعد، كيف سيتفهم مشاعر هؤلاء الضباط الشباب المنفعلين! فقد فكر هو أيضاً، لمرة، بضرورة الانقلاب لإزالة الخونة من حول الأمبراطور والإصرار على شروط سلام أفضل. لكن منذ الآن، المخططون للانقلاب وحدهم سيُعتبرون خونة.

شعر أنامي أنه مضطر لتوضيح موقفه. فواصل: «الأمبراطور قال قراره، وليس لنا خيار سوى الطاعة. أي شخص لا يوافق، عليه أن يفعل ذلك من فوق جثتي!».

في الصمت الذي أعقب كلام أنامي، سُمع أحد الضباط يبكي. النحيب القوي، العفوي، للميجر هاتاناكا ملأ الغرفة، كان معبّراً عن يأس وانخداع الضباط الذين شعروا، مثل هاتاناكا، أنهم بعد الآن لا يستطيعون الثقة بأحد، حتى الذين ظلوا معارضين بمرارة لما حدث لبلدهم، وجيشهم. نظر الضباط والوزير كل منهما إلى الآخر بصمت، ثم التفت أنامي لينظر إلى الجريح هاتاناكا، الذي ربما كان يعكس له صورة شبابه.

كان وقتاً للدموع. في الملجأ الأرضي لمقر رئيس الوزراء، عقد هيروشي شيمومورا، مدير إدارة الاستعلامات، مؤتمراً صحفياً (لكنه لم يكن حقاً مؤتمراً صحفياً). هناك، اعتقد سكرتير شيمومورا وهو يراقب رئيسه الرجل

الكبير يذكر أحداث الأيام الماضية، والدموع تتساقط على خديه، أنه كان أكثر شبهاً بالعزاء منه إلى المؤتمر الصحفي. أحد صحفيي جريدة (أساهي شيمبون) قال بعد ذلك إنه أدرك هو نفسه كان يبكي حين شاهد الدموع تسقط على الورق الذي يكتب عليه.

كان شيمومورا هزيلاً وشاحباً، وبدا كما لو أن من الصعوبة عليه النهوض. وبعد أن واصل الحديث، أخبر الصحفيين بالتفصيل عن كل ما حدث منذ الخميس الماضي. أجاب على كل أسئلتهم باسهاب. ووصف لهم التحالف بين توكو ويوناي من جهة، وأنامي واثنين من روؤساء الاركان من جهة أخرى. أعطاهم نصّاً كاملاً لخطاب الأمبراطور. وعندما انتهى، أخبر الصحفيين بأنه لم تكن العيون جافة في اجتماع الأمبراطور. ولم تكن العيون جافة في هذه الغرفة، حيث يُعقد المؤتمر الصحفي.

كان وقتاً للدموع.

اللفتنانت كولونيل هيروشي فوها، ضابط ركن القطاع الشرقي للجيش، جاء بمأمورية إلى مقر اللفتنانت جنرال تاكيشي موري القائد الأول للحرس الامبراطوري. كلا الرجلين كانا ضابطين في سلاح الفرسان، فوها كان يتلقى التعليمات من موري في الكلية الحربية. كانا تقريباً مثل أب وابن، والآن يبدو أن الابن قد جاء يقدم الاحترام والطاعة للأب القلق. المشكلة التي كانت تقلق الجنرال فوها بصراحة، ماذا سيكون موقف الجنود في القطاع الشرقي، إذا قرر الأمبراطور فعلاً الاستسلام؟

«أي موقف تقصد؟» سأل موري، ثم قال: «إذا كان القرار هو الاستسلام، فواجبنا التنفيذ. يجب أن لا نسمح لأنفسنا بالانسياق بعيداً. أقول لك الحقيقة إن عدداً من الضباط الشبان زاروني في وزارة الحرب. ارادوا من الحرس الأمبراطوري أن يبدأ التمرد، لكنني أخبرتهم بأنني لن أعطي الأوامر لأي جندي بدون أمر الأمبراطور. وأعدتهم جميعاً».

فجأةً حدّق موري بفوها، كما لو أنه أراد معرفة ما إذا كان هو أيضاً قد تضايق من الضباط الشبان. ثم ابتسم ابتسامة صغيرة مقتضبة، وتذكر فوها أن

لقب موري هو (اوشوسان) أي الراهب، فبدا له أن موري لا يشبه الراهب في الهيئة فقط، إنما في السلوك أيضاً: كان مهيباً، وقوراً، فضلاً عن العناد في الحقيقة.

أكمل موري: «لدي شعور بأني فشلت في اقناعهم. كلهم تقريباً، سيأتون بالتأكيد لرؤيتي مرة أخرى، و... حسناً، مهما فعلوا معي، فلن أغيّر رأيي. وسأنصح القطاع الشرقي للجيش أن يتبع نفس الخط، أن لا يفعل أي شيء مخالف لقرار الأمبراطور. هذا طبعاً، بافتراض أن الأمبراطور قرر الاستسلام!».

بهذا، نهض موري مستخدماً سيفه كعصا ليستند عليه، واجتاز الغرفة إلى النافذة. كان زجاجها يتعاكس مع الأشرطة اللاصقة، كحماية من أضرار القصف. نظر إلى الخارج خلال ثغرات المياه لنافورة شيدو ريغافوتشي وهي تحترق في شمس الظهيرة، مع أوراق حديقة فوكياج الكثيفة إلى الخلف. هنا يبرز الغوبونكو، المكتبة الأمبراطورية، حيث يتخذها الأمبراطور مقراً لإقامته، وحاول موري تخيّل ذلك الرجل النحيل، المنهك، الذي تقع على عاتقه الآن مسؤولية مستقبل اليابان، وتقرير نجاحه أو فشله للسلالة الأمبراطورية المقدسة.

لم يعرف موري أن الأمبراطور كان قد أعطى قراره وانتهى، وكان في نفس تلك اللحظة يصف للماركيز كيدو، كاتم سره، كل ما جرى وقيل قبل قليل في الملجأ الأمبراطوري.

فوها، شعر ببعض الارتياح بعد التحدث مع (الراهب) موري، ثم وقف بانتباه ليقول لمعلمه الرسمي وصديقه كلمة الوداع، للمرة الأخيرة. فلن يراه مرة أخرى.

14 آب

من الساعة 1–2 ظهراً

«الامبراطور نفسه سيتحدث من
الراديو!».

• هيروشي شيمومورا

في الساعة الواحدة اتخذ تسعة عشر رجلاً اماكنهم حول طاولة كبيرة مستديرة في الغرفة الداخلية بالمقر الرسمي لرئيس الوزراء سوزوكي. بالإضافة إلى الوزراء الذين يؤلفون المجلس، حضر كلٌ من رؤوساء دائرة الاستعلامات، والسلطة التشريعية، ودائرة التخطيط العام، وسكرتير مجلس الوزراء ساكوميزو وابن رئيس الوزراء هاجيمي، الذي يعتبر مساعد والده وسكرتيره في نفس الوقت، لأن ثقل سمع سوزوكي يمنعه من سماع كل ما يقال بسرعة في مناقشات المجلس الحامية. إلى جانب ثقل السمع، فإن سوزوكي الذي يعتبر الأكبر سناً بين الحاضرين، يبدو الأكثر صحة أيضاً.

يقول ابنه: بالرغم من كل الأحداث والهزّات التي رجّت الحكومة خلال الأيام الستة الماضية، فإن رئيس الوزراء كان ينام جيداً ويأكل جيداً. أما الآخرون، فقد بدوا كما لو أنهم لم يناموا ولم يأكلوا: وجوههم شاحبة، هزيلة، وأعينهم محتقنة. كانت تعابيرهم مثل رجال يحضرون القداس الأخير لشخص عزيز.

سوزوكي، كما هو دائماً، كان هادئاً. وهو في العادة يجلس ساكناً على مقعده، ويقول القليل جداً. عندما يتحدث الآخرون يصغي بانتباه بقدر ما يسمح به عمره وثقل سمعه، لكن من دون علامات انفعال أو تأثر على وجهه، فلا يتسطيع المتحدث أن يقرر ما إذا كان رئيس الوزراء موافقاً، أو حتى إذا كان مصغياً فعلاً لما يقال.

في بداية اجتماع المجلس، عبّر سوزوكي عن استياءه وغضبه لتعكير مزاج الأمبراطور مرتين ليقرر بشأن الخلاف بين الفريقين في مجلس الوزراء، قال: «ما كان يجب أن يحدث مثل هذا. كان ذلك إهانة للعرش، حدث هذا فقط لأننا لم نحاول بما فيه الكفاية» ثم عاد إلى هدوئه المعتاد، حين وافق المجلس بالاجماع على (قرار الأمبراطور).

جلس وزير الحرب على مقعده مسترخياً، يسيطر عليه شعور الرجل الذي فعل كل ما في وسعه، والذي لم يخالف ضميره يوماً، ولا عالمه.

كانت المهمة الرئيسية لمجلس الوزراء اليوم هي الموافقة على صياغة القرار الامبراطوري بإنهاء الحرب، بعد أن وقع عليها كل الوزراء. حرب السنوات الأربع انتهت فعلاً. أقرّ سكرتير مجلس الوزراء أن كلام الأمبراطور قد وُضع في صيغة قرار، لذا فقد قرر المجلس البدء بمداولات حول أمور مختلفة وصغيرة أخرى، تتطلب هي أيضاً بعض الاهتمام. الاولى، التي وافقوا عليها بالاجماع، وكانت الأسهل نسبياً، هي التماس عفو الأمبراطور قبل إذاعة القرار. حينها فقط أدرك مجلس الوزراء تماماً، بأن الأشهر الأربعة من المشاورات والمداولات المخيبة في طريقها إلى الإنتهاء الآن.

عندما تقاعد البارون كانتارو سوزوكي، ادميرال البحرية الامبراطورية اليابانية، كان قد سُئل في نيسان أن يشكل وزارة، وقتها كان واضحاً للجميع، عدا الشعب الياباني وضباط الجيش، أن اليابان خسرت الحرب. كانت دقائق اجتماع وزارة سوزوكي تمتد أكثر فأكثر مع مرور الأسابيع. كل يوم كان وزيرا المواصلات والعتاد الحربي يرسلان التقارير

بأن أضراراً فادحة ألحقتها الغارات الجوية للعدو، بينما ليس لدى وزير الزراعة أخبار، عدا أخبار محصول الرز، وبالرغم من استمرار تناقص النسبة، كان واضحاً أنه لغاية نهاية هذا الشهر (آب) لن يكون هناك رز على الاطلاق. اليابانيون الذين نجوا من الموت أثناء القصف والحرائق، سيموتون من الجوع. وخلال ذلك كان وزير التعليم مُجبراً على تركيز جهوده ليس على التعليم، إنما في تعبئة الطلاب للمجهود الحربي. بينما وزارة الداخلية معنية في صيانة وحفظ الأمن وإجلاء الأطفال من المدن المدمّرة، ويحاول وزير الشؤون الاجتماعية المستحيل من أجل إعادة اعمار ما يدمّره الحلفاء بالقنابل الحارقة. لكل هذا فإن اجتماع اليوم، رغم الحزن المسيطر على الجميع، كان تقريباً مثل انعتاق.

الأشهر الصعبة من انتظار النهاية، انتهت، النهاية حلّت. الأطباء الذين كانوا يقفون بلا فائدة فوق أسرّة الموتى، تأكدوا الآن من حقيقة أن مريضتهم، امبراطورية اليابان، قد توقفت عن الحياة فعلاً.

بعد دقائق، كان قد طُلب من أحد مدراء مجلس الإذاعة اليابانية (NHK) الحضور إلى دائرة الاستعلامات. ثلاثة رجال، هاتشيرو أوهاشي، رئيس المجلس، وكينجيرو ياب، مدير الدائرة المحلية، ودياترو أراكاوا، مدير الدائرة التقنية، اجتمعوا بشيمومورا سكرتير مجلس الوزراء في دائرة الاستعلامات. قال شيمومورا في هدوء: «إن قراراً امبراطورياً بانتهاء الحرب سيذاع قريباً. الأمبراطور سيتحدث بنفسه! سيذيع القرار في الراديو...».

رجال الـ (NHK) الثلاثة، الذين لم تكن لديهم تفاصيل مسبقة عن الخطة المعدّة من قِبل كيدو وشيمومورا بشأن البثّ الأمبراطوري، بدا مستحيلاً بالنسبة لهم أن امبراطورهم، الكيان الذي لم تُمسّ الوهيته، سيقف أمام ذلك المايكرفون الحقير ليخبر شعبه بمأساة اليابان. شعر الرجال الثلاثة بالرهبة، خشية تدنيس قدسيته. كان قرار الأمبراطور مهيباً، إلاّ أن اخراجه إلى حيّز الوجود أشبه بكفر: ليس ثمة شيء واحد يمكن

تبليغه إلى الشعب الياباني بمثل رعب وهول التجربة التي هم على وشك خوضها.

استمر السكرتير بنفس الصوت الهادئ: «مجلس الوزراء مهتم الآن فيما إذا كان الأمبراطور سيذيع القرار مباشرة، أم يتم تسجيله أولاً!. ستعلمون بذلك حال وصول القرار النهائي بهذا الشأن. خلال ذلك، ستقومون باعداد ما يلزم لكل الاحتمالات».

أخذ اوهاشي المسؤولية بالنيابة عن الـ(NHK)، وما أن عاد الثلاثة إلى مقر الإذاعة لإعداد خطة لهذا الحدث غير العادي، تذكر يابي حادثة السلب في الثاني من كانون الأول 1928 [1].

بالرغم من أن المايكروفونات قد وضعت على طول خمسين ياردا إلى الخلف من سياج القصر الأمبراطوري، فإن صوت الأمبراطور خلال هذه الواقعة الصوتية الغريبة، كان يُسمع في الراديو أيضاً وهو يقرأ القرار للجيش. من لحظته ذهب يابي إلى محطة الإذاعة ليجد كل الطاقم في حالة من الرعب. فقال مهدئاً: «لا تهتموا، إذا سأل أي شخص من وزارة الاتصال عن المسؤول عن البث اليوم، أخبروهم أنه يابي». لكنه كان في الحقيقة أبعد ما يكون عن الهدوء.

لا يعرف أحد كيف كان الجيش يفكر، أو أي موقف ستتخذه وزارة شؤون القصر.

وفي الحقيقة، وكما توقع يابي، فقد تصعّد الموقف بحدة وبشكل خطير. فقد رفض الجيش قبول أي تفسير، بينما اعتبر أشخاص محدودو العدد في وزارة شؤون القصر الحادث كمثال واضح للطعن في الذات الأمبراطورية. وبعد ذلك، في اللحظة التي بدت فيها الأمور قاتمة في

1- كان رئيس قسم الإذاعة المحلية كنجيرو يابي يصغي إلى برنامج خاص يبثّ استعراضاً عسكرياً لموكب احتفالي بمناسبة تتويج الأمبراطور، الذي بدأ قبل أقل من شهر في القصر الأمبراطوري في كيوتو، ثم فجأة قفز من مقعده، إذ وجد نفسه يسمع صوت الأمبراطور!

عيني يابي، الملحق العسكري للأمير تاكا، عمّ الامبراطورة، فقد ذكر لنائب وزير الحرب أن الأميرة اياكو، الأخت الكبرى للأمير قد استمتعت كثيراً بالبث. بهذا إنتهى الحادث.

منذ ذلك الوقت، طلبت الـ (NHK) السماح لها بإعادة بث القرار الامبراطوري، لكن الطلب رفض مرتين، ومنذ ذلك اليوم إلى هذا اليوم، لم يسمع اليابانيون صوت امبراطورهم مرة أخرى.

الشرف والمسؤولية لإعداد التجهيزات اللازمة ليسمع كل البلد صوت الغرنوق، بدا أمراً عظيماً جداً.

كان مجلس الوزراء قد قرر أن من الوقاحة سؤال الأمبراطور لأن يبث القرار مباشرة إلى الناس، لذا سوف يُطلب منه تسجيله أولاً. فاستدعي شيمومورا، رئيس دائرة الاستعلامات، العائد تواً من المؤتمر الصحفي، وبموافقته، صار قرار البث نهائياً، وطُلب منه أخذ المسؤولية في إعداد الترتيبات اللازمة. فاتصل مباشرة برئيس الادارة اوهاشي وأخبره بقرار مجلس الوزراء.

قال شيمومورا: «هل يمكنك أن تكون في مقر وزارة شؤون القصر مع فريق التسجيل في الثالثة؟» ونبّه شيمومورا اوهاشي بضرورة السرية المطلقة. في مقر وزارة شؤون القصر، قرر رئيس دائرة الشؤون العامة ورئيس قسم الشؤون العامة أن مكتب الادارة الامبراطورية (الغوسيمو شيتسو) سيكون أفضل مكان للتسجيل، حيث ستوضع الأجهزة التقنية في الغرفة الملاصقة.

في ذلك الوقت عاد سوكيماسا آري إلى طوكيو من الفيلا الأمبراطورية في شيوبارا ليذكر لكبير الحجّاب، هيسانوري فوجيتي، الوضع الحالي للأمراء والأميرات الذين يعيشون خارج العاصمة. كان من الصعب عليه تصديق أن الأمبراطور قرر ليس فقط الاستسلام، إنما أن يخبر الناس أيضاً عن ذلك بنفسه. كان من الصعب عليه أن يصدق أن المسدسات ستصمت أخيراً، وشوارع اليابان ستنظف من الأحجار

والحطام، وإذ أدخل نفسه في مهمة المساعدة في إعداد التجهيزات للبث الأمبراطوري، كان ذهنه يدور بلا انقطاع حول ما سيكون عليه المستقبل. ظلّ يطرح على نفسه الأسئلة التي سيطرحها قريباً كل اليابانيين: هل حقاً سيكون هناك سلام أخيراً؟ وأي سلام سيكون؟ هل ستنجو اليابان من الاحتلال، لتصير يابان جديدة؟

في الواحدة والنصف، التقى فوجيتا مع الماركيز كيدو لينقل إليه التقرير الذي أبلغه به آري. بعد ذلك أخبر كيدو فوجيتا أن الأمبراطور قد عرض أن يذهب بنفسه إلى وزارتي الحرب والبحرية ليتحدث إلى الضباط المتمردين، الذين لا يزالون مؤيدين لاستمرار الحرب. حدق كلٌّ من كبير الحجاب وكاتم السر ببعضهما في أسى صامت: أن يقدم الأمبراطور هذا العرض كان أمراً مرعباً، أن يستمر به فعلاً كان أمراً لا يخطر على بال. قال فوجيتا بهدوء بأن من المهم جداً أن تُحسم المسألة باختصار وبساطة بكلمة نعم أو لا.

الجنرال شيجيرو هاسونوما، رئيس معاوني الأمبراطور، أعطى كيدو نفس الرد. كلاهما، هو وفوجيتا، قالا إنه من الصعب جداً الاعتماد على ردّ فعل الجيش والبحرية لنكون قادرين على التنبؤ فيما إذا كان الاستسلام سيكون نظامياً، أو ستكون ثورة، حرب أهلية، وربما دمار كامل لكل الدولة، التي سيدّعي المتمردون أنهم يقاتلون من أجلها.

وبعد، فقد كان من غير المعقول ترك الأمبراطور لوحده يتحمل المسؤولية كاملة ليتحدث ليس فقط إلى الشعب والجند، إنما إلى الضباط المتمردين بشكل خاص. وبعد، ماذا هناك أيضاً مما يجب فعله؟ بعد الانتظار قليلاً، اتفق الرجال الثلاثة على تحميل وزارتي الحرب والبحرية بعض المسؤولية في الوقت الحالي، ليعرفوا أي خطابات شعبية قد صنعوا! ثم، وفي الواحدة وخمسين دقيقة، قال الجنرال هاسانوما: «لنبعث رسولاً إلى أنامي ويوناي، ونسألهما ماذا ينويان فعله قبل فوات الأوان؟

أو ربما قد فات الأوان فعلاً!

هل يستطيع أحد أن يقاوم مجرى التاريخ؟ ربما بعض الرجال الذين بدا أنهم قادرون على ذلك، قد سلّموا أنفسهم لنفس هذا التيار. لقد طافوا حيث ينبغي السباحة. هل كان الميجر هاتاناكا واحداً من هؤلاء؟

كان شجاعاً، وكما اتفق رفاقه الضباط، فإن اخلاصه ليس موضع تساؤل أبداً، لكن العديد منهم يعتقدون أنه متعصب، وبينما البعض معجب بنقاء قلبه وتميّزه، فالبعض الآخر يرى هذه الصفات نفسها لكن من وجهة نظر أخرى: بالنسبة لهم كان هاتاناكا مثل حصان جرّ العربات، يظل يجر العربة خلال الطرق الضيقة من دون أن يبدو عليه التعب، لكن بدون مخيّلة كافية ليرفع رأسه قليلاً وينظر حوله حيث تتغيّر البيئة. وبعد، فهو وسيم جداً، نشيط ومليء بالحيوية، وربما نقطة ضعفه تكمن في نفس الشيء الذي يجعل حيويته تبدو أكثر جاذبية.

من دون شكّ كان هاتاناكا خطراً. لدى اجتماع أنامي السابق بالضباط، بقي هاتاناكا لوحده بعد أن غادر رفاقه الضباط، وبعد أن أعلن أنامي عزمه على تنفيذ قرار الأمبراطور، مواصلاً نعي ما شعر أنه موت مؤكد لوطنه المقدس، ثم نهض متخذاً أخطر قرار في حياته.

بعد ظهر ذلك الثلاثاء، كانت اليابان مهددة مرة أخرى باحتمال حدوث ثورة. القائد الخبير الناضج، الكابتن بحار ياسونا كوزونو، الرجل الذي يختلف تماماً عن هاتاناكا، أرسل في وقت مبكر برقية طويلة إلى وزير البحرية، ورئيس أركان البحرية، وبعض قواد البحرية الآخرين، يحثّهم على الاستمرار في المقاومة والضغط على «الأعضاء الضعيفة» في البحرية. جملة ما ورد في برقيته تضمنت، كما بدا لبعض من استلمها، أنه ما يزال يحثّ على الانقلاب: «من الطبيعي أن يصل ضباط الجيش الأمبراطوري والبحرية، الذين تعلموا عدم الاستسلام أبداً، إلى هذا الصراع مع مسؤولي الحكومة، الذين يفضلون قبول الاستسلام». مع ذلك، ففي الوقت الذي وصلت فيه برقيته، كان الأمبراطور قد اتخذ القرار ووافقت عليه البحرية.

مع ذلك، لم يكن كوزونو بالرجل الذي يجلس جانباً ويبكي، في الوقت الذي كان فيه هاسونوما، لدى اجتماعه مع فوجيتا وكيدو، واُقترح إرسال رسول إلى وزيري الحرب والبحرية، أخذ هذا الرجل سيارة وسارعبر الضواحي في الحرّ اللاهب إلى اتسوجي، حيث قاعدة الفيلق الجوي (302).

ان هذا الفيلق مزود بعدد من الطائرات المغيرة الجديدة (جيكو وسويسي) وهي في حالة تأهب على مدى الأربعة والعشرين ساعة، وأكبر قاعدة في اليابان، في اوتسوجي حيث يوجد تحت الأرض مولّد ضخم، وكراج تصليح ضخم هو الآخر، بالإضافة إلى مقرّات واسعة تحت الأرض للموظفين. بجانب المدرج الرئيسي توجد مدرجات أخرى خاصة بالطائرات حاملة الصواريخ، الـ(شوزي) وقاذفة قنابل بأربعة محركات الـ(رينزان)، تستخدم لمهاجمة الامريكان في أراضيهم، وكانت لا تزال تحت الاختبار. والقاعدة كلها محاطة بمدافع مضادة للطائرات، وتضم ما يقارب السبعة آلاف رجل، وأكثر من ألف طائرة، مع ما يكفي من الطعام والمؤونة لمدة سنتين أخريين من الحرب.

كان كوزونو، الذي يقود سيارته بسرعة، هو قائد الفيلق (302) في اتسوجي، وكانت ساعة يده تشير الآن إلى الثانية ظهراً.

14 آب

من الثانية إلى الثالثة بعد الظهر

«أنا اضمن سلوك قوات البحرية الامبراطورية».

- أدميرال يوناي

ما زال النهار مفرطاً في الحرّ والرطوبة. ليس ثمة نسمة واحدة تحرك هذا الجو الراكد. الأشباح تجوب الشوارع المهجورة، هزيلة، تتجرجر بصمت. هل كانوا مندهشين لكون الحرب ستنتهي أخيراً؟ أو هل توقفوا عن الاندهاش من أي شيء؟ هل كان كافياً، أو كان أكثر من المتوقع، مجرد أن تكون على قيد الحياة؟. لا أحد لديه ما يكفي ليأكل منذ وقت طويل. أشعة الشمس تضرب بقوة وتخترق أسقف الصفيح المتناثرة فوق المناطق المحترقة جراء القصف، هذه البشاعة كانت تعني للعيون اليابانية الصغيرة إهانة أخرى. كان الناس يتخذون طريقهم مثل من يمشي وهو نائمٌ، صامتٌ، ومنعدم الرؤية.

في الغوبوكونو، كان هناك ارتياح خفيف من الحرارة. في الساعة الثانية استدعى الأمبراطور مرة أخرى الماركيز كيدو في لقاءٍ استمر لمدة ساعة، ناقشا فيه اجراءات إذاعة القرار وأحداث الصباح.

في الخارج كانت الشمس تضرب بقسوةً.

الليفتنانت كولونيل ماساتاكا إيْدا، مسؤول قطاع الشؤون العسكرية في وزارة الحرب، جلس بلا حراك على كرسيه، فاتحاً ياقة قميصه. شعر كأنما فقد الرغبة في كل شيء. منذ ساعتين فقط كان مستعداً للقتال، الآن لا يستطيع حتى النهوض من كرسيه.

وبعد، لم تعطه أفكاره القلقة فرصة للهدوء. عادوا مرة أخرى ومرة أخرى إلى نفس السؤال الكامن في صدور الجميع: ألم تعد اليابان أعزّ على اليابانيين من أنفسهم؟ إذا كان وطنهم فعلاً مقدساً ومصاناً، كما يعتقد كل اليابانيين، كيف إذن تقبل الحكومة اليابانية أن ينهار الكيان المقدس للدولة بالاستسلام؟. المسؤولون، فكر إيْدا، يستخدمون القرار الأمبراطوري كغطاء، على أمل أن ينقذ هذا حياتهم الخاصة، كانوا يلقون كل المسؤولية في النهاية على أكتاف الأمبراطور. كان إيْدا يشعر إزاءهم بالاحتقار، إلاّ أن التفكير باتخاذ إجراء ما كان بعيداً. كان العالم فارغاً: كيف يستطيع المرء التحرك في عالم فارغ؟ قال إيْدا متعجباً، لماذا يتوجب عليّ الاستمرار في الحياة؟ ليست ثمة أسباب تدعوني للعيش. وغداً سوف أموت. فلماذا إذن أستمر بتعذيب نفسي، طالما أني سأموت مثل كلب؟

نظر إيْدا عبر الغرفة الكبيرة إلى حيث رئيسه الكولونيل آراو، منشغلاً على مكتبه لإعداد إجراءات الاستسلام.

ما كان الكولونيل آراو يفعله على مكتبه أنه كان يعدّ، بأوامر نائب وزير الحرب، تفاصيل (سياسة الجيش)، لذلك، فأجيال المستقبل في اليابان قد يفهمون لماذا غيّر الجيش الياباني رأيه واستسلم لهذا التمزق.

ما رآه الكولونيل آراو، أن الجيش تحت قيادة الوزير الجنرال أنامي كان مقاوماً بشدّة لهذه النهاية المرّة، لأنه أراد توحيد كل قوى الجيش، والشعب من خلفه، وتوجيه ضربة قوية توقّع خسائر هائلة في قوات العدو الغازية، ممهداً الطريق بهذا لسلام مشرّف. لكن الجيش الآن مستعد لإلقاء سلاحه. «طاعة الأوامر فضيلة»، كان أحد الأقوال المفضّلة لأنامي، والأمر الذي على الجيش طاعته الآن قد صدر عن أعلى سلطة في البلاد. مع أن

الهزيمة يجب أن لا تعني الدمار، فالحرب الأهلية تعني ذلك، والمعنى الوحيد لإعادة اعمار اليابان هو طاعة الأوامر الأمبراطورية.

سياسة الجيش، لهذا السبب، ستبقى سارية، وعلى كل ضابط ورجل أن يتبعها، وللتأكد من ذلك، عزم الكولونيل آراو على تأمين تواقيع كل القادة المهمين: الفيلد مارشال سوجياما، القائد الأول للجيش العام، الجنرال اوميزو، رئيس الأركان، والجنرال كنجي دويهارا، مفتش عام التعليم العسكري.

طلب آراو مبعوثاً أرسله إلى مقر رئيس الوزراء ليسأل وزير الحرب، الجنرال أنامي، موافقته على الخطة.

كان مجلس الوزراء لا يزال في الاجتماع، رغم المقاطعات بين الحين والآخر. وكان شيمومورا قد عاد إلى مؤتمره الصحفي، ويوناي وأنامي استدعيا لاستلام رسالة من الماركيز كيدو ورئيس المعاونين هاسونوما تقول: الأمبراطور عبّر عن استعداده للذهاب شخصياً إلى وزارتي الحرب والبحرية لينصح الضباط الشبّان غير المقتنعين، فهل يعتقد كلا الوزيرين بضرورة هذا الإجراء؟

«أنا اضمن سلوك قوات البحرية» قال يوناي، وبعد فترة قصيرة جداً قال أنامي: «وأنا سأتحدث للجيش».

كلا الوزيرين، وبينما هما عائدان إلى الاجتماع، اتفقا على أن لا يسألا الأمبراطور أن يفعل أمراً كهذا. كان مجلس الوزراء على وشك النظر في العرض المقدم من سوميهيسا أكيدا، مدير دائرة التخطيط العامة، بمنع تدمير القواعد العسكرية في الخارج، إذ أن استراتيجية الجيش الياباني كانت تدعو دائماً إلى تدمير المعسكرات، الأسلحة، والذخيرة، في حال الانسحاب، حتى لا تقع بأيدي العدو. كان رأي أكيدا أن تلك المعدّات يجب أن تبقى سليمة ليعاد استخدامها في الحروب في المستقبل. أكد سوميهيسا على وجوب اتخاذ الاجراءات لتنفيذ ذلك، وأن يكون القرار متزامناً مع بدء الاستسلام، وإلاّ فسيكون الأوان قد فات: إذ يكون الجيش

قد نفذ ما اعتاد عليه ودمّرها تماماً. كلٌ من يوناي وأنامي وافقا على اتخاذ الخطوات اللازمة لذلك.

بعض أعضاء مجلس الوزراء كان شاكّاً بليونة وانقياد أنامي الظاهر. هو الذي كان مؤيداً شرساً لمواصلة المقاومة، يوافق الآن بهدوء على كل ما يراه مجلس الوزراء ضرورياً لتنفيذ الاستسلام تحت أفضل شروط ممكنة! هل كان يتخذ مظهر الخاسر الوديع، عارفاً بأنه لا يزال يحمل في يده الورقة الرابحة، الاستقالة؟. هل كان هذا الهدوء الذي يسبق العاصفة؟ إذا كان هناك فعلاً اعصار يقترب من اليابان، فإن أنامي، كما يعتقد الوزراء، سيكون في عينه. لذلك نظروا إليه، يعلن إذعانه في هدوء، في محاولة لتغطية ما يكمن خلف ملامحه الجامدة. لكنهم لم يعثروا على شيء يمكن تبينه.

على بعد أقل من ميل من مقر رئاسة الوزراء، حيث تقف بناية الإذاعة، دياترو اراكاو، اختلى مدير الدائرة التقنية للإذاعة في جلسة سرّية مع أحد مساعدية، ايواو كوماغاوا. كان كوماغاوا قد أُعلم أين ومتى سيتم التسجيل، بَيدَ أنه حُذّر في ذات الوقت أن لا شيء بهذا الخصوص ينتقل لأي من طاقم المهندسين. مع ذلك، عندما رأى المهندس شونيتشي ناكاغاتومو تعابير وجه كوماغاوا المأساوية الحزينة، خمن على الفور إلى أين يُرسل مع معدات التسجيل، وماذا سيسجل.

شعر كوماغاوا بالذعر للحظة من هول المسؤولية المُقدِم عليها في تسجيل صوت الأمبراطور، لكنه أدرك أن لا خيارَ آخر له سوى أن يحمل هذه المسؤولية مثل أي جندي. بصمت استدار مغادراً الغرفة لتجهيز المعدات اللازمة.

جهازا تسجيل من نوع Khan14، طاقمان من مكبرات الصوت، ومايكرفون ماتسودا، هي أفضل ما يوجد في اليابان ستستخدم للتسجيل. كل أعضاء طاقم التسجيل الأربعة شعروا منذ الآن أن آلات الحكومة ستحمل الأمل بمحاولة تحويل دمار الحرب واضطراب الاستسلام إلى سلام وإعادة بناء اليابان.

للميجور هاتاناكا والليفتنانت كولونيل شينراكي وجهة نظر مختلفة تماماً. كانا مجتمعين في مقر قسم الحرس الأمبراطوري مع اثنين من ضباط أركان الأقسام، الميجور ابشيهارا والميجور كوغو، زوج ابنة الجنرال توجو. وجد الضباط الأربعة أنهم متفقون تقريباً، على أن الرجال الأربعة الذين حول الأمبراطور وقد ضغطوا عليه لقبول إعلان بوتسدام، الإعلان الذي يمكنه فقط أن يؤدي إلى دمار البلد. لذلك، ربما لم يكن الأمبراطور راغباً بذلك من قلبه، لكنه مُرِّرَ إليه بدهاء، ولذا فقد كان واجب الحرس الأمبراطوري الواضح هو حماية الأمبراطور من الأشخاص المتخفين بزي رجال الدولة الناصحين، الذين كانوا يخونون بلدهم وامبراطورهم لصالح العدو. بعد ذلك سيكون كل الجيش حرّاً باتباع الرغبات الحقيقية للأمبراطور، عوضاً عن اولئك الذين أقنعوه بالاعلان.

الآن بدأوا يفكرون بالإجراء الذي يجب أن يُتخذ لتنفيذ قرارهم الذي توصلوا إليه عِبرَ المنطق. اتفقوا على الموت، ولا شيء غيره. كان الأربعة مستعدين للموت، إذا كان موتهم يسهم في صيانة الدولة الأمبراطورية، كانوا مستعدين للموت حتى إذا فشلوا، واثقين أن ما سيفعلونه يكون لصالح اليابان. قرروا، أنهم لن يبالوا حتى إذا وصموا بالخيانة، طالما أنها ستتبع موتاً مجيداً.

مثل الأبطال الشجعان في الحضارات اليابانية القديمة، يعرفون أن أسماءهم ستكتب في صفحات التاريخ وسجلات تاريخ الجيش. لكن تفاصيل الانقلاب لا تزال بحاجة إلى عمل، وهذا يعني جهوداً شاقة إضافية تتطلب كل التركيز منهم.

كان الجنرال أنامي قد وافق على اقتراح الكولونيل آراو، واستدعى إلى مقره الخاص في الوزارة الأسماء الأكثر بروزاً في الجيش: رئيس الأركان، مدير عام التعليم العسكري، نائب رئيس الأركان، نائب وزير الحرب، اثنين من الفيلد مارشالات، ورؤوساء الأقسام والدوائر والقطاعات.

وضع نائب وزير الحرب بوقار وثيقة على الطاولة وقال: «وزير الحرب يطلب من كل الضباط الحاضرين التوقيع على هذه الوثيقة الخاصة بسياسة الجيش».

• أول الموقعين كان الوزير نفسه، ثم الآخرون، وجاء في الوثيقة:

وزراة الحرب

14 آب، الساعة 2:40 بعد الظهر

القوات الامبراطورية ستنفذ بصرامة قرار صاحب الجلالة الأمبراطور.

بعد إجراءات التوقيع ووضع الختم، قال الجنرال اوميزو: «اعتقد أنه من الضروري السيطرة على نشاطات القوة الجوية أيضاً، لذا أقترحُ تأمين توقيع القائد كاوابي». هذا أيضاً اتفق عليه. الآن تضمنت سياسة الجيش الأمبراطوري أن هؤلاء الضباط إذا انحرفوا عن تلك السياسة سيعتبرون مذنبين ليس فقط في التمرد، بل بالخيانة العظمى.

بينما حاول هاتاناكا ورفاقه المتآمرون وبمشقة تبرير أفعالهم، وبينما كانت أعلى قيادات الجيش قد وقعت على قسم الولاء للامبراطور، كان عامل المحطة في الإذاعة الامريكية في اكيناوا يكتب بعجلة الرسالة التي اذيعت بالإنكليزية من طوكيو عن وكالة أنباء دومي:

فلاش، فلاش،

طوكيو 14 آب.

لقد عُلم أن رسالة امبراطورية بقبول

إعلان بوتسدام ستذاع قريباً.

كانت الساعة الثانية و 49 دقيقة، وكان ذلك تقريباً أول مؤشر إلى العالم الخارجي بنهاية الحرب.

14 آب

من الساعة 3 – 4 بعد الظهر

«هل ستكون ماغاتا أخرى؟».

• جنرال تاناكا

كان الرجال الثلاثة التنفيذيون من الإذاعة، مع فريق التسجيل، في طريقهم إلى القصر في سيارتين أرسلتهما وزارة شؤون القصر. كان الرجال صامتين طوال الطريق، واستمروا في صمتهم حين دخلت السيارة القصر عبر بوابة ساكاشيتا الخشبية. خلال الحرب، خفف القصر الأمبراطوري قليلاُ من تشدده في مسألة الاتيكيت، وفي هذا اليوم بالذات، اليوم الذي يسبق إنهاء الحرب، ظلت المراقبة الصارمة مستمرة على اولئك الذين يدخلون القصر، إذ يتوجب عليهم ارتداء أزياء مناسبة، مع ذلك فإن بعض القواعد طُرحت جانباً بالنسبة لرجال هيئة الإذاعة اليابانية، هذا البروتوكول ليس مطلوباً من الذين يرتدون سراويل مخططة وجاكيتات صباحية طويلة، لذلك سمح لهم الحرس بالدخول مرتدين الكوكومينيفوكو، لباس المدنيين وقت الحرب.

كنجيرو يابي، مدير دائرة الإذاعة المحلية كان قد استعار لباسه من رجل أكبر منه بكثير، وهو الآن خائف وهم يقتربون من وزارة شؤون

القصر، لأن هذا الرداء الفضفاض، الكبير الحجم، ربما يعتبر خرقاً للاتيكيت بحضور الأمبراطور.

استُقبل فريق الإذاعة من قبل اثنين من رؤوساء قسم الاستعلامات في وزارة شؤون القصر، كلاهما، كما لاحظ يابي، كانا يرتديان زيّاً مناسباً لحجمهما.

ربما لم يكن قد لاحظ أنهم مثل الآخرين جاءوا للتحية، فالكل يرتدي نفس ملامح الجديّة، حتى التعابير المنهكة، إذ كان الجميع مرتبكاً، ومتعكر المزاج للغاية بسبب المهمة الصعبة التي جاءوا إلى القصر لأدائها.

صعد الفريق إلى غرفة في الطابق الثاني حيث سيتم التسجيل، وبدأوا تركيب الأجهزة الضرورية بأسرع وقت ممكن، إذ لم يخبرهم أحد متى سيبدأ الأمبراطور الحديث للشعب وللأجيال القادمة، لذلك أراد يابي أن يكون كل شيء جاهزاً قبل الوقت. أحد المسؤولين في الوزارة سأل فيما إذا كان ممكناً أن يستمع الأمبراطور إلى التسجيل بعد الإنتهاء منه مباشرة. قال رئيس المهندسين يمكن ترتيب ذلك، ثم توجه مع أحد مساعديه إلى مبنى شركة داييتشي للتأمين في هيبيا، حيث توجد محطة إذاعة سريّة تحت الأرض، وضعت هناك لاحتمال مهاجمة العدو للمحطة الرئيسية. هنا يُحفظ الجهاز الوحيد في اليابان لإعادة وتقديم الصوت المسجل.

بينما كان الاثنان يقودان السيارة تحت ظلال بعض الأشجار في طريقهما إلى مبنى دايتشي، شعرا بنسمات باردة فوق وجهيهما المبللين بالعرق، فلاحظا أن بعض الأشجار الخضراء ما زالت موجودة في العاصمة المدمّرة. أشجار خضراء لا تزال تنمو في مرتفعات اتشيغايا أيضاً، إلاّ أن الرجال القابعين في المبنى الضخم هناك في القمة، لم يكونوا بمزاج يسمح لهم بتأمل الأشجار. النهاية الوشيكة لجيشهم (الذي لا يقهر) أصابت البعض منهم باليأس، والبعض الآخر بالغضب، وآخرين بالبلادة وفقدان الأمل، وآخرين بالحاجة إلى اتخاذ إجراء ما، مهما كان بعيداً عن الصواب ومتهوراً، إلاّ أنه قد يصيب.

ما حدث، أدهش بعض الضباط الكبار من (البو شيدو)[1]، الذين كانوا دائماً يعيدون الحياة لجيشهم ويجعلونه أكثر صرامة، صار جهازهم الآن رقيق الشعور. إلى أي مدى سقط تجمع فرسان البوشيدو، فكروا، أنه تحوّل من (الساموراي) القدامى إلى خيبة هذا السرب من المحاربين القدامى الساعين خلف طموحاتهم، الذين اعتبروا ارسالهم إلى الجبهة شكلاً من أشكال العقاب، الآن يعتبرون أنفسهم ليسوا فقط القادة الطبيعيين لرجالهم، إنما للمئة مليون ياباني من المدنيين أيضاً.

بعض هؤلاء الضباط القدامى اعتبروا القدر قد استبد بالجيش أكثر مما يستحق: فهو بدلاً من خدمة البلد، كان يحاول أن يجعل البلد يقوم بخدمته، وفشل، كجيش، إذ طالما يضع نفسه فوق وأمام الدولة، فإنه حتماً سيفشل على الدوام.

بالنسبة لأحد الضباط الكبار، بدا الجيش الياباني مثل جرّة من الخزف، صدوعها الكثيرة أخفت شكلها الأصلي. شعر ذلك الضابط بالاحتقار للعديد من الرجال الذين رآهم حوله، ممن تركوا الطريقة اليابانية القديمة في القتال، عندما كفّت (البوشيدو) عن كونها القوة المعيدة للحياة في الجيش، وفكر، أن الجيش فقد كل شيء.

إلاّ أن رجلاً واحداً على الأقل حاول التشبث بمبادئ الساموراي، ذلك الرجل هو قائد الجيش، وزير الحرب أنامي، الذي وقف الآن عند نافذته، ينظر إلى التل الأخضر في الأسفل، متسائلاً عن أفضل طريقة يؤدي بها وعده للامبراطور: «اتحدثُ إلى الجيش»، قال أنامي، يعني التحدث إلى تابعيه المخلصين. كيف يضمنهم؟ كيف يمنع ضباطه المرتبكين، المتهورين من نثر أشلاء تلك الجرّة المتصدعة، ومن بعدها كل البلد؟

1- بوشيدو: القواعد والأوامر غير المكتوبة التي التزم بها محاربو العصور الوسطى في اليابان، الذين يطلق عليهم (الساموراي)، مثل الكرامة، الشرف، والشجاعة، بالإضافة إلى الولاء المطلق للقائد. والمعروف عن جماعات الساموراي حماسهم الشوفيني إلى بناء امبراطوية كبيرة بالسيطرة على الدول المجاورة، ففي عام 13 ابريل من عام 1914، نظم تينو دي هيزن تمرداً ضد قرار الأمبراطور ميجي بعدم غزو كوريا. (المترجمة)

في أعلى التل، كان هناك القليل من النسيم، لكن اليوم ما يزال حاراً رطباً. تنهد أنامي، ثم تحرك بعيداً عن النافذة ودعا إلى عقد اجتماع لكل الضباط في الوزارة من مختلف القطاعات. عندما تجمعوا أخيراً، ارتقى منصة صغيرة في مقدمة الغرفة. لم يكن نفس الرجل الذي يملك تلك القدرة على اخفاء أو تغيير تعابيره، فأمكن للضباط الذين جلسوا في مواجهته قراءة ما أرادوا في ملامح وجهه: يأس، غضب، إنهاك؟ أمل؟. إلاّ أنهم لم يكونوا واثقين بأن ما قرأوه كان فعلاً هناك؟.

قال أنامي: «عندما اتخذ الأمبراطور قراره يوم الجمعة بقبول إعلان العدو، مع ضمان بحماية كيان الدولة، لا يستطيع أحد القول بما يحمل المستقبل، أو فيما إذا كان على اليابان أن تستسلم أو تواصل القتال، قرارنا كان معتمداً على قرار العدو. لذلك آمرتكم بالبقاء مترقبين لتطورات الوضع، وأن تكونوا على استعداد لأي من الاحتمالين. ومع ذلك، فالموقف الآن صار واضحاً ونهائياً. قبل ثلاث ساعات قرر الأمبراطور قبول إعلان العدو. الجيش سيطيع أوامر الأمبراطور. وقد عرض أن يأتي إلى هنا ليتحدث إليكم بنفسه، فأجبته بأن ذلك ليس ضرورياً».

أجال أنامي نظره في الغرفة بين الوجوه، قبل أن يكمل: «الجيش، قلتُ، سيكون مثل بقية الشعب، مطيعاً لأوامر الأمبراطور. إذ أن اليابان تأمل فقط بالنجاة. الأمبراطور مقتنع أن كيان دولتنا سيبقى مصاناً، وقد عبّر عن قناعته تلك لكل المارشالات. تبعاً لذلك، فقواد الجيش الثلاثة والمارشالات أقسموا، قبل دقائق فقط، في هذا المبنى، على اتباع قيادة الأمبراطور. لا يوجد ضابط في الجيش الأمبراطوري يمكن أن يعصي أوامر الأمبراطور. لا ضابطَ يُفترض أنه يعرف أفضل من الجيش والحكومة ما هو الأحسن للبلد».

كان الصمت مطبقاً في الغرفة.

كان صوت أنامي، بينما هو مستمر في الحديث، حاداً وواضحاً. «أنا اتفق معكم، أن الشروط كانت غير طبيعية، لكن هذا لا يغيّر من كون الطاعة

هي المبدأ الرئيسي للجند. مستقبل اليابان لم يعد غامضاً، لكنه لن يكون مستقبلاً سهلاً. أنتم الضباط...» صمت أنامي، فرفع عديله الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا عينيه المسبلتين. فكر أن على أنامي أن يقول «نحن الضباط»، والحقيقة أنه لم يقنع تاكيشيتا بأنه وصل أيضاً إلى نفس القرار.

«أنتم الضباط»، استمر أنامي بصوت متحشرج، «عليكم أن تدركوا أن الموت لا يمكنه أن يحلّكم من واجبكم. واجبكم أن تبقوا على قيد الحياة وتفعلوا أفضل ما في وسعكم لمساعدة وطنكم على امتداد طريق الشفاء، حتى إذا تطلب ذلك مضغ العشب وأكل التراب والنوم في الحقول!».

في الصمت الذي تلا ذلك، نهض الليفتنانت جنرال ماساو يوشيزومي، رئيس دائرة الشؤون الحربية، وأعاد باختصار النقاط الرئيسية لخطبة الأمبراطور. إلاّ أن افكار معظم الحاضرين ظلت تحوّم حول كلمات أنامي. أدرك الضباط أن الوزير أصدر واحداً من قراراته النهائية: لقد أمرهم أن لا يقدموا على الانتحار. لكن البعض اندهش، كما هو الحال مع تاكيشيتا، فيما إذا كان هو نفسه يختار ذلك الأمر معبّراً لقواد الجيش الامبراطوري الزائلين عن حزنه، في كون قَدَر الرجل اختيار وضع نهاية لسبعين عاماً من تاريخ الجيش الأمبراطوري! كان الجيش قد وثق بقيادة أنامي، وقد فشل هو في تلك الثقة. إطاعة ما قرر كان الواجب الأعلى، مع ذلك فقد فشل.

وقف نائب الوزير، وبصوت مرتعش، أكد لأنامي أن كل الضباط الحاضرين سيتبعون تعليماته.

نزل أنامي عن المنصة. لكن، لم يكن جميع ضباط أنامي حاضرين ليستمعوا إلى تعليمات الوزير، أو تأكيدات نائبه بالطاعة. ولم يتم أخذ أسماء الحاضرين.

كان الليفتنانت كولونيل إيْدا، على سبيل المثال، في الملجأ تحت الأرض لبعض الراحة، رغم أنه علم بانعقاد الاجتماع. الراحة؟ لا، كان مستلقياً، هامداً كالأموات، إلاّ أن أفكاره القلقة لم تترك له مجالاً للراحة، فلم يبق شيء في الحياة لم يشعر ازاءه بالاشمئزاز والقرف.

لم يحضر الاجتماع أيضاً كل من الميجور هاتاناكا، والليفتنانت كولونيل شييزاكي، إذ بينما كان أنامي يرتقي المنصة، كان هاتاناكا يرتقي السلم إلى مكتب الجنرال تاناكا، قائد القطاع الشرقي للجيش، في الطابق السادس من مبنى وايتشي للتأمين. (وبالمصادفة الغريبة، كان مهندسو الإذاعة في نفس اللحظة، يفككون جهاز إعادة التسجيل في الطابق تحت الأرض من نفس المبنى، ليستخدم أثناء تسجيل البيان الأمبراطوري، الأمر الذي سيتمثّل بوضوح في أفكار هاتاناكا وأفعاله في وقت لاحق من النهار).

صرخ هاتاناكا باسمه من خلف الباب، فوضع مساعد القائد يده على سيفه. اندفع الشاب الميجور هاتاناكا داخل الغرفة وهو يتنفس بصعوبة، وجهه شاحب وعيناه تقدحان شرراً، إلاّ أن الجنرال تاناكا لم يعطه فرصة للكلام. «لماذا جئت إلى هنا؟» صرخ بشدة، «أعرف ما يدور في دماغك، ولا أريد أن اسمعه! غادر الآن. اخرج!».

وقف هاتاناكا معتدلاً مثل مدّك البندقية، وبشفاه مرتعشة حاول الكلام، لكن الكلام انحبس على لسانه. حدّق بالجنرال، بينما ظلت يد معاونه على سيفه، وأخيراً أدى هاتاناكا التحية العسكرية، استدار على عقبيه، وغادر المكتب.

تنهد معاون الجنرال، ورفع يده عن مقبض السيف.

نكّس تاناكا رأسه وقال: «هل ستكون حادثة ماغاتا أخرى؟ أعتقد أنها قريبة جداً». كان يقصد حادث عام 1935، عندما انقسم الجيش إلى حزبين، وأدى الإنقسام إلى مأساة، حين اندفع الليفتنانت كولونيل ايزاوا إلى وزارة الحرب، ثم سحب سيفه وقتل الليفتنانت جنرال ماغاتا من الحزب المنافس. لكن الموقف هذا الثلاثاء من بعد الظهر، كما فهم الجنرال تاناكا، كان أبعد من ذلك بكثير، وأكثر خطورة.

كان القطاع الشرقي للجيش، الذي يقوده، يمثل قوة الدفاع، ولا يعرف أكثر من تاناكا بأنه لم يعد قادراً على الدفاع عن البلد، فقد تدهورت كفاءة الجيش مع السنين، كذلك عزيمة الشعب، وكل مصانع الذخيرة تقريباً في

المنطقة دُمّرتْ. لو أن العدو غزا الجزء الغربي من اليابان، حيث كيوشو، فإن قوة الدفاع هناك ربما كانت قادرة على الصمود وإن لبعض الوقت، لكن هنا في الشرق، في منطقة طوكيو، حيث يعيش اثنا عشر مليون شخص، كيف ستتم حمايتهم إذا هبطت قوات العدو؟ ماذا سُيطعمون؟ بعض ضباط الجيش يعتقدون أن روح اليابان قد توهجت بقوة في نفوس الناس، بحيث أنهم مستعدون للموت مسرورين دفاعاً عن أرضهم، لكن تاناكا يستغرب فيما إذا كانت سنوات المجاعة، حيث تتضاءل امدادات الطعام، وشهور الدمار، حيث يتصاعد قصف العدو، لم تضعف بحدّة تلك الروح! وكقائد لقوات الدفاع، كان مرهقاً من كون المدنيين غير المسلحين في مقاطعته كانوا أكثر عرضة، ليلاً ونهاراً لقوات العدو الجوية من الجنود أنفسهم.

لم يعد تاناكا يشكّ أبداً أن الأمل الوحيد لشعب اليابان هو الاستسلام؛ كما لم يعد يشكّ أيضاً بأنه إذا أمسك بعض اولئك الضباط المتعصبين زمام الأمور، فإن الشعب الياباني ليس أمامه أي أمل على الاطلاق.

لقد تفهم وجهة نظر الجيش، كما يفعل أي ضابط في البوشيدو: لا تراجع، لا استسلام، والرغبة القوية بالموت دفاعاً عن الوطن. ثلاثة ملايين جندي موزعون عبر اليابان قد تشربوا نفس العقيدة: كم من القوة تحتاج اليابان لنفخ النار الكامنة وتحويلها إلى لهب؟ اللهب الذي ربما أحرق البلد بالكامل. سبعة آلاف طائرة كانت مستعدة للانتحار الجماعي: لو استخدمت هذه الطائرات، هل سيظهر العدو بعض التراجع؟.

لم يكن قائد القطاع الشرقي الرجل الوحيد الذي أدرك تزعزع الموقف. المركيز كيدو، المستشار والناصح للامبراطور، استمر في جدول أعماله المحموم. في الثالثة وعشرين دقيقة استقبل الأمير ميكاسا، وفي الثالثة والأربعين اجتمع مع رئيس معاوني الأمبراطور هاسانوما، بعد ذلك تحدث إلى وزير شؤون القصر ايشيواتاري، في الثالثة وخمسين دقيقة كان في اجتماع مع كينغو ماتشيمورا، مدير عام قسم شرطة العاصمة،

بعد ذلك زاره الامير تاكاماتسو. كان موضوع تلك المناقشات هو تأمين سلامة الأمبراطور، العاصمة، البلد، وإنهاء الحرب بشكل نظامي.

ظل هاسونوما على اتصال مع وزيري الحرب والبحرية، وقد أكدا لكيدو أنهما واثقان من سيطرتهما على ضباطهما: «لا تقلق بشأن سلامة الشعب» قال ماتشيمورا، «أستطيع أن أوكد ذلك، طالما سيكون مفعول الاستسلام عاجلاً»، ثم توقف، من دون أن يذكر الحالة التي فكر بها هو وكيدو في نفس الوقت. لقد عرفوا أن الجيش سيحشر نفسه بين رغبة اليابان بالاستسلام وبين قدرتها على ذلك الاستسلام. سمعوا أيضاً شائعات كانت تطير حول طوكيو بجناحي نسر من أن قوات ضخمة للعدو ستهبط في الخليج الصباح التالي، وستزحف إلى العاصمة، ستنزع السلاح من أيدي الجند والشارات من على بدلاتهم. مخاوف من هذا النوع من الدمار صارت تحفّز الجند على اتخاذ إجراء ما.

لاح في ذهن كيدو، كما في ذهن تاناكا نفس السؤال المخيف: كم من القوة سيتطلب نفخ النار الكامنة وتحويلها إلى لهب؟.

خلف وزارة الحرب، على مرتفع ايجيكايا، اللهب لم يعد بحاجة إلى نفخ. كومة من الوثائق قد اغطست بالكازولين واضرمت فيها النار.

لا تزال حرارة النهار غير محتملة، وحرارة اللهب دفعت بالجنود إلى الخلف. راحوا يلقون المزيد من الوثائق إلى النار من مسافة آمنة، لكن بالنسبة للضباط الواقفين عند نوافذ قطاع الشؤون الحربية، يراقبون ألسنة اللهب وخيوط الدخان السوداء تتخذ طريقها إلى السماء الحارة، الخانقة، كان ذلك بمثابة محرقة حقيقية، والجسد الملقى في المحرقة هو جسد الجيش الأمبراطوري الياباني.

«نعم، نعم!» صرخ اللفتنانت كولونيل إيْدا، الذي جاء من الملجأ لمشاهدة اللهب. «احرقوها كلها! وبعد ذلك، فقد بقي لنا شيء واحد لنفعله! هل تعرفون ما هو؟ يجب أن نعتذر للامبراطور عن هزيمتنا، وهل تعرفون كيف نفعل ذلك؟ يجب علينا جميعاً، كل واحد منا، كل

ضابط في الجيش أن يشق بطنه. كيف إذن نستطيع أن نسجل أسماءنا في الخلود! كيف نستطيع أن نعبّر عن ايماننا بخلود اليابان؟».

توقفْ إيْدا، ثم واصل بعد لحظة بصوت منخفض إلى درجة أن الجنود كانوا يسمعونه بصعوبة: «كنت هناك لوحدي، في الملجأ فكرت كثيراً. هل تعرفون؟ طوال حرب شرق آسيا العظيمة، لم أعرف لحظة عاطفة عميقة واحدة. هل تصدقون؟ لكن الآن أعرف أنني بقتلي لنفسي أستطيع تعويض ما افتقدت إليه من تلك العاطفة. أستطيع أن أقدم اعتذاري للامبراطور، ولنفسي».

14 آب

من الساعة 4 إلى 5 بعد الظهر

«لا، قدري أن أموت غداً».

• اللفتنانت كولونيل ماساتاكا إيْدا

بعد أن عاد الجنرال أنامي إلى المقر الرسمي لرئيس الوزراء، استؤنف اجتماع مجلس الوزراء. سلم ساكوميزو، سكرتير رئيس المجلس، نسخة من مسودة القرار الأمبراطوري، الذي سيذاع إلى الأمّة وإلى العالم من قبل الأمبراطور نفسه عن نهاية الحرب.

صاغ هيساتسون ساكوميزو ومينشيو كيهارا المسودة بناءاً على ما قاله الأمبراطور في الاجتماعين الامبراطوريين، الأول ليلة الخميس/ الجمعة، والثاني قبل ساعات منه. لم يكن القرار وثيقة سهلة الترجمة تحت كل المقاييس، فاللغة اليابانية معقدة جداً، ومتحدث اليابانية يستخدم كلمات وأفعال تُحدّد وفقاً لطبيعة العلاقة مع الطرف الآخر (المُخاطَب). بالنسبة لليابانيين الآخرين، وطبيعة العلاقة، فإن الأمبراطور لم يتحدث، ولا يتوقع منه التحدث بذلك المستوى من اليابانية التي تسمع في الشارع، أو في قاعات الاستقبال، أو حتى في الجامعات؛ كانت لغته رسمية، تقليدية قديمة. والقرار الذي وقعه ليوجّه إلى الأمّة كان من الطبيعي أن يصاغ بلغة مألوفة بالنسبة إليه، وتناسب مستواه الرسمي. لذلك استعان ساكوميزو وكيهارا

بعدد من المراجع، بالإضافة إلى اسشارة أثنين من اليابانيين المختصين بالصينية التقليدية.

تسلم الرجال الجالسون حول طاولة مجلس الوزراء المستديرة المسودة باحترام، واستقروا على مقاعدهم صامتين لدراستها. كانت الغرفة مظلمة، لأن النوافذ قليلة وصغيرة، ومع أن الضوء في فترة العصر لا يزال ساطعاً، إلاّ أن المصابيح الكهربائية اضيئت أيضاً، وكان بعض اعضاء المجلس قد وضعوا نظاراتهم.

وقف ساكوميزو بجانب احدى النوافذ. كانت الاشرطة المعتِّمة قد أُلصقت عليها بشكل خطوط افقية وعمودية متعاكسة، ومن خلال تلك الفرجات الصغيرة استطاع أن يرى بوضوح كبير الخراب الذي خلفه العدوان الجوي في العاصمة. خلف مقر رئيس الوزراء تقف بناية على الطراز الياباني التقليدي، تحولت الآن إلى مجرد ركام من هيكل ودعامات خشبية محترقة. البيوت المبنية على الطراز الغربي، التي استخدمت لسكرتارية مجلس الوزراء، لم يتبق منها غير فُتات جدران سوداء. الأشجار على امتداد النظر محترقة وميتة، بعد أن تحوّلت إلى قشور سوداء وقاتمة. أغصان خريفية يابسة، على الرغم من أنها في عزّ فترة الاخضرار الصيفي. وراء الجدران المحيطة بمباني الوزارة، كان المنظر يضم خرائب مهجورة: مجمعات إثر مجمعات من المباني المدمّرة بالنيران، بعضها لا يزال يدخن خلف جدران متفحمة. المباني تنتصب هنا وهناك، مع ذلك فشلت في إضاءة المنظر السوداوي. وبالرغم من أن السفارة الامريكية تقف بمفردها على التل عبر تاميكي، فقد بدت سليمة، لكنها مجرد صَدَفة بسقف محروق.

عاد ساكوميزو إلى الغرفة وأزاح الستارة المعتمة المسدلة خلف النوافذ. وكان وزير التعليم هو الآخر قد أعدّ مسودة للقرار، لكنه تركها الآن، قال: «أعتقد أن علينا أن نجعل هذه الوثيقة الرائعة أساساً للنقاش».

قال وزير الحرب ووزير البحرية، باعتبارهما رئيسي القطاعين اللذين سيتم حلّهما كأول محصلة لقرار الاستسلام، أنهما يرغبان، قبل المصادقة

على القرار، أن يطّلع عليه الاشخاص ذوو العلاقة بوزارتيهما. فتفهم مجلس الوزراء موقفهما، وكيف يشعر الرجلان. كان مجلس الوزراء ما زال متخوفاً من حركة مفاجئة من أنامي، فوافق بسرعة وارسل نسخة من المسودة إلى الوزارتين.

بدا واضحاً الآن أن المناقشات يجب أن تنتهي خلال ساعة. فارسلت توجيهات ادارية إلى وزارة شؤون القصر، طالبة الاستعداد لتسجيل صوت الأمبراطور قبل الساعة السادسة بعد الظهر.

كان الميجور هاتاناكا قد ركب دراجته البخارية وسار في الصيف اللاهب من طرف طوكيو إلى طرفها الآخر. ذهب من وزارة الحرب إلى قسم الحرس الأمبراطوري؛ ومن هناك إلى مقر القطاع الشرقي للجيش، بعد ذلك عاد إلى وزارة الحرب، ودخل غرفة الليفتنانت إيْدا.

كان إيْدا ينظف المكان استعداداً للانتحار. نظر إلى هاتاناكا بدهشة، الغبار والعرق قد تجمعا كتلاً على وجهه، لباسه العسكري كان أكثر قتامة ومبقع بالعرق، ووجهه ملتهباً. لم يكن نفس ذلك الرجل المنكسر الجالس في ملجأ وزارة الحرب يبكي قبل أربع ساعات، بدا الآن كمن وجد هدفاً في الحياة، وعندما سأل إيْدا ليصعد معه إلى سطح الوزارة، راقت الفكرة لإيْدا من باب الفضول، فصعد معه. هناك، حيث وقف الرجلان ينظران إلى القليل المتبقي في طوكيو وقد تحوّل إلى حطام، بدأ بينهما حوار واضح، كاشفاً كل ما يدور في رأسيهما، وإن كان غير حاسم. في النهاية لم يغيّر أيٌّ منهما رأي الآخر.

كانا معاً في الكلية العسكرية، على الرغم من أن إيْدا تخرّج قبل هاتاناكا بسنة، وظلا أصدقاء، غالباً ما يتحدثان لبعضهما بطريقة عادية، لكن ليس في كل الظروف. كان هذا أشبه بحوار في مسرحية، وربما راقت دراما المشهد لكلا الممثلين، الذين لعبا دوريهما بصدق، بينما تقف ثالث أكبر مدينة في العالم في حطام الحرائق كستارة خلفية للمشهد.

بدأ هاتاناكا سائلاً إيْدا عن رأيه عمّا يجب فعله، فلم يتردد إيْدا في

الإجابة بأنه يعتقد أن الشيء الوحيد الصحيح الذي بقي مفتوحاً أما ضباط الجيش الأمبراطوري المهزوم، هو الانتحار وفقاً لقواعد الساموراي. لم تكن الكلمة التي استخدمها إيْدا: «هاراكاري» كافية ولا ممتازة لفعل ممتاز كهذا. جفل هاتاناكا للحظة، ثم صرخ: «نعم! سيكون حقاً العمل الصحيح الرائع الذي يجب فعله».

إيْدا: الشيء الوحيد الصحيح الذي ينبغي عمله.

هاتاناكا: لكن أتعتقد أنه سيعطي نتيجة؟

إيْدا: لم لا؟ ربع الضباط تقريباً معي أصلاً...

هاتاناكا: لكن هل سينضمّ إليك آخرون؟ البعض تحدث عن الذهاب تحت الأرض. لا، في رأيي، خطتك جميلة كما هي، لكنها ستنتهي إلى الفشل.

إيْدا: إذن، هل ستقف جانباً ولا تقوم بأي شيء؟ تنتظر العدو ليكسر سيفك؟

هاتاناكا: لا!

إيْدا: ماذا تقترح إذن؟

هاتاناكا: لا أدري. أتمنى لو أعرف! من الأفضل لنا أن نطيع قرار الأمبراطور، أو نستمر في القتال! ماذا يمكن أن يقول أي أحد؟ ماذا يستطيع الإنسان أن يرى في المستقبل؟

إيْدا: يجب أن نترك قدرنا للسماء.

هاتاناكا: إذن عليّ ان أقوم بدور الياباني المخلص، حتى لو كان هذا يعني في النهاية أن أُدعى خائناً (ثم بحماس) فالأفضل أن اقاتل العدو الذي أُودع وامبراطوري وبلدي في يديه!

إيْدا: لكن الأمبراطور قد تحدث بنفسه، وأمرنا الجنرال أنامي بالطاعة.

هاتاناكا: (بانفعال، وعيناه تبرقان) أي جانب تأخذ السماء، هذا ما لا يستطيع أي إنسان أن يقوله. لكن القرار دائماً يتأثر بالفعل، وإذا كان المحرّك الأساسي للفعل هو الاخلاص من القلب، فلماذا إذن يخجل من يقوم بهذا

العمل حتى إذا فشل؟ لا أحد يستطيع رؤية مستقبل الحدث إلى أن يصبح المستقبل ماضياً، لكن كل واحد يستطيع أن يعمل وفقاً لما يمليه عليه ضميره.

إيْدا: (بهدوء) هل بنيت خطة فعلية بنفس القوة التي تتحدث عنها؟

هاتاناكا: نعم، كولونيل، فعلت. أريد احتلال وزارة شؤون القصر، أريد أن أقطع اتصالات القصر بالخارج، وتركيز جهودنا على مساعدة الأمبراطور لحماية اليابان. فقط، لو يبدأ بعض الضباط بعصيان الآن، فكل الجيش سيتبعهم. وليس لدي أدنى شكّ على الاطلاق بأننا سننجح. والسماء ستقف إلى جانبنا. انضم إلينا، كولونيل! (يظل إيْدا صامتاً) ألا تعتقد ان هذه الخطة أفضل من الانتحار بشقّ البطن؟

إيْدا: النجاح سيكون أفضل. لكن وزير الحرب يقول أنه لا أمل في النجاح. فالامبراطور مصرّ على إنهاء الحرب.

هاتاناكا: لكن بالتأكيد، فإن كل من يؤمن بأن اليابان صامدة وخالدة، مثلي، ومثلك، يجب أن يقوم بمحاولة أخيرة لالتماس الأمبراطور تغيير رأيه. الرجال من حوله.

إيْدا: لكن لو نهض الجيش ثم فشل، ستتبع ذلك حرب أهلية، ماذا سيحدث لليابان بعدئذٍ؟ كما قلت بنفسك، لا ضمان بالنجاح، لذلك أعتقد أن على الجيش أن يطيع قرار الأمبراطور. الآخرون، أمثالنا، ربما يختارون حلولاً فردية لا تُعرّض البلد للخطر.

هاتاناكا: لكن، كولونيل..

إيْدا: لا، ميجور هاتاناكا، لا استطيع قبول خطتك. النار التي يُصبّ فوقها الماء الآن، يجب أن لا تُشعل مرة أخرى. هذا طريق الحياة.

هاتاناكا: الكولونيل يتحدث عن النجاح والفشل. لكن كيف يستطيع الوثوق من أن قرار الأمبراطور سينجح؟ فلا رئيس الوزراء ولا وزير الخارجية يستطيعان تأكيد ضمان صيانة نظام الدولة في حالة الاستسلام. لذلك فأنا مصرّ على ترجمة خطتي إلى فعل.

إيْدا: اتفق معك بأننا لا نملك ضمانات بأن قرار الأمبراطور سيصون

الدولة، لكنني مقتنع أن تمرد الجيش سينتهي إلى الفشل. الوقت يجري لغير صالحنا. لذا قررت أن انتحر. لأدعِ العالم يعرف أني لم ارضخ ولم انكّس اليد التي ارتفعت لتقاتل، لكن بدلاً من ذلك آخذ سيفي بيدي وأشقّ بطني.

هاتاناكا: لكن الحرس الأمبراطوري وافق...

إيْدا: هاتاناكا، أنا معجب بروحك، معجب بها أكثر مما استطيع قوله لك؛ ربما أحسدك عليها، لذا أقول لك، استمر بخطتك، لن احاول إيقافك. لكني لن انضم إليك أيضاً... لا، فقدري أن أموت غداً. (يربت كل منهما على كتف الآخر) الوداع، هاتاناكا.

(انحنى هاتاناكا وغادر. كان أقل حيوية، وأقل ثقة بنفسه منه لدى وصوله. من الواضح أن لقاءه مع إيْدا اكأبه، لكن من الواضح أيضاً أنه لا ينوي التراجع عن خطته).

القرار الوزاري حول المسودة المستنسخة عن القرار الأمبراطوري، التي ارسلت منذ فترة إلى الجنرال أنامي وزير الحرب، بينما كان جالساً في اجتماع مجلس الوزراء في مقر رئيس الوزراء سوزوكي، جاء في صيغة أن الموافقة عليه يجب أن تتم من قِبل مجلس الشورى قبل إذاعته. كان الطرح غير متوقع، لذلك طلب مجلس الوزراء حضور البارون هيرانوما، رئيس مجلس الشورى، ومع ذلك، فقد تصعّدت الآن مسألة القانونية الدستورية، حيث لا يمكن لمجلس الوزراء صرف النظر عنها لأن هيرانوما كان حاضراً.

هذه المسألة التي واجهت مجلس الـوزراء تصاعدت الآن بشكل مفاجئ: إذا كان الطرح الذي قدمه الجيش له مصداقية قانونية، فإن على مجلس الوزراء أن يُستدعى لجلسة بأسرع وقت ممكن، إلاّ أن الوقت قد تجاوز الرابعة بعد الظهر، ولا يمكن للمجلس أن ينعقد ذلك اليوم. لكن، أي تأخير من ناحية أخرى كان مستبعداً.

حتى الآن، الموقف في اليابان كما في الخارج، أن قرار الاستسلام سيكون فاعلاً خلال ساعات، وأي تأخير سوف يحبط بالتأكيد كل جهود الأمبراطور ووزرائه في وضع نهاية للحرب بدون نهاية اليابان.

سكرتير رئيس الوزراء ساكوميزو جادل بحماس بأنه لا توجد صلاحية قانونية للطرح الذي قدمه الجيش، ومسألة الاستسلام يجب الاستمرار فيها دون موافقة مجلس الشورى. إلاّ أن مجلس الوزراء لم يقتنع، فطلب رئيس الوزراء سوزوكي من رئيس دائرة التشريع، ناوياسو موراس، الذي كان حاضراً الاجتماع، البدء بدراسة عاجلة للمشكلة. نهض موراس، انحنى لرئيس الوزراء وغادر في اللحظة.

كان الطرح الذي جاء من وزارة الحرب مقلقاً للغاية، فهل هذا يعني أن الجيش لا يزال غير مستعد للاستسلام؟ هل كان ذلك مجرد تكتيك لتأخير آخر من أجل الحصول على وقت اضافي لتنفيذ الانقلاب العسكري؟ هل أعدّ وزير الحرب رسالة بالاستقالة مخبأة في احد جيوبه؟ إذا كان الأمر كذلك، فقد يخرجها في أية لحظة، وحينها سينتهي مجلس الوزراء من الوجود، ولن تكون هناك أي هيئة دستورية مخولة بتنفيذ قرار الاستسلام. ما زال الخطر قائماً. اختلس الوزراء النظر سرّاً إلى الجنرال أنامي، لكن وجهه لم يكن يُقرأ أبداً: بدا هادئاً بانتظار عودة موراس، ولا شيء أكثر. لكن كيف يستطيع المرء أن يخفي أفكاره الداخلية، التي يأمل زملاؤه أن يزيحوا الغطاء عنها!. أعضاء مجلس الوزراء الآخرون بقوا ينتظرون عودة موراس بخوف أكثر من مظهر أنامي وما يوحي به.

على غير العادة، دخلت القصر كتيبة من الفوج الثاني لفريق الحرس الأمبراطوري الأول، لمضاعفة وتعزيز الكتيبة الموجودة أصلاً في نوبة حراسة.

يوجد ثلاث فرق للحرس الأمبراطوري، لكن الفرقة الثانية كانت في الخارج والثالثة أُلحقت بالقطاع الشرقي للجيش، لذا كانت حماية الأمبراطور في يد الفرقة الأولى، التي يتناوب فوجان منها على حراسة القصر. اليوم، الثلاثاء، 4 آب، كان الفوج الثاني في المناوبة، ومن الطبيعي، عندما تكون احدى كتائبه في الحراسة، فإن الثانية تكون في مقر القيادة، بينما تكون الثالثة أما في التدريب أو في إجازة. لكن، ولسبب ما، فإن

الكتيبة الثانية وبقيادة قائد الفوج نفسه، تدخل الآن إلى القصر لتعزيز الكتيبة الموجودة في الأصل، والذي يجعل الأمر يبدو غير طبيعي وأن أي إنذار عن غارة جوية لم يُطلق.

أمر قائد الفوج، كولونيل تويوجيرو هاغا، معاونه الكابتن اوتوكيتشي سوغا، أن يبقى في مقر الفرقة إلى أن ينتهي عمله. كان سوغا في حيرة، ولم يجد تفسيراً لهذا الأمر، خاصة وأن الكولونيل هاغا نفسه كان قد أمر بكتائب إضافية.

كل شيء بدا غريباً ومثيراً للدهشة ولشكوك سوغا. كان قد سمع عن شائعات انطلقت يوم السبت تقول أن اليابان قبلت إعلان بوتسدام، إلاّ أن ذلك بدا الآن غير صحيح، وسوغا لم يعرف أن الأمبراطور في نفس صباح هذا اليوم أصدر قراراً ثانياً يؤكد به الأول، عند ذلك لم يكن سوغاً قادراً على تفسير فعل قائده. بصراحة كان قلقاً للغاية.

كان رئيس دائرة التشريعات موراس قد عاد إلى اجتماع مجلس الوزراء، وكان قد أدرج أسباب قناعته بعدم ضرورة الحصول على موافقة مجلس الشورى بشأن القرار الأمبراطوري.، فنظر سكرتير رئيس مجلس الوزراء ساكوميزو بسرعة خاطفة وبقلق إلى الجنرال أنامي، لكن وزير الحرب كان يصغي بهدوء، وعندما انتهى موراس، أومأ برأسه ولم يصرّ على إعطاء أي اهتمام للطرح الذي قدمته وزارته.

كما لم يُخرج رسالة من جيبه.

بشكل ما، وأقل توقعاً، استأنف مجلس الوزراء مناقشة صياغة القرار الأمبراطوري. كانت المقاطعات تتكرر، والوزراء يُستدعون باستمرار خارج الغرفة لاستشارات خاصة، والمداولات، نتيجة لذلك، بدت بلا نهاية.

إذا كان على الحكومة أن تحقق هدفها باستسلام سلمي، فمن الواضح أن عليها التحرك إلى الأمام.

14 آب

من الساعة 5 إلى 6

«أنا متخوف مما يحدث في
الحرس الأمبراطوري».

• الأمير فوميمارو كونوي

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بقليل عندما أُدخل كيدو على الأمير كونوي، المعتدل على الرغم من تأييده غير الفعال للسلام. وكونوي واحد من ذوي النفوذ في اليابان، وهو من (الجوشن) أو كبار رجال الدولة. كان قد اتصل بكيدو قبل قليل، طالباً رؤيته، إلاّ أنه كان متخوفاً من أن كاتم السر قد يكون مشغولاً، لكن عندما قال كونوي إن هناك أمراً يريد مناقشته ليس في التلفون، أجاب كيدو بسرعة بأنه قادم في هذه اللحظة.

جلس الرجلان فواجه أحدهما الآخر.

قال كونوي: «سمعت شائعات لم تعجبني على الاطلاق. أنا متخوف مما قد يحدث لدى الحرس الأمبراطوري. هل تعلم أي شيء عن الموضوع؟».

«لا شيء» قال كيدو هازاً رأسه.

«حسناً، دعنا نأمل أن تنتهي كشائعات..».

«هل لي أن أعرف مصدر تلك الشائعات؟» سأل كيدو.

ضحك كونوي وقال: «حسناً، إنها شائعات، لكن ربما لن يكون مضيعةً للوقت أن تضع الفرقة تحت المراقبة».

قال كيدو: «نعم، بالتأكيد. سنفعل ذلك، لكنني أعتقد أن الفرقة مخلصة».

قال كونوي بمرارة: «دائماً أتذكر حادث السادس والعشرين من شباط[1]، وأنا أعي جيداً حقيقة دعوة الأمبراطور لعقد اجتماع هذا المساء...».

بعدها أخبر كيدو الأمير بأن الاجتماع الأمبراطوري قد عُقد ظهر اليوم. وحيث أن كونوي بلا منصب رسمي، فالجوشن كانت هيئة دستورية إضافية، تقدم النصح والمشورة للامبراطور عندما تدعو الحاجة. لذلك لم يسمع عن الاجتماع الأمبراطوري الثاني. وصف له كيدو الاحداث التي أدت إليه، وسرد ما جرى في الاجتماع، وما قاله الأمبراطور، وما أن انتهى حتى جلس الرجلان هناك والدموع تجري على وجهيهما.

بعد فترة من الصمت السوداوي، نهض كيدو، فكرر كونوي نصيحته بمراقبة الحرس الأمبراطوري، مع ذلك ظلت مخاوفه من ثورة اجتماعية أو شعبية أكثر من الانقلاب في الجيش، فبدا الآن أكثر جدية، إذ ربما كان خوفه من أن الأولى ستكون نتيجة للثانية، مع قناعته باخلاص الفرقة.

هذا ما فعله الحاجب ياسوهيدي تودا. لم يتمالك نفسه من الاندهاش، رغم وجود شكوك مؤكدة عن سبب تواجد هذا العدد من الجنود غير المستخدمين في الممرات بين وزارة شؤون القصر والغوبنكو، حيث يعيش الأمبراطور!.

1- العصيان الذي سبق ذكره، حين قتل الضباط المتمردون رئيس الوزراء، وجرحوا وزير الخزانة، وكاتم أسرار الامبراطور، بعد أن احتلوا وزارة الحرب، ومقر بوليس الامبراطور، ومقر إقامة رئيس الوزراء قبل أن يتدخل الجيش بأمر من الامبراطور لاخماده.

من الواضح، فكر تودا لتبرير مخاوفه، أنه منذ تقرر أمر الاستسلام، فإن الحرس موجود لمواجهة أي موقف طارئ قد يحدث، لقد كان العدد مرعباً، العديد منهم... كانوا هناك. كتيبتان بدلاً من الكتيبة المعتادة، بالرغم من أن كتيبة واحدة كانت أكثر من كافية لحماية المكتبة الأمبراطورية، عندما دُمر القصر جراء قصف جوي من قبل العدو على طوكيو في الخامس والعشرين من أيار.

كتيبتان من الحرس، تنتظران الأوامر، مما أحدث فعلاً فوضى في الممرات حول الغوبنكو حيث يقيم الأمبراطور! مخاوف تودا عاودته بينما كان يمشي مجتازاً الجنود المسلحين، بملابسهم العسكرية، لكن بدون عمل.

في غرفة بالطابق الأعلى من وزارة شؤون القصر، ما زال رجال الإذاعة ينتظرون. كانوا مستعدين لتسجيل القرار الأمبراطوري في الثالثة والنصف، الآن أُخبروا أن ساعة الصفر ستكون السادسة تقريباً. كان توترهم يتصاعد بينما هم ينظرون في كل لحظة إلى ساعاتهم، ولا يوجد شيء أكثر يفعلونه، ظلوا واقفين هناك ينتظرون بلا عمل مثل الجنود المحيطين بالقصر. لم يكونوا يعرفون أن الشخص الذي جعلهم ينتظرون هو الجنرال أنامي، وزير الحرب، الذي اعترض على جملة واحدة، تحديداً، في مسودة القرار، غير مقبولة، هي: «الموقف في الحرب يتطور لغير صالحنا يوماً بعد يوم».

قال أنامي: «هذا يعني، إن الجميع قد هُزم». في هذه الحالة لا يمكنه توقيع اسمه على إعلان كهذا.

«في حالتي» قال، «إننا لم نخسر الحرب، فقط ان الموقف لم يتحوّل لصالحنا...». بدت نبرة صوته لبعض الوزراء هادئة بشكل مثير.

نهض وزير البحرية، الجنرال يوناي، وقال بحماس: «اليابان على حافة الدمار. بكل أسف، نحن فقدنا المعارك في اوكيناوا وبورما. هل تتحدث الآن عن معركة حتى (آخر خندق)، سنخسر هذه أيضاً. لقد هُزمنا، واضح جداً أننا هُزمنا».

قال الجنرال أنامي: «لقد خسرنا معارك، لكننا لم نخسر الحرب بعد. هذا هو الفرق بين قناعات الجيش وقناعات البحرية».

نظر الجنرال يوناي إلى هدوء أنامي بعداء. سكرتير رئيس مجلس الوزراء اوميزو كان شاحباً مع بعض الخوف، بالنسبة له اليابان لم تخرج بعد من الغابة، ويبدو أنها في الحقيقة، مع مرور كل لحظة خطر، تغوص فيها أعمق، وكل بصيص ضوء شحيح يأتي من الخارج ظل غامضاً، قاتماً، والطريق يعود بها إلى الخلف. ساكوميزو نظر بقلق إلى رئيسه، فوجد القليل من الاطمئنان. رئيس الوزراء العجوز كان جالساً على مقعده شارد الذهن كما يبدو ذلك على وجهه: يبدو أنه لم يكن يسمع أية كلمة مما قيل.

اقترح أنامي أن تتغير جملة «الموقف في الحرب يتطور لغير صالحنا يوماً بعد يوم»، إلى «موقف الحرب لم يتحول لصالحنا». إلاّ أن يوناي، مثل بقية الوزراء، ظل محتفظاً بهدوئه. لقد ظلوا مصرين على أن الجملة الأصلية صيغت بشكل صحيح ولا داعي لتغييرها. إلاّ أن أنامي ظل على عناده. كان مجلس الوزراء قد وصل إلى طريق مسدود بشأن تلك العبارة: الوقت يمضي.

غادر ساكوميزو مجلس الوزراء لمحادثة خاصة مع شيمومورا، مدير دائرة الاستعلامات. لقد أدركا أن تسجيل القرار للإذاعة لا يمكن أن يتم في الساعة السادسة، فاتصل بوزارة شؤون القصر ليخبرهم بذلك. «أنا اتفهم ذلك» قال مدير دائرة الشؤون العامة، «هل يمكن أن تعطيني إشارة إلى الوقت المحتمل للتسجيل؟».

أجاب ساكوميزو: «حسناً...» ثم صمت قبل أن يقول، «ربما السابعة. نعم أعتقد في السابعة سيكون مناسباً». وضع سماعة التلفون واستدار إلى شيمومورا، قال، مع ابتسامة سخرية مريرة: "أنا مستعد لشقّ بطني، إذا تم التسجيل فعلاً في السابعة».

كان توشيا شيباتا، المراسل السياسي لأهم صحف اليابان (اساهي

شيمبون) ينتظر منذ فترة حول غرفة الصحافة في مقر رئيس الوزراء منذ انتهاء المؤتمر الصحفي، لكنه عاد بعدئذٍ إلى مكتبه. لم يستطع أن يفهم ما الذي يعيق إذاعة القرار لحد الآن لإنهاء الحرب رسمياً. وعلى الرغم من عدم وجود غارات جوية طوال اليوم، فإن شيباتا يعرف أن هذا الهدوء غير الطبيعي سيتمزق ما لم تعجّل اليابان بإذاعة قرار قبول الاستسلام رسمياً.

ماذا يجري للحكومة؟ فكر شيباتا، إن كلاً منهم يرفض تحمل مشؤولية الهزيمة. كانوا ينتظرون تدخلاً إلهياً أو ضربة حظ خارقة، والنتيجة أن عشرات الآلاف من الناس قُتلوا بلا ضرورة في الغارات الجوية أو دُمرت منازلهم وممتلكاتهم، والآن أزاحت الحكومة المسؤولية عنها ووضعتها على عاتق الأمبراطور، أملاً في التخلص من التزاماتها.

ظل شيباتا منذهلاً إذ اكتشف أنه منزعج جداً، مع أنه مجرد مراسل صحفي! بعد ذلك قرر الاسترخاء قليلاً لأخذ بعض الراحة الآن، طالما سيظل يعمل طوال الليل بدون نوم، فاستلقى على الكنبة في المكتب. بينما كان مستلقياً، وجد أنه لا يستطيع النوم بعد كل شيء، لأن دماغه عاد به إلى حادثة خطيرة وغريبة حدثت بعد ظهر أمس. كانت احدى الصحف قد استلمت بياناً هذا نصه:

المقر الأمبراطوري

الرابعة بعد الظهر.

تسلمت القوات الأمبراطورية أوامر جديدة من الأمبراطور، وبناء عليه تُستأنف العمليات العسكرية ضد قوات الولايات المتحدة، بريطانيا العظمى، الاتحاد السوفييتي والصين.

نفس البيان أُرسل إلى كل الصحف الأخرى في طوكيو وهيئة الإذاعة اليابانية، وما أن علم تاداشي هاسيبي، احد محرري (أساهي سيمبون) أن مجلس الوزراء كان في جلسة مناقشة حول العبارة «خاضعاً لـ» التي جاءت في ردّ بيان الحلفاء، شكّ الأمبراطور بذاك (البيان الامبراطوري)، فاتصل

بشيباتا، الذي كان ينتظر في مقر رئيس الوزراء وطلب منه تحري الموضوع، فالتقى شيباتا بسكرتير مجلس الوزراء ساكوميزو خارج الاجتماع، إلاّ أن ساكوميزو لم يكن لديه علم بشأن ذلك البيان. وقتها كانت الساعة قبل الرابعة بدقائق قليلة، حين حدّد الموعد لإذاعة القرار الأمبراطوري في الراديو، فاصيب ساكوميزو بالذعر، وسأل كلاً من أنامي ورئيس أركان الجيش، لكن أياً منهما لم يكن يعرف شيئاً عن الموضوع، وعملا معاً على إلغائه. ماذا كان سيحدث لو أن الحلفاء، الذين كانوا يترقبون ردّ فعل اليابان على ردّهم الرسمي إثر عرض اليابان الأول للاستسلام، سمعوا هذا البيان؟ هل سيبقى جزء واحد من طوكيو موجوداً اليوم؟

كان الجنرال كويتشيكا أنامي قد وصل إلى تلك المكانة الرفيعة بسبب قدراته الادارية، بالإضافة إلى براعته في القيادة العسكرية. فلقد قاد حملة بارزة لأحتلال قلعة ليوان في مقاطعة شانزي بالصين عندما كان قائداً للفيلق 159، لكنه بعد ظهر ذلك الثلاثاء، الرابع عشر من آب، في غرفة رئيس مجلس الوزراء، كان يقود حملة أصعب بكثير من أية حملة واجهها هو أو أي جنرال آخر في الجيش.

كيف سيخبر الملايين من جنوده بأن «الموقف في الحرب يتطور لغير صالحنا يوماً بعد يوم»، لذلك نحن ننسحب؟ كيف يجرؤ على قولها للجنرال اوكامورا، القائد الأعلى لقوات الحملة العسكرية في الصين، الذي أرسل برقية تقول: «يجب أن نقاتل للوصول إلى هدفنا حتى لو كلّفنا ذلك موت كل جنودنا"؟، كيف يجرؤ على قولها للمارشال تيراوتشي، القائد الأعلى لقوات الحملة العسكرية في جنوب آسيا، الذي أرفق له رسالة مشابهة؟، كيف يقولها لضباطه الطموحين المتحمسين في الوزراة؟

كان أنامي قد اتخذ قراره بالاخلاص لقرار الأمبراطور، لكنه يعرف أنه بالنسبة للعديد من ضباطه، بغض النظر عن ولائهم الديني للبيت الأمبراطوري، فإن قراراً كهذا لن يكون مقبولاً عملياً. الجيش الياباني الذي لا يُقهر يُطلب منه الآن أن يعترف بالهزيمة، وضباطه الذين تعلموا

أن الاستسلام عار، عليهم الآن أن يستسلموا. لو أصر أنامي على أن عبارة «موقف الحرب لم يتحول بعد لصالحنا» فذلك لأنه أمِلَ أن ينهي السبعين عاماً من تاريخ الجيش الأمبراطوري دون سفك دماء يابانية أكثر.

خرج الادميرال يوناي من غرفة الاجتماع وهمس إلى سكرتير رئيس مجلس الوزراء ساكوميزو، الذي كان قد عاد تواً: «لا تستسلم، ابقِ مصراً على النصّ الأصلي»، فأومأ ساكوميزو برأسه، لكنه ما أن أخذ مكانه على الطاولة، حتى بدت له فكرة الخوض في معركة كلامية مطولة مع وزير الحرب مرعبة. كان ساكوميزو مرهقاً، قضى الأيام الخمسة الأخيرة تقريباً بدون نوم، ووصلت حيويته حدّها الأدنى. أنامي، من ناحيته، جلس هادئاً، متفرداً في كرسيه، لم يبد متعباً ولا قلقاً، بل مستعداً للانتظار إلى أن يحصل على ما يريد.

بعد ذلك، وربما لأن ساكوميزو كان متعباً، فجأة لمعت في ذهنه فكرة خاطفة لما يستقر خلف موقف وزير الحرب. قد لا يستطيع أن يضع الفكرة في كلمات، لكنه فهم أن وزير الحرب لا يعتزم الاستقالة. لم يصر أنامي على رأيه فقط لمجرد العناد، أو لتضخيم أناه، إنما لأنه يعرف أن من حق الجيش الأمبراطوري الياباني أن يُسمع أنه ينهي نفسه بما يشبه الشرف على الأقل، وحيث أن موقف الحرب لم يتحول لمصلحته، فيجب أن يسمح له بتدمير نفسه على طريقته: أي، يسمح له أن يموت بشرف مثلما اعتقد أنه عاش كذلك.

إلاّ أن وزير الحرب لم يؤكد هذا الاعتقاد لمجلس الوزراء، الذي لا يعدو كونه حدساً لمع في ذهن ساكوميزو، ولم يتمكن من صياغته في كلمات، فنظر ساكوميزو إلى الساعة الكبيرة على الحائط. كانت الجلسة قد بدأت في الرابعة، والآن السادسة تقريباً. امكانية الاستسلام بدت أكثر صعوبة من ذي قبل.

في كيبيتاي، توجه قائد الوحدة العسكرية إلى ضباطه. وكيمبيتاي هي فيلق الشرطة العسكرية، عموماً تمثل قوات للشرطة السرّية، وكانت

بقيادة الضابط المسؤول مباشرةً أمام وزير الحرب. أعلن القائد قرار الأمبراطور، وايمانه بأن كيان الحكومة الوطنية سيبقى مصاناً، وأمر الضباط تحت قيادته باطاعة الأوامر الأمبراطورية.

من بين اولئك الذين أصغوا لتلك التعليمات الليفتنانت كولونيل ماكاتو تسوكاموتو، الذي كان يتذكر، بينما هو يصغي، كلمات الأمبراطور في تعليماته للقوات المسلحة، التي يقول فيها «إذا اتفقتم معي بالرأي وتضافرت جهودكم كلها باتجاه صيانة البلد...». قرر تسوكاموتو إطاعة الأمبراطور، ليتفق معه في نفس الرأي، وكما فعل، ظهر في مخيلته وجهاً مختلفاً عن وجه الأمبراطور، كان وجه الرجل الذي لم يكن متفقاً من قلبه مع الأمبراطور، الرجل الذي لا يؤمن أن ألفي سنة من تاريخ اليابان يمكن أن تنتهي إلى ذروة الهزيمة، الرجل الذي تحدث عن الحاجة إلى انقلاب الجيش، وكان في الحقيقة وجه الصديق القديم، الليفتنانت كولونيل ماساتاكا إيْدا، من قطاع شؤون الجيش. قرر تسوكاموتو أن من الأفضل أن يظل يراقب هذا الصديق القديم.

14 آب

من الساعة 6–7 بعد الظهر

«في حالة الطوارئ الراهنة، لا يمكن أن نكون جداً حذرين».

• رئيس الضباط المعاونين

سيجيرو هاسونوم

بدا الهواء منعشاً بعض الشيء في حديقة الفوكياجي. كانت الشمس تسطع بقوة مثل قرص معدني اخرج تواً من الفرن ووضع في قلب الأفق ليبرد. وكان الأمبراطور يتمشى كالمعتاد في مثل هذا الوقت من اليوم، برفقة الحاجب سوكيماسا ايري. بعد لحظات من الصمت، توقف صاحب الجلالة وسأل عن القرار. لم تكن المرة الأولى التي يسأل فيها الأمبراطور هذا السؤال ذلك المساء، وكان ايري مضطراً لاعطاء نفس الاجابة غير المرضية: لم يصل القرار بعد إلى القصر، وأحنى الحاجب رأسه بمرارة. كان دائماً أمراً مؤلماً أن تضطر لقول أشياء لصاحب الجلالة وتعرف أنه لا يريد سماعها. اليوم تحديداً كانت جداً مؤلمة. شعر ايري أنه يستطيع أن يلمس كم كان الأمبراطور مرهقاً، وكم كان راغباً جدياً بإنهاء حالة المعاناة وعدم الاستقرار، وأن يبدأ شعبه حياة جديدة.

واصل الأمبراطور سيره. نظر ايري فجأة حوله، فلمح جنوداً في

الحديقة حيث لم يسبق للجنود أن ظهروا هنا من قبل. ماذا يعني هذا بحق السماء؟ كان ذلك غريباً، كان أمراً يدعو للقلق. ولكن ايري لم يقل شيئاً للامبراطور.

كان رئيس الضباط المعاونين في اجتماع مع الليفتنانت جنرال تاكيشي موري قائد الفرقة الأولى للحرس الأمبراطوري، في مقر هاسونوما الرسمي بوزارة شؤون القصر. جاء موري ليعرف في البداية إن كان ما ذكرته المنشورات التي ألقتها الطائرات الامريكية فوق المدينة فيه أية حقيقة؟ أومأ هاسونوما برأسه. هل يبدو غريباً له أن موري قائد في الحرس الامبراطوري مع ذلك ولم يسمع بعد عن قرار الأمبراطور؟ قال هاسونوما: «لقد تحدث الأمبراطور اليوم، ومجلس الوزراء يصادق الآن على القرار».

مرت فترة قصيرة من الصمت، ثم سأل هاسونوما بنبرة قلقة: «ماذا عن الحرس الأمبراطوري؟»، ولم يكن حتى تلك اللحظة يعرف أن كتيبة ثانية قد أُمرت بالتوجه إلى القصر. «هل هو متأكد منهم تماماً؟».

«إنهم قلقون بعض الشيء» ردّ موري، «ونظراً لكل الشائعات التي تحلّق هنا وهناك منذ يوم الجمعة، لا يبدو أي شيء مفاجئاً. لكنني لستُ قلقاً بشأنهم».

«يقولون إن بعض الضباط الشباب في الـوزارة يثيرون بعض المتاعب» تابع هاسونوما.

«شائعات أخرى» قال موري، وكقائد للفرقة الأولى في الحرس الأمبراطوري، كان هو الرجل المسؤول بشكل رئيسي عن تأمين الحماية للامبراطور. كانت نبرة صوته واثقة عندما كرر: «شائعات، هذا كل ما في الأمر».

تنهد هاسونوما بارتياح، لأنه يعتبر الـ (راهب) موري واحداً من أكثر الضباط الذين يمكن الاعتماد عليهم. طالما موري على قيد الحياة، وبصحة جيدة، فالامبراطور سيكون آمناً، والقصر محميّاً. قبل أن يغادر

موري، أضاف هاسونوما كلمة أخرى: «في حالة الطوارئ الراهنة، لا يمكن أن نكون جداً حذرين».

وافقه موري على ذلك.

عندما عاد الأمبراطور إلى الغوبنكو، أُعلم بأن رئيس الوزراء سوزوكي يطلب مقابلته. قُبل الطلب فوراً. لكن، إذا كان الأمبراطور قد أمل بأن سوزوكي يحمل معه مصادقة مجلس الوزراء على القرار، فإن أمله قد خاب حين علم أن الغرض من طلب المقابلة هو إعلامه أن مجلس الوزراء وصل إلى طريق مسدود بشأن مصادقة القرار، وأن سوزوكي جاء يقدم اعتذاره للامبراطور عن هذا التأخير.

إثر خروجه من حضرة الأمبراطور، توجه سوزوكي عائداً إلى تلك الغرفة السوداوية المعتمة، حيث لا يزال مجلس الوزراء يحاول عبثاً الاتفاق على صياغة قرار الاستسلام. خلال ذلك، بدأت أوامر بوقف القتال تخرج من وزراة الحرب في ايتجيكايا إلى القطاع الشرقي للجيش المسؤول عن حماية العاصمة، وإلى فرقة الحرس الأمبراطوري.

بعد فترة قصيرة من عودة موري إلى مكتبه في مقر القسم، استقبل مكالمة تلفونية من رئيس أركان القطاع الشرقي للجيش يأمره بالحضور حالاً إلى مقر الأركان. هناك، وبصحبة كل من قائد الجيش المدافع عن طوكيو وقائد الفرقة الأولى المضادة للطائرات، أُبلغ موري رسمياً من قبل الجنرال تاناكا بقرار الأمبراطور وقف الحرب.

تانكا، الذي كان قائداً للقطاع الشرقي، واصل حديثة إلى الثلاثة قائلاً: «القوات الامبراطورية ستمتثل لحكم الأمبراطور. لا شيء آخر يمكن أن يقال، ومع ذلك» أضاف بسرعة «لا يمكننا استباق الاحداث عمّا قد يحدث من فوضى مصاحبة للوقف النهائي للحرب. لذلك علينا أن ننظر في حفظ النظام بين الشعب، وفرض القوانين الوطنية».

ثم استدار ناحية موري ليقول ببعض الغموض: » في وقت كهذا، سيحاول العديد من الاشخاص حماية الأمبراطور، وربما سيحدث

عنف إذا قاتلوا من أجل ذلك الشرف. لذلك ستكون مسؤوليتك شاقة جداً».

كانت نبرة تانكا حادّة، وأدرك موري أنه كان قلقاً، إلاّ أن أياً من الرجلين لم يدرك تماماً كم من الأمور تستدعي القلق. كانا في سبيلهما لإنهاء الحرب، وجهودهما قد تقابل النجاح، لكن لم يكن مقدراً لأي منهما، بعد هذا الجوع، أن يتذوق حلاوة ثمار السلام.

عاد الادميرال يوناي من وزراة البحرية، وقبل أن يعود إلى اجتماع مجلس الوزراء ذهب إلى الحمام. نوبوماسا كاواموتو، أحد سكرتيري رئيس الوزراء سوزوكي كان واقفاً أمام المبولة، عندما شاهد وزير الحربية قادما، فانحنى، لكن يوناي لم ينتبه له، بدت عيناه تنظران في داخله، ووجهه مكفهراً. وقف أمام المبولة المجاورة، غير واعٍ على الاطلاق بالرجل الآخر الذي يقف إلى جانبه. كانت طرطشة ارتطام السائل بالبورسلين الصوت الوحيد المسموع، ثم فجأة تنهد يوناي، وبدا الصوت يتردد في غرفة الحمام الصغيرة مثل صدى بكاء مؤلم يتردد في كهف. ارتعد كاواموتو، إذ لم يسمع من قبل، أبداً، صوتاً كهذا.

عندما اتخذ يوناي مقعده في اجتماع مجلس الوزراء، همس شيئاً للجنرال أنامي، فأومأ وزير الحرب برأسه.

«حول مسألة صياغة القرار الأمبراطوري» قال يوناي للآخرين، «أرى أن يعاد النظر فيها لتتفق مع رغبة وزير الحرب».

ذُهل سكرتير رئيس مجلس الوزراء ساكوميزو، فقال بحدّة: «لكن، أنت بنفسك أخبرتني...».

كسر رئيس الوزراء سوزوكي صمته ليقول: «ليكن كذلك».

أخذ أعضاء مجلس الوزراء نفساً عميقاً، مسحوا العرق عن جباههم، وأعطوا لأنفسهم فترة قصيرة للراحة. كانوا مسرورين ليخرجوا، وإن لفترة قصيرة، من غرفة الاجتماعات السوداوية المظلمة. لقد حُلّت

مشكلة واحدة، لكن لا أحد يعرف كم من المشاكل تنتظر بعد، ولا كم من الوقت يبقى لديهم قبل... قبل ماذا؟ لا أحد يعرف ذلك أيضاً!.

انتهز الجنرال أنامي الفرصة ليذهب إلى البيت لتغيير ملابسه الناضحة بالعرق. كان النهار أبرد الآن، الشمس غابت تقريباً، فكانت بداية هبوب نسيم لطيف. بينما كان الجنرال أنامي يغير ملابسه ويستعد للعودة إلى الاجتماع، استقبل زائرين: الجنرال توجو، رئيس وزراء الحكومة السابق[1]، والفيلد مارشال هاتا، الذي دعمه توجو كخليفة له في ابريل 1945.

دخل توجو إلى موضوع الهدف من الزيارة مباشرةً. برقت عيناه من خلف النظارات وهو يقول: «بعد الاستسلام سنُحاكم جميعاً في المحكمة العسكرية كمجرمي حرب. هذا لا شكّ فيه. ماذا علينا أن نفعل ذلك الوقت، هذا هو المهم. يجب أن نكون صريحين في عرض قناعاتنا بأن حرب شرق آسيا كانت ضرورية» ثم أضاف مع صدى عجرفته المعتادة: «كانت حرباً دفاعية!».

أومأ أنامي برأسه. لكن هل كانت ايماءته تعني الموافقة على ما قال توجو؟ أم تعني فقط أنه سمع ما قاله رئيس الوزراء السابق؟ لم يقل أنامي شيئاً، ولم يعلّق عندما أوضح هاتا سبب زيارته، قال هاتا: إنه يرغب بالتخلي عن رتبته كفيلد مارشال.

عاد أنامي إلى اجتماع مجلس الوزراء. في تلك الفترة، النسمات الباردة التي ظهرت للحظة، ماتت.

1- تولى رئاسة الوزراء في السابع من ديسمبر 1941.

14 آب

من الساعة 7–8 مساءً.

«سياسة الجيش الرسمية وسياسته العملية شيء واحد».

• كولونيل اوكيتسو آراو

ما زال رجال الإذاعة ينتظرون في غرفة الاستقبال الكبيرة في الطابق الأعلى من وزراة شؤون القصر، يقارنون ساعاتهم مع الساعة الكبيرة على الحائط. كانت الساعة السابعة، ولم تأتِ كلمة، لا من مجلس الوزراء ولا من الوزارة حيث سيتوجه الأمبراطور لتسجيل قرار إنهاء الحرب وبثه في الراديو من هناك. كان سكرتير رئيس الوزراء ساكوميزو قد قال «في الساعة السابعة»، لكن السابعة أتت وذهبت، والحركة الوحيدة في الغرفة كانت تكتكة الساعة على الجدار. حدّق الرجال لبعض الوقت في البندول الذي يتأرجح بصمت كبندول التنويم المغناطيسي. بعد ذلك قال أحدهم: «هل تعتقدون أن شيئاً ما قد حدث؟».

«حتماً حدث شيء» قال آخر، «لكن ما هو؟».

بعد ذلك أدرك الرجال أنهم سبق أن تحدثوا بنفس هذا الحديث من قبل، ولأكثر من مرة، خلال ساعات الانتظار تلك، إلاّ أن التكرار لم يبدُ

لهم غريباً. كانت وجوههم مشدودة، ومخاوفهم تتصاعد وهم ينتظرون أي كلمة، فلا تأتي كلمة.

«لكن ماذا يكون قد حدث؟» قال الثالث.

شيء واحد حدث، وهو أن مجلس الوزراء توصل أخيراً إلى اتفاق حول صياغة القرار. الجنرال أنامي كسب معركة الساعتين، حيث جاء في القرار: «الموقف في الحرب لم يتطور لصالح اليابان».

كان أنامي قد أصر أيضاً على ادخال العبارة «نكون قادرين على حماية وصيانة كيان الدولة الأمبراطورية...» ووافق مجلس الوزراء، وفي نهاية نفس الجملة وافق أيضاً على حذف العبارة «في صيانة الثروات المقدسة» فربما يقود هذا، كما قال وزير الزراعة، إلى اختلاف وتساؤلات غير ضرورية من قِبل القوات المحتلة.

أُرسلت نسخة من الموافقة إلى القصر الأمبراطوري، بعد أن شغلت خمسة عشر رجلاً، على مدى ثلاث ساعات، ليتوصلوا إلى اتفاق حول تلك التغييرات القليلة، البسيطة نسبياً في الصياغة اللغوية. ولو كان هناك منطق فيما حدث، فلربما تجاوز الرجال الخمسة عشر المنطق: لقد دخلوا تلك المنطقة التي لم يعد يوجد فيها مكان للمنطق ولا للامنطق.

في وزارة الحرب، كان الليفتنانت كولونيل ميتشينوري شيرايشي قد طلب مقابلة الكولونيل آراو، رئيس قسم الشؤون العسكرية. كان قد اصطحب معه الفيلد مارشال هاتا إلى طوكيو حيث اجتماع المارشالات، ويجب عليه العودة إلى هيروشيما مبكراً في الصباح التالي. أراد شيرايشي معرفة فيما إذا كان الجيش ينوي فعلاً قبول قرار الاستسلام، أو كانت لديه خطة أخرى!. لقد اعتقد أن الرجل الوحيد الذي يمكنه إعلامه بذلك هو الكولونيل آراو، الذي خدم معه في بورنيو، والذي يعتقد أنه محطّ ثقة أنامي.

طلب منه آراو بابتسامة أن يجلس، إلاّ أن سيراشيما لم يصدّق تلك الابتسامة، إذ بدت ليست أكثر من قناع. ولم يصدق هدوء آراو،

ولا خمول صوته، عندما بدأ يقول: «سياسة الجيش الرسمية وسياسته الواقعية هما شيء واحد، لا يوجد تعارض بين الأثنين».

سأل شيرايشي إذا كان بامكانه تسجيل ملاحظات أو نقاط من حديث آراو لكي ينقلها إلى الضباط الصغار تحت قيادته في هيروشيما، فوافق آراو، وواصل الكلام مع همهمة الحشرات التي كانت تحوّم حول المصباح العاري المعلّق في سقف الغرفة. ذلك اليوم لم تكن هناك غارات جوية، وكانت النوافذ مفتوحة لتسمح لبعض نسمات المساء بالدخول.

كان آراو قد تحدث كثيراً خلال الأيام القليلة الماضية، وقد بُحّ صوته لكثرة ما كان يعيد تلخيص وسرد أسباب قناعة الجنرال أنامي الأصلية بأن على اليابان الاستمرار في الحرب إلى النهاية دفاعاً عن الوطن، وأسباب تغيير رأيه هذا. قال آراو: «لقد قيل، أن الضابط الجيد يجب أن يكون قادراً على قيادة الهزيمة النظامية، مثل قدرته في التقدم النظامي. وزيرنا ضابط جيد، ويجب أن يكون قدوةً لنا، يجب أن نرى جنودنا مستمرين في طاعة الأوامر دائماً. هناك يكمن المجد النهائي للجيش الأمبراطوري الياباني».

ظلّ شيرايشي صامتاً لفترة طويلة، ثم قال: «أنا اتفهم إن الوطن يأتي قبل الجيش». إلاّ أن هذا لم يكن ما عناه آراو تماماً، أو، هل كان ما عناه فعلاً؟

في وزارة شؤون القصر، تسلم ماسيوجيرو اوغان، نائب الوزير، أوراقاً مستنسخة من الموافقة على قرار الأمبراطور بعد الإنتهاء من مراجعتها، ليعاد تصويرها في نسختين رسميتين، نسخة لتوقع وتختم بالختم الأمبراطوري، والثانية تستخدم للتسجيل، وعليه أن ينتهي من هذه المهمة باسرع وقت ممكن. إلاّ أن تلك الأوراق المستنسخة كانت مليئة بالتغييرات، والشخبطات، والاضافات، فكان من المستحيل قراءتها. إن إعداد نسخة نظيفة ودقيقة بسرعة يعتبر مهمة صعبة للغاية، مع ذلك عليه الإنتهاء منها إذا كان هذا يحقق لليابان السلام الذي تنشده.

مجلس الوزراء، بدأ ينظر الآن في الوقت المناسب لإذاعة القرار بعد

التسجيل، فقد أصبح الوقت متأخراً ليذاع اليوم، كما خططوا في البداية، فاقترح وزير الخارجية توغو أن يذاع في الساعة السابعة من الصباح التالي، وأيده الادميرال يوناي على ذلك، كلا الوزيرين قالا إنهما يعتقدان بأن التعجيل بإذاعة القرار سيكون أفضل لليابان من كل النواحي، لكن الوزير أنامي لم يوافق، إذ قال: «سنصدر أوامر إلى الجنود في الخارج، وسوف نتأكد أن تلك الأوامر قد أُطيعت. قال أنامي: «في الحقيقة علينا اقناع الرجال بالقاء أسلحتهم، وهذا يتطلب وقتاً، لذلك أنا أطلب تأخير إذاعة الأمبراطور للقرار يوماً واحداً»، لكن توغو ويوناي أصرا على اعتقادهما بأنه طالما سيتم إعلام العدو بقبول اليابان الاستسلام بأسرع وقت ممكن، فمن الأفضل أن يعرف الشعب بذلك أيضاً.

استمر الجدال، لكنه افتقر لحيوية النقاشات السابقة.

في محاولة لامكانية التوصل إلى تسوية عادلة وسهلة، قال شيمومورا، رئيس دائرة الاستعلامات، إن إذاعة القرار صباح الغد سيكون غير ملائم تماماً، لأن العديد من الناس، الفلاحين على سبيل المثال، سيكونون قد خرجوا إلى العمل بعيدين عن أجهزة الراديو.....لكن طالما وافقوا على تأجيل البث إلى ذلك الحدّ، فقد تكون هناك أحداث، لذا اقترح أن أفضل وقت ممكن سيكون بعد ظهر الغد. وافق المجلس على هذا.

نهض رئيس الوزراء واستدار ناحية أنامي، ثم قال: «بالتأكيد أن اشارات مسبقة عن الإعلان قد اعطيت للجنود في الخطوط الأمامية من الجبهة؟».

قال أنامي: «سأبذل جهدي من اللحظة».

موافقة أنامي على اقتراح شيمومورا واقتراح رئيس الوزراء أقلق بعض أعضاء مجلس الوزراء، لأنهم ما زالوا يتساءلون عن الورقة الرابحة التي ما زال أنامي يخفيها في كمّه. أهي الاستقالة؟ أم الانقلاب؟. كل شيء يبدو ممكناً، واعتدال (أناة) أنامي المفاجئة تبدو مثيرة للتساؤل.

كانت الساعة تقترب من الثامنة، وربما اقتربت جداً، وكان مجلس

الوزراء يتابع إنهاء أعماله الكتابية في هدوء، وبدا أنه لم تعد توجد خلافات. وفي وزارة شؤون القصر، كان الناسخان منهمكين في العمل بهدوء، وبعد ذلك الوقت الطويل من الانتظار أوشك هذا اليوم على الإنتهاء، فأحسوا ببعض الراحة، ودردشوا بهدوء في زاوية الغرفة الكبيرة، وكان الحجاب يتناولون عشاءهم بالتناوب، والقطاع الشرقي للجيش يجري الاستعدادات للاستسلام، وينتظر الإشـارة. وفي القصر الأمبراطوري، كان رئيس المعاونين يتحدث بهدوء إلى بعض الضباط، من ضمنهم الكولونيل سيكي، وهو معاون آخر، حين انفتح الباب فجأة ودخل اثنان من الضباط الشباب.

قال أحدهم بشكل مفاجيء وبصوت خشن: «سمعنا أن الأمبراطور على وشك تسجيل بثه هذا المساء، متى سيكون ذلك؟» ثم أجاب، ردّاً على نظرة هاسونوما المتسائلة بأنهما ضابطا أركان في الحرس الأمبراطوري، لذا يجب عليهما القيام ببعض الإجراءات لتكون الفرقة جاهزة عند الحاجة.

لم يعلّق هاسونوما.

«هل تم التسجيل؟»، سأل الضابط الشاب الآخر، بنفس طريقة رفيقه.

شعر الكولونيل ساكي أنه رأى وجهي هذين الضابطين من قبل، لكنه لا يعرف اسميهما. قال: «لا. ليس بعد، على حدّ علمنا لم يتم التسجيل بعد. لا نعرف متى سيكون ذلك».

أحد الضابطين بدأ يلح على إجابة أكثر وضوحاً، لكن الآخر قاطعه قائلاً: «إنهم يقولون الحقيقة. لنذهب»، أديا التحية بقوة وغادرا.

«من هؤلاء بحق السماء؟» قال هاسونوما.

«أعتقد أن واحداً منهما هو الميجور كوغا» قال الضابط الذي كان يراقب الموقف.

«من هو؟».

«إنه ضابط ركن في الحرس الأمبراطوري، وهو زوج ابنة الجنرال توجو».

الوزراء يتابع إنهاء أعماله الكتابية في هدوء، وبدا أنه لم تعد توجد خلافات. وفي وزارة شؤون القصر، كان الناسخان منهمكين في العمل بهدوء، وبعد ذلك الوقت الطويل من الانتظار أوشك هذا اليوم على الإنتهاء، فأحسوا ببعض الراحة، ودردشوا بهدوء في زاوية الغرفة الكبيرة، وكان الحجاب يتناولون عشاءهم بالتناوب، والقطاع الشرقي للجيش يجري الاستعدادات للاستسلام، وينتظر الإشارة. وفي القصر الأمبراطوري، كان رئيس المعاونين يتحدث بهدوء إلى بعض الضباط، من ضمنهم الكولونيل سيكي، وهو معاون آخر، حين انفتح الباب فجأة ودخل اثنان من الضباط الشباب.

قال أحدهم بشكل مفاجيء وبصوت خشن: «سمعنا أن الأمبراطور على وشك تسجيل بثه هذا المساء، متى سيكون ذلك؟» ثم أجاب، ردّاً على نظرة هاسونوما المتسائلة بأنهما ضابطا أركان في الحرس الأمبراطوري، لذا يجب عليهما القيام ببعض الإجراءات لتكون الفرقة جاهزة عند الحاجة.

لم يعلّق هاسونوما.

«هل تم التسجيل؟»، سأل الضابط الشاب الآخر، بنفس طريقة رفيقه.

شعر الكولونيل ساكي أنه رأى وجهي هذين الضابطين من قبل، لكنه لا يعرف اسميهما. قال: «لا. ليس بعد، على حدّ علمنا لم يتم التسجيل بعد. لا نعرف متى سيكون ذلك».

أحد الضابطين بدأ يلح على إجابة أكثر وضوحاً، لكن الآخر قاطعه قائلاً: «إنهم يقولون الحقيقة. لنذهب»، أديا التحية بقوة وغادرا.

«من هؤلاء بحق السماء؟» قال هاسونوما.

«أعتقد أن واحداً منهما هو الميجور كوغا» قال الضابط الذي كان يراقب الموقف.

«من هو؟».

«إنه ضابط ركن في الحرس الأمبراطوري، وهو زوج ابنة الجنرال توجو».

14 آب

من الساعة 8–9 مساءً

«آمل أن تكونوا جميعاً قد قررتم التعاون معي».

• كابتن بحري ياسونا كوزونو

بعد ظهر اليوم، مع الوقت عاد الكابتن بحري كوزونو إلى القاعدة في اتسوجي مبكراً، إذ وجد نفسه يرتجف ويرتعد، وبالكاد يستطيع الوقوف، ترك موضوع حربه الخاصة ضد الولايات المتحدة، بريطانيا العظمى، الاتحاد السوفييتي، والصين، ليذهب إلى السرير. كانت أعراض الملاريا التي أخذها في راباول قد عاودته، وربما يعتقد الآن، هذا الرجل المميز، أن القدر يقف ضده، فيترك خطته، لكنه بعد ساعات قليلة من الراحة وجد نفسه قادراً على النهوض، وفي الساعة الثامنة ارتدى ملابسه العسكرية.

استدعى كوزونو إلى مكتبه الضابط المساعد ورؤوساء فرق القوات الجوية التي تحت قيادته. قال لهم بصوت ضعيف لكن بعزيمة: «أنا مصرّ على القتال إلى النهاية بغض النظر عن كل ما يحدث. آمل أن تكونوا جميعاً قد قررتم التعاون معي».

في الصمت الذي أعقب حديثه، لم يجد أي من الضباط الحاضرين القدرة على اعطاء القائد رداً سلبياً. ربما لأن أياً منهم لم يرد ذلك، ولا

حتى على نحو فردي، وربما لصعوبة قول «لا» باليابانية، كان هذا عاملاً آخر. وعلى أية حال، بعد لحظات قليلة من الصمت قال كابتن كوزونو: «انتهينا من هذا إذن». كان ارتياحه واضحاً، مع أن ما بذل من جهد كان واضحاً أيضاً.

«لدي سؤال واحد» قال رئيس إحدى الفرق، «كيف نوفق بين سياستنا وبين واجب إطاعة قرار الأمبراطور، أياً ما سيكون؟».

كان ذلك هو السؤال الذي ينتظره كوزونو ويخافه في نفس الوقت. كان يعرف أنه سوف يُسأل ويعرف أن عليه أن يردّ على هذا السؤال، وإلاّ فلن يمكنه أبداً الاعتماد على ضباطه في حسم الموضوع الذي خطط له، إلاّ أنه، في نفس الوقت، كان السؤال الذي يمكن أن يناقش لساعات، وفي النهاية... لا شيء يمكن التوصل إليه. إنه نفس التراخي في المواقع العالية التي يحتقرها كوزونو.

«هذا سؤال إعلان بوتسدام من السهل الإجابة عليه» قال بجفاف، «كيف نعصي الأمبراطور إذا كان ما نفعله لصالحه ولصالح البلد؟».

أومأ الضباط برؤوسهم، فقد اجيب على سؤالهم، أو على الأقل بدا لهم أنه قد أجيب على سؤالهم. لم يعطهم كوزونو الوقت للتفكير، قال «دعونا ننزل للعمل» وبدأ مع ضباطه بوضع الخطط لهجوم في الفجر، مستخدمين كل ما يتوفر لديهم من طائرات.

في الحقيقة، لم تكن اتسوجي القاعدة الوحيدة التي أظهرت اشارة الاستعداد لاتخاذ إجراء ما ضد العدو، فرجال الفرقة الجوية في كوداما لم يستلموا إشارة تفيد بقبول اليابان الاستسلام، بل تسلموا أوامر بالهجوم، وظل كل العاملين هناك من رجال جيش وبحرية يعملون على احماء محركات طائراتهم القاذفة الست وثلاثين، التي تحوّلت إلى ما يشبه توربيدات قاذفة للقنابل، والقواعد الأخرى في اليابان كانت تقوم بنفس الشيء من الاستعداد للعمل ضد العدو، الذي ما زالوا يفترضون أنهم في حالة حرب ضده، ولم يسمعوا أي شيء يخالف ذلك.

في طوكيو، الآن فقط أصبحت نسختان من القرار الأمبراطوري مكتوبتان على ورق ثقيل، فأخذ الماركيز كيدو واحدة منهما إلى الأمبراطور، الذي عبّر عن رغبته برؤيتها.

بعد أن قرأها صاحب الجلالة، أشار إلى خمسة تغييرات يرغب باجرائها على نسخة القرار. فأوصل الماركيز كيدو تلك التغييرات المطلوبة إلى مجلس الوزراء، الذي ما زال في حالة اجتماع، وأُخبر الناسخين عن تلك التغييرات. هذا يعني إعادة كتابة القرار كله من جديد، وبالنسبة لهذين الرجلين، تحتاج عملية انجاز نسختين جديدتين من تلك الوثيقة المكوّنة من 815 حرفاً[1]، إلى ساعتين لكل منهما، وهذا قد يؤخر ليس التسجيل فقط، إنما الردّ على قوات الحلفاء بقبول اليابان إعلان بوتسدام أيضاً.

من ضمن التغييرات الجدية، تلك العبارة التي توقف عندها وزير الحرب الجنرال أنامي وبقية أعضاء مجلس الـوزراء لما يقرب من الساعتين لتصبح في شكلها النهائي «موقف الحرب لم يتطور بالضرورة لصالح اليابان...». وخلال ذلك، تم اكتشاف خطأ في احدى النسختين بعد الجملة: «علاوة على ذلك، فإن العدو بدأ استخدام نوع جديد ووحشي من القنابل، ذات قوة تدميرية هائلة، تقضي على حياة العديد من الابرياء» لكن الفقرة الأخيرة حُذفت، والناسخ الذي ارتكب الخطأ شحب لونه عندما اشير إليه عن هذا الخطأ، لم يستطع التفكير بأي عذر، إذ في الحقيقة لم يعد هناك من عذر يمكنه تخفيف وطأة هذا الخطأ في الظروف الطبيعية، إلاّ أن الظروف تصبح أقل طبيعية مع كل لحظة تمرّ،

1- كانت وزارة الخارجية تأمل بإذاعة القرار في السادسة من ذلك المساء، الآن تجاوزت الساعة الثامنة، وقررت وزارة شؤون القصر عدم إعادة كتابته، لذلك راح الناسخان يعملان كلا في غرفة منفصلة، لالصاق قصاصات صغيرة من الورق فوق الأحرف المراد تغييرها، وما أن تجف الورقة يكتبون فوقها الأحرف الجديدة، يساعدهما يوشهيرو توكوغاوا، أحد حجاب القصر، الذي عاد قبل قليل من زيارة لضريح كاشيما وكاتوري، بعد أن أدى هناك الصلاة نيابة عن الأمبراطوره، وكان أخبرهم بأنه يرغب بمساعدة الناسخين في قصّ ولصق قصاصات الورق في وثيقة قرار الاستسلام.

وفي النهاية قرروا، احتراماً لكل الحوادث السابقة المشابهة والتقاليد، أن تكتب الكلمات المحذوفة بخط صغير.

أخذ توكو ساتو، رئيس قسم الشؤون العامة في مجلس الوزراء، النسخة النهائية كاملة إلى رئيس الوزراء سوزوكي، الذي أجّل الاجتماع المنعقد إلى الساعة التاسعة والنصف، حتى يعرض القرار على الأمبراطور ويسأله بنفسه الموافقة عليه. وعندما رأى اللطخات واللصق على الوثيقة المتوقع أخذها إلى صاحب الجلالة، ظهرت تكشيرة على وجهه المتعب، المجهد، لم يكن من السهل على الملاحظ إن يعرف إن كانت التكشيرة ضحكاً أم دموعاً على هذه الوثيقة السخيفة الرثّة، المُعلّق عليها إنهاء كارثة الحرب الطويلة.

في الساعة الثامنة والنصف، وقّع الأمبراطور هيرو هيتو في نهاية القرار، وثُبت توقيعه بختم امبراطوري ضخم، وكُتب التاريخ بجانب توقيع الأمبراطور... «اليوم الرابع عشر من الشهر الثامن من السنة العشرين للشوا». والشوا تعني (السلام المشرق)، وهو الأسم الذي اختاره الأمبراطور لفترة حكمه.

بدا الآن كما لو أن اليابان على وشك إحراز تلك الاتفاقية التي ناضلت لأجلها بألم وقلق.

بعد أن انحنى سوزوكي وخرج من حضرة الأمبراطور، طلب الماركيز كيدو التحدث معه. كرر كاتم السر أمام رئيس الوزراء ما كان سمعه من الأمير كونوي، عن امكانية حدوث تمرد ضد العرش الأمبراطوري، وما سمعه أيضاً من رئيس المعاونين بأن الجنرال موري ليس لديه أي مخاوف من الحرس الأمبراطوري.

يعتقد كيدو أنه طالما الحرس بقيادة موري، فإن الوضع آمن، مع ذلك كان يرغب بسماع رأي رئيس الوزراء. قال سوزوكي، وكان صريحاً للغاية على غير عادته: «لا أعلم أي شيء عنه. لم أسمع أي شيء عن انقلاب مزمع. الحرس الأمبراطوري هم آخر ناس يمكن أن نقلق بشأنهم».

فهم كيدو أنه بالنسبة للبارون كنتارو سوزوكي، أدميرال البحرية

المتقاعد، لا يمكن التفكير أن تكون أوامر الأمبراطور أقل من أن تطاع طاعة مطلقة من قبل كل جندي واجبه حماية الأمبراطور.

أسرع سوزوكي عائداً إلى اجتماعه الذي أجله إلى التاسعة والنصف، إذ لا يزال هناك الكثير مما يجب عمله والقليل من الوقت لانجازه. لا أحد يمكنه ادراك ذلك أفضل من الميجور هاتاناكا، الذي كان يجتمع مع الليفتنانت كولونيل شيزاكي وعدد آخر من الضباط. كانوا متخوفين من أن تسجيل الأمبراطور للقرار ليذاع بعدئذ في الراديو، سوف لن يبقي أمامهم وقتاً للعمل، لذلك عليهم العمل الآن، حتى لو كانت الاعدادات غير جيدة تماماً وقد تُفسد كل شيء.

كانوا قد مروا على قائمة بالأسماء المهمة لضباط الحرس. تفحصوا اسم الميجور كوغا والميجور ايشيهارا، الذي التحق بالمؤامرة. وُضع خطٌ على اسم ضابط آخر هو الليفتنانت كولونيل ميزو غوتشي، رئيس أركان القسم، والجنرال موري، قائد القسم، حيث لا تزال تدور حولهم علامات استفهام. كان المتآمرون مقتنعين أنهم إذا أمّنوا مشاركة موري، فسيحلون على ميزوتاني، وأنهم بعد ضمّ قواد الفوج الأول والثاني، فإن موري لن يكون له خيار سوى الالتحاق بهم، ومن بعده كل ضباط الحرس، القطاع الشرقي للجيش سيتبعهم أيضاً، وتكون الحكومة، أخيراً، بأيدي الرجال الذين يفهمون المعنى الحقيقي لقدسية اليابان.

أسرعوا في حرّ تلك الليلة الصيفية، وبدا لهم أن ثورتهم ستنتصر، وكذلك الحرب ستتبع ذلك.

في الوقت الذي كان فيه رئيس الوزراء سوزوكي يعبر الشوارع الخارجية المسودّة الهامدة في طوكيو، استقبل الكابتن سوغا من الفوج الثاني للحرس الأمبراطوري، مكالمة هاتفية من نظيره في الفوج الرابع. «لقد سمعت أن أنشطة كثيرة غير طبيعية تحدث» قال المتكلم، «الجميع متمركز في القصر. هل تعرف أي شيء بهذا الخصوص؟ هل سمعت الشائعة بأن أمراً مهماً من القسم على وشك الصدور، وسيكون ذلك مزوراً؟».

ضحك سوغا، وقال: «تبدو لي مثل نكتة. لم أرَ أي إشارة عن أي نشاط غير طبيعي في القسم».

مع ذلك، قرر سوغا إلقاء نظرة على ما يجري في الجوار. في مقر القسم قرب نيجوباشي (الجسر المزدوج) رأى ضباطاً غير مألوفين لديه: ليفتنانت كولونيل وميجور. في وقت لاحق تعرّف على الميجور بأنه هاتاناكا، والليفتنانت كولونيل بأنه شيزاكي. مع كون هذا «نشاطاً غير طبيعي»، حيث لا يُسمح لأي رجل أو ضابط باستثناء المنتمين إلى قسم الحرس بالدخول إلى القصر الأمبراطوري، إلاّ أن لا يبدو «غير طبيعي جداً» بالنسبة لسوغا ليتأكد بتحريات أكثر، فاستمر في طريقه. لم يكن سوغا يعرف حتى تلك اللحظة أن الأمبراطور والحكومة قررا إنهاء الحرب، كان مصاباً بالشلل الذي أصاب كل البلد بأن اليابان بانتظار شيء ما، وليس لديهم أدنى فكرة عن عن هذا الشيء.

توشيبو شيباتا، من صحيفة أساهي شيمبون، وجد أنه ما يزال غير قادر على النوم. نهض من الكنبة غير المريحة وغادر مكتب الجريدة ليذهب إلى غرفة الصحافة في مقر رئيس الوزراء، هناك وجد الغرفة فارغة، وأعضاء مجلس الوزراء قد غادروا لاستراحة قصيرة، فيبقي شيباتا وحده مع أفكاره.

داخل الجريدة ذاتها، كانوا مشغولين إلى حد كبير بالشائعات التي تتطاير من حولهم: القرار على وشك أن يذاع الليلة، عدد هائل من القوات المحتلة ستدخل اليابان في الصباح، الأمبراطور سوف يُنفى إلى اوكيناوا أو مكان ما بعيد، النساء اليابانيات سيتعرضن للاغتصاب، والجيل القادم من اليابانيين من الصعب أن يبقى يابانياً تماماً.

كان شيباتا، الجالس وحيداً في زاوية مظلمة من غرفة الصحافة، ليس لديه فكرة عمّا إذا كان عمليه تصديق تلك الشائعات أم لا. كل ما يعرفه أنه لا يستطيع القيام بأي عمل تجاهها، لا يستطيع حتى النهوض من مقعده. كان يشعر بالشلل التام.

14 آب

من الساعة 9–10 مساءً

«يبدو أنني غيرت رأيي».

• الكولونيل تويوجيرو هاغا

في غرفة الصحافة بمقر رئيس الوزراء، كان مراسل صحيفة أساهي، توشيو شيباتا، لا يزال في نفس الكرسي، بلا حركة، كما لو أنه تحول إلى حجر. كان ينتظر بلا مبالاة تصريحاً رسمياً بأن القرار تمّ التوقيع عليه وعلى وشك أن يُذاع. كانت مسألة وقت فحسب، وليس أمامه ما يفعله سوى الانتظار: لا شيء يريد أن يفعله. أصغى إلى نشرة أخبار التاسعة بشكل روتيني، كانت تتضمن، كالعادة، بيانات من مقر قيادة الجيش الأمبراطوري، ثم سمع صوتاً رسمياً هادئاً يعلن بأن بياناً مهماً سيذاع غداً عند الظهر ويتوقع أن تصغي إليه كل اليابان. هذا كل شيء. ثم خُتم البرنامج بالموسيقى العسكرية المعتادة.

كان شيباتا واحداً من القلائل بين المئة مليون الياباني الذين يعرفون طبيعة البيان المهم الذي سيذاع غداً، والذين يعرفون بأن المئة مليون الياباني سيسموعون صوت عائهلم يخبرهم بأن بلدهم خسرت حربها الأولى، وأنهم سينزعون السلاح، وينسوا حقدهم إذا استطاعوا، ويحاولو إعادة بناء الأمة المهزومة المدمّرة. تخيّل شيباتا الذعر الذي

سيصيب قلوب المئة مليون عندما يدركون أنهم خسروا الحرب التي أعطوا فيها الكثير ليكسبوها، وأنهم حاولوا، وفشلوا، وأن يبعدوا عندما نأذهانهم صورة القوات المحتلة المتوحشة الفاسقة التي ستسلب ترابهم المقدس وتغتصب نساءهم.

شعر شيباتا بدمعتين باردتين تنحدران على خديه في هذا المساء الراكد، الخانق، من ليالي آب الحارة. لم يكن يدرك أن الحجر أيضاً قد بكى.

كان الكولونيل آراو مرهقاً، صوته بحّ من كثرة التحدث إلى الزوار الذين انشغل بهم طيلة الأيام السابقة، وفجأةً انتبه إلى أنه خلال هذا اليوم الذي يوشك على الإنتهاء كان قد استدعي مرتين. بدا له ذلك أمراً غريباً كرئيس لسم الشؤون العسكرية بوزارة الحرب في بلد هو الآن فيحالة جهاد عنيف لإنهاء الحرب، التي بدأها منذ سنوات. هل كان حقاً غريباً بعد كل شيء؟ أدرك باستياء أن وزارة الحرب أصبحت فجأةً مكاناً غير مفضل على الاطلاق.

ضباب الصيف الكثيف لفّ نفسه حول أعلى قمة في مرتفع ايسيغايا. وفي الممرات الفارغة المظلمة للمبنى الوزارة الضخم، كان الصوت يرتد من طرف إلى آخر قبل أن تبتلعه النوافذ حيث الضباب الثقيل في الخارج. بدت الوزارة كما أنها معزولة، محصّنة عن العالم الذي حاولت، وفشلت في السيطرة عليه. اعتقد آراو أن في هذا المكان البعيد المقفر، ربما استطاع أن ينام قليلاً الليلة.

لكن، أولاً: هل هناك أشياء عليه أن يفعلها؟ هل أنهى كل آماله؟ جلس بلا حراك، جامداً، ممزقاً بين قناعته بقرار الحكومة الأمبراطورية الذي يُلزم كل جندي بإطاعته، وبين إيمانه بعقيدته من أن واجب كل جندي أن يقاتل؟ ذلك أنه إذا استمرت اليابان بالقتال الآن فإن بنود قرار الاستسلام ربما أصبحت بشكل أفضل. لكن لا، لقد أقسم على اتباع أنامي، وأنامي أقسم على اتباع الأمبراطور، إذن ليس ثمة خيار متروك. كم يحسد رجالاً لم نفس عزيمة وتصميم الميجور هاتاناكا والليفتنانت مولونيل إيْدا.

فكر آراو أن من واجبه، في الحقيقة، الذهاب لرؤية إيْدا الآن، ليحاول منعه من تصرف طائش. إنه رئيس إيْدا المباشر، وعليه مسؤولية تجاهه. إلاّ أن عاد وجلس قليلاً، وبسرعة دخل جندي الارتباط ليخبره أن وزير الحرب يطلب رؤيته. زرّر آراو بدلته، وارتدى سيفه وقاد في الليل الضبابي باتجاه مقر وزير الحرب. لم يكن يعلم أن سيارة أنامي دخلت قبل قليل الوزارة.

لم يكن آراو يعرف أيضاً، أن على بعد مكتبين من حيث يجلس، كان والليفتنانت كولونيل إيْدا يجلس وحيداً هو الآخر، يخطط لعمل ما متهور ليس ضد الدولة، إنما عمل متهور أخير ضد نفسه.

وصل إلى مكاتب الصحف في طوكيو بيان عن وزراة الاستعلامات يتضمن برنامج الإذاعة لظهر الغد، لكنه وصل متأخراً جداً ليدخل طبعة الصباح الأولى، التي كانت قد ذهبت إلى المطبعة منذ ثلاث ساعات. على أية حال، لا يمكن استخدام البيان من دون تصريح من دائرة الاستعلامات، وهذا التصريح لا يمكن الحصول عليه إلى أن يذاع القرار فعلاً، بينما ستكون الطبعة الثانية من الصحف بعد إذاعة القرار الأمبراطوري. من جهتهم، رجال الإذاعة ما زالوا ينتظرون الإشارة بأن الأمبراطور مستعد للتسجيل، ومعينهم من الثرثرة، حيث كانوا ينتظرون، قد نفد، وتكتكة الساعة على الحائط بدت أعلى.

لاحظ الجنرال أنامي بدهشة واضحة عدم وجود حرس على البوابة الأمامية للوزارة. نزل من سيارته وتمشى إلى المدخل الرئيسي للبناية: كان المدخل هو أيضاً خالياً. خمّن أنامي أن البناية كلها خالية وليس المداخل وحدها. كان واضحاً جداً ما حدث، فقد كان سمع اشاعات طازجة بأن قوات امريكا تنتظر باعداد هائلة حول طوكيو، وأنها ستبدأ هجومها غداً صباحاً، إذن، فإن وزارة الحرب أكثر مكان من غير المناسب البقاء فيه بطوكيو هو وزارة الحرب.

كان وزير الحرب في موقع يفرض عليه تجاهل مثل هذه الاشاعات، إلاّ

أن رجاله على ما يبدو لم يفعلوا ذلك. وهل كان هؤلاء هم الجنود والضباط المتمردون الذين كان يعتمد عليهم بتسديد ضربة شديدة للعدو؟

حين دخل الوزير مكتبه، لم تفصح تعابيره عن شيء، لا أحد يعرف ما إذا كان ينظر إلى وزارته المقفرة بازدراء أو في تعاطف! لا أحد يعرف ماذا يدور في ذهنه. ذهب إلى مكتبه وبدأ تعديل وترتيب الأوراق هناك، يرمي بعضها ويوقع على الأخرى. وعندما عرض الضابط المساعد مساعدته سأله أنامي بدلاً عن المسؤولية استدعاء الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا. ذهب المساعد يبحث عن عديل الوزير، بينما استمر الوزير بترتيب مكتبه. عندما عاد المساعد ليقول أنه لم يجد تاكيشيتا - سأله أنامي أن يحاول إيجاد آراو، إلاّ أن آراو بسبب هذا التشوش كان في طريقه إلى مكتب أنامي، أو ربما يكون الآن في طريق العودة.

يعرف الوزير أن الجنود سيسمعون القرار الأمبراطوري غداً عند الظهر، وهو لا يستطيع الشعور بأنه قد أخلى مسؤولياته حقاً إذا فشل في إعطاء رجاله وضباطه الأوامر من الوزراة نفسها، لذلك كتب الرسالة التالية بنفسه، لكي تبرق إلى كل الجنود باسمه، وإلى رئيس أركانه: «... لقد اتخذ الأمبراطور قراره. الجيش يتوقع منكم تنفيذ القرار وعدم القيام بأي تحركات غير مرخص بها من شأنها أن تجلب العار إلى التقاليد العريقة للجيش الأمبراطوري وخدماته العسكرية العديدة المختلفة. يجب أن يتخذ سلوككم الطريقة التي تجعلكم غير خائفين أبداً من حكم الأجيال اللاحقة لكم، وكل ما يتوقع منه أن تعزز قيادتكم المجد والشرف للقوات الأمبراطورية اليابانية في عيون العالم كله... وزير الحرب ورئيس أركانه يرسلان لكم هذا الأمر والكثير من الأسى في قلبيهما، وهما يتوقعان منكم تقدير مشاعر الأمبراطور عندما يذيع بنفسه القرار الأمبراطوري بوقف الحرب في الساعة الثانية عشرة ظهر الغد».

بعد ذلك كتب وزير الحرب استقالته ووضعها في جيبه. لم يكن

الغرض من كتابتها الضغط على مجلس الوزراء، لكن في الغالب للتأكد من أن كل أوراقه كامله، وجاهزة عند الطلب.

طافت على وجه أنامي ابتسامة باردة. كان مكتبه لا يزال حاراً جداً، ورطباً، يشبه حمام بخار خانق، والضباب الأسود في الخارج لم يفعل شيئاً لتبريد الجو، مع أنه بدأ يغلف الغرفة، لقد كان المكتب مثل زنزانة سجن، تخلو من أي أمل، أو احتمال بنصر ما. نظر حوله، كان مكاناً غريباً، ووقتاً غريباً بالنسبة لرجل أن يجلس وحيداً، رجل في السابعة والخمسين، أعطى كل حياته للجيش، وكوفيء بأعلى منصب قد يمنحه الجيش، وبينما هو ينتظر آراو، تلمس شواربه بحذر.

كان على مجلس الوزراء أن يستأنف اجتماعه في الساعة التاسعة والنصف، فتساءل أنامي إن كان سيذهب من دون أن يرى آراو إلى الأبد!. وفي تلك اللحظة، لاح خيال الكولونيل عند المدخل، عيناه مصوبتان مباشرة إلى وجه وزير الحرب. حدّق الرجلان في بعضهما للحظة وبصمت، وعبرت بينهما موجة من الحزن والتفهم. ثم قال أنامي: «آراو، لا أريد أن يقوم ضباطنا الشباب بأي تصرفات بطولية حمقاء. البلد بحاجة إليهم، أريدهم أن يستمروا في الحياة. لا (سيبوكو) هه؟ تستطيع أن تساعدني».

«كيف؟».

«تحدث إليهم، أخبرهم بما قلت، ساعدهم على الالتحاق بقوات الشرطة...».

لم يكن هناك المزيد، وكلا الرجلين عرفا أن الشباب الذي تدرب ليكون جزءاً من الآلة الحربية، لا يمكنه أن يفعل ذلك، إذا توقفت تلك الآلة.

«وماذا عنّا نحن؟» سأل آراو. «ماذا سنفعل؟».

نهض أنامي من مكتبه وتمشى ببطء إلى النافذة. نظر إلى الخارج لبعض الوقت، مع أنه لا يوجد شيء هناك يمكن أن يُرى غير السواد.

«شعبنا» قال عندما استدار إلى الخلف. «عامل جاد، اليابان ستشفى

بالتأكيد. وبالرغم من أن الجيش لن يكون له دور في اليابان االجديدة، فرجاله يستطيعون. أنت تستطيع، آراو. هذا ما أردتُ قوله لك. احتفظ بطاقتك إلى المهمات القادمة، سيكون هناك العديد منها، وستكون مجزية».

ابتسم أنامي وقال في الأخير: «يجب أن أعود إلى مجلس الوزراء».

التقط علبة سيجار من على مكتبه، لفّها بورقة جريدة، ومعاً غادر الرجلان الغرفة. كان آراو أطول من ذلك الرجل القصير، لكن القوي، وزير الحرب. مشيا بصمت ونزلا السلم، ثم أخرج أنامي سيجارين من الصندوق الذي كان يحمله وقال: «أريدك أن تأخذهما». مرة أخرى ابتسم، وأضاف: «سوف أراك»، وهو يلج إلى الليل الأسود، عبر البوابة الأمامية لوزارته.

في مكتب الخارجية، كان نائب الوزير ماتسومو قد اطّلع على نصف مذكرة قبول اليابان إعلان بوتسدام. كان الأمبراطور قد وقع القرار، وما أن يضيف أعضاء مجلس الوزراء أسماءهم، فعلى مكتب الخارجية إبراقه مع رسالة إلى سفراء اليابان في سويسرا والسويد، ومن هناك يرسل إلى الولايات المتحدة والصين وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي:

«وفقاً لمذكرة الحكومة اليابانية الصادرة في 14 آب 1945، المتعلقة بقبول إعلان بوتسدام، وردّ حكومات الولايات المتحدة والصين وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي، الذي أرسل بواسطة وزير الدولة الأمريكي بيرنس بتاريخ 11 آب، فالحكومة اليابانية تتشرف بابلاغ حكومات القوى الأربعة بما ما يلي:

1. لقد أصدر صاحب الجلالة الأمبراطور قراراً امبراطورياً بقبول إعلان بوتسدام.
2. صاحب الجلالة الأمبراطور مستعد لإجازة وضمان توقيع حكومته والرئاسة الأمبراطورية العامة على الشروط الضرورية لمواصلة تنفيذ إعلان بوتسدام. وصاحب الجلالة مستعد أيضاً لإصدار أوامره إلى كل قوات الجيش والبحرية اليابانية وكل القوات التابعة لهما أينما كانت لوقف العمليات العسكرية،

والقاء السلاح، وإصدار أي أوامر أخرى يطلبها القائد الأعلى لقوات الحلفاء لتنفيذ بنود الإعلان المذكور أعلاه».

لقد بدأت الحرب في اليابان منذ خمسة عشر سنة، مع منشوريا، ومنذ أربع سنوات مع الولايات المتحدة، الآن، مع ارسال هذه البرقية، سيكون وزير الخارجية الياباني قادراً على الاتصال مباشرة مع وزير الدولة الامريكي، بدلاً من الاعتماد على ماكس غراسلي، القائم بالاعمال المؤقت في سويسرا.

خلال ذلك، جلس وزير الخارجية ينتظر، والعالم أيضاً جلس ينتظر، أن يخرج القرار من تلك الغرفة بمائدتها المستديرة في المقر الرسمي لرئيس الوزراء الياباني.

جلس رئيس الوزراء ينتظر هو الآخر القرار الموقع من قبل الأمبراطور موضوعاً على المائدة، وإلى جانبه محبرة وريشة، جاهزة لأعضاء المجلس لاستخدامها، إلاّ أن نصف الاعضاء كانوا حاضرين. دخل وزير الحرب الغرفة وانحنى، ثم جلس هو أيضاً ينتظر.

كان الكولونيل هاغا، قائد الفوج الثاني للحرس الأمبراطوري، يصغي لأكثر من ساعة للميجور هاتاناكا والليفتنانت كولونيل شيزاكي وهما يحاولان اقناعه بالموافقة على استخدام الحرس لمواصلة حماية الأمبراطور، لكن لـ (حمايته) الآن من (الخونة) المحيطين به، وبكلمة أخرى، لعزل الأمبراطور والقصر عن بقية العالم، وخلال ذلك الوقت سينهض الجيش ويقنع الأمبراطور لتغيير رأيه بشأن الاستسلام. وحالما يغيّر الأمبراطور رأيه، فإن الجيش سيثور. هنا المنطق يعمل باتجاهين، وفي أي من الحالتين لا يوجد أدنى شكّ بأن الجنود الذين يراوحون بين حياة ذليلة وموت عظيم، سيختارون الأخير، واليابان ستعيش مرة أخرى، وكذلك الجيش الأمبراطوري الياباني.

ظلّ الكولونيل هاغا غير متأكد.

ثم أخبره هاتاناكا وشيزاكي بسرعة كبيرة أن وزير الحرب، ورئيس

أركان الجيش، واثنان من قواد القطاع الشرقي في الجيش والحرس الأمبراطوري كلهم في الخطة، فإذا استمر برفض التعاون، فهو لن يفقد فرصته العظيمة فقط، لكن ربما يضع نفسه في متاعب كثيرة أيضاً. وبالرغم من أن وزير الحرب ورئيس أركان الجيش، واثنين من قواد القطاع الشرقي وكل الحرس الأمبراطوري قد جهروا برأيهم بلا تحفظ حول الخطة، فإن هذا لم يعق أيّاً من هاتاناكا وشيزاكي من المضي في محاولاتهما، فقد صعدا بحماسهما إلى ذروة موجة التمرد، وأقنعا نفسيهما الآن أنهما طالما ضمنا هاغا في جيبهما، بينما الأمبراطور معزول في قصره، فإن قادة الجيش الأربعة سينضمون فعلاً إلى المؤامرة، لأنهم سيغيرون موقفهم.

الأمبراطور سيغيّر رأيه، ثم القيادة العليا،، ثم الجنود. لا يهم بأي ترتيب ستحدث تلك الأمور، مع أن الحقيقة هي أن هاتاناكا وشيزاكي ينقصهما الكثير من العقلانية ليدركا أن من الأفضل ضمان الجنرال موري من الحرس الأمبراطوري إلى جانبهما، وإلاّ سيفهم الكولونيل هاغا أنه وقع في الفخ.

خلال ذلك، بدا واضحاً أنه بلع الطُعم. هل كانت السنّارة مثبّتة بقوة؟ بدا الأمر كذلك بالنسبة للمتآمرِين.

استدعى الكولونيل هاغا مساعده، الكابتن سوغا، إلى مكتبه. كان سوغا مندهشاً من رؤية هذين الضابطين المجهولين جالسين هناك. إنهما يشبهان تماماً الضابطين اللذين رآهما قبل ساعة تقريباً في نيجوباشي. الجو داخل الغرفة بدا لسوغا غريباً بعض الشيء، لم يستطع تبين أي شيء، إلاّ أن الضابطين الغريبين جلسا مشدودين، كل منهما يضع سيفه بين ساقيه ويده على غمده.

ران الصمت على الغرفة للحظة أو اثنتين، ثم كسره الكولونيل هاغا، قال: «سوغا، اكتب الأمر التالي» فاستعد المساعد للكتابة. لكن لم تخرج أية كلمة بعد، ظلّ الكولونيل مطرقاً بعمق، وبقي الآخرون صامتين، بينما أبقى سوغا عينيه على قائد الفوج.

«حسناً» قال ساغا أخيراً، «تستطيع الذهاب. شكراً لك. يبدو أنني غيّرت رأيي». لم يعرف سوغا ماذا كان الموضوع، ولا هاتاناكا أو شيزاكي أيضاً.

عُقد اجتماع مجلس الوزراء في التاسعة والنصف. كانت الساعة الآن العاشرة تقريباً، وأغلب الأعضاء كانوا حاضرين. قرر رئيس الوزراء أن يبدأوا بالتوقيع على القرار. بلّلَ الفرشاة بالحبر، انحنى فوق الوثيقة ووقع: «سوزوكي كانتارو».

14 آب

من الساعة 10 إلى 11 مساءً

«سوف نَقتُل، ما لم تكن هناك طريقة أخرى لإعطاء البلد ما يحتاج».

• كنجي هاتاناكا

أحد موظفي دائرة الاستعلامات، الذي كان ينتظر إنتهاء مجلس الوزراء، استدعي لمكالمة هاتفية من رئيس قسم الإذاعة في الدائرة. أخبره رئيس القسم أن الأمبراطور أصبح جاهزاً لأن يبدأ التسجيل -احفظ الإشارة لتنقلها مباشرةً- ويُطلب حضور رئيس دائرة الاستعلامات شيمومورا. من الواضح أن الرسالة المطلوب نقلها إلى شيمومورا هي أن عليه الذهاب إلى القصر، لكنه ما يزال في الاجتماع، وطالما الباب مغلق على الوزراء في اجتماعهم فمن غير المسموح لأحد الدخول، أو حتى الاتصال بأي من أعضاء المجلس باستثناء ذلك الرجل العجوز المدعو ياناجيدا، الذي، كما يعرف الجميع، عُهد إليه بهذه الوظيفة. كتب سكرتير دائرة الاستعلامات الرسالة كما تلقاها في الهاتف، وأعطاها لياناجيدا ليأخذها إلى الاجتماع.

مع استمرار عملية التوقيع الرسمي على القرار، بدا أعضاء المجلس منهكين ومرهقين. كانوا جالسين بصمت بينما القرار يدور بينهم ببطء.

عندما يستلمه أحد الأعضاء من الآخر، يقف منتصباً وينحني، ثم يجلس ليقرأ الوثيقة كما لو أنه يقرأها للمرة الأولى، وبعض الأعضاء قرأها عدة مرات.

كان توقيع سوزوكي قد تبعه توقيع كل من وزير البحرية يوناي ووزير العدل ماتسوزاكا. وزير الحرب وقع بسرعة، حتى أنه لم يبالِ بإلقاء نظرة خاطفة على الوثيقة التي سوف تنهي تلك الهيمنة الطويلة لزيّه الكاكي على حياة الشعب الياباني. قريباً، سيكون الكاكي الوحيد الذي يمكن رؤيته في شوارع اليابان، كاكي المنتصر.

بعد أن وقع شيمومورا القرار، أعلنَ أن عليه مغادرة الاجتماع بناء على طلب حضوره إلى القصر الأمبراطوري أثناء التسجيل. كان شيمومورا وسكرتيره الذي يصحبه يرتديان الـ كوكومينغوكو (زيّ العمل أثناء فترة الحرب) وقد علّق عليه شيمومورا كل شاراته. بعد ذلك، دخلا السيارة التي كانت بانتظارهما، بصحبة شرطي مسلح، هو المسؤول عن سلامتهما إلى أن يصلا القصر.

كان الليل شديد السواد، والشوارع المدمّرة، التي يمكن رؤويتها بينما السيارة تشقّ طريقها عِبرَ الدمار، مهجورة ومقفرة، وبدا أن الضباب الكثيف قد انزاح للحظة على الأقل، فنظر شيمومورا إلى النجوم ليجد بعض المواساة فيما تعكسه من أنهم ما يزالون باقين هنا، لألف سنة من الآن، حين ستنُسى هزيمة اليابان، وذلّها.

توهج نيزك بعيد، ثم مضى.

كان الوقت يمرّ، ولا شيء يحدث في أي مكان من هذه العاصمة المهزومة، التي تحاول جاهدةً، لكنها فشلت حتى الآن، أن تستسلم.

في كل مكان بدت شوارعها خالية، لا بصيص ضوء يكسر هذا الظلام الراكد. أحياناً، تشقّ عربة، مثل السيارة التي تقل شيمومورا إلى القصر الأمبراطوري، طريقها بحذر عِبرَ الشوارع المحترقة الخطرة. سكان العاصمة، بطونهم خاوية، وأرواحهم منهكة، يستكنون لليلة

أخرى، كما فعل أسلافهم منذ زمن بعيد، حين كانوا يحصنون أنفسهم في كهوف ضد الظلام الذي يهددهم في الخارج. هل يَعدُ بأي تغيير، ما سيذاع ظهر الغد؟.

حتى الوزارات كانت مظلمة ومقفرة، عدا مكتب الخارجية، حيث القليل من الأشخاص ما زالوا ينتظرون متعبين إشارة البدء بسلسلة من الاتصالات، التي ستجعل العالم يعرف أخيراً أن الحرب إنتهت. في القصر الأمبراطوري، لا يزال فريق الإذاعة ينتظر أيضاً بصمت مُرهق، إشارةً أخرى، هذه الإشارة للبدء بالاتصالات التي ستجعل اليابانيين يعرفون، أخيراً، أن الحرب إنتهت. في الغرفة المجاورة لغرفة نوم رئيس المعاونين، وضع سرير نوم مزدوج لأثنين آخرين من الضباط المعاونين، سيكي وناكامورا، كانا هناك، يستعدان الآن للنوم.

في قطاع الشؤون العسكرية بوزارة الحرب، ثلاثة كولونيلات هم تاكاشيتا، شيراي، وإسكي، كانوا يجلسون بهدوء في غرفة مظلمة تقريباً يشربون الساكي[1]. كانوا رجالًا مشغولين بإدارة الحرب، حتى لو كانت الحرب قد خُسرت في النهاية، فسوف تستمر، والآن كل شيء إنتهى: لم يبقَ للكولونيلات الثلاثة من شيء يفعلونه سوى شرب الساكي، ليس لديهم ولا حتى أي شيء يقولونه، وفي اليابان كان أمراً هذا الصمت غير عادي، لكن الليلة كل شيء قيلَ وإنتهى، وربما كانت أذهانهم صامتة مثل أقوالهم، مثل الغرفة التي كانوا فيها بالوزارة، مثل العاصمة، مثل البلد المهزوم، مثل اشعاعات مدينتي هيروشيما وناغازاكي. ربما كان الكولونيلات الثلاثة يفكرون كم كانوا محظوظين، إذ لديهم بعض نبيذ الرز يشربونه، بينما أغلب اليابانيين الآخرين ليس لديهم ما يكفي من الرز ليأكلوه.

حتى في قاعدة اتسوجي الجوية، لا شيء يبدو قد حدث. على الكابتن كوزونو أن يتأكد من الأمر الذي صدر بالاستعداد للعملية، رجاله وضباطه كانوا قد أكملوا استعداداتهم، لكن أي كلمة لم تأتِ من القائد.

1- الساكي، نبيذ مصنوع من الرز.

كان مختفياً خلف الأبواب المغلقة لمكتبه، رجاله ينتظرون بفارغ الصبر إشارة البدء بالهجوم، لكن الإشارة لم تأتِ. وهكذا ظلوا ينتظرون.

خلف أبوابه المغلقة، كان هجوم الملاريا قد أنهك الكابتن كوزونو، الذي ظلّ يعاني منه ذلك المساء، محاولاً كتابة برقية، محاولاً كتابة جملة، ثم يشطب ما كتب، ويكتب أخرى، فقط ليكتشف أنه كتب نفس الجملة مرة أخرى. قرر أن يأخذ فترة راحة قصيرة، لكنها لم تكن مجدية، فغمغم متذمراً من هذا المرض الذي أنهكه في أهم يوم من حياته. لقد توصل إلى قرار خطير: سوف يُصدر أمراً للبحرية الأمبراطورية يقول فيه: دَع الجيش يستسلم مكلّلاً بالخزي! البحرية ستقاتل لوحدها، تحت قيادة كوزونو. إنه الآن يحرر برقية أولية ليرسلها إلى ضابط البحرية.

كتب الكابتن:

الأمر بوقف النار، والأمر بنزع السلاح الذي يليه، يجب أن لا يُفهم إلاّ أنه يعني نهاية كيان امتنا والأمبراطور. إن إطاعة مثل هذه الأوامر ستكون مساوية للخيانة العظمى.

اليابان مقدسة ولن تزول. إذا اتحدنا للقيام بعمل، فسوف ندمر العدو. هذا لا شكّ فيه.

وضع القلم جانباً. شعر كم هو متعَبٌ كل جسده يؤلمه، وطرقات عنيفة تضرب على جمجمته. بذل جهداً أخيراً، فتناول القلم من جديد وكتب:

آمل أن تقفوا معي.

لم يكن الليفتننانت كولونيل إيْدا يشرب الساكي مع الثلاثة الآخرين، كان نائماً في احدى غرف وزارة الحرب، حيث يعيش في الأيام القليلة الماضية. استيقظ على صوت الميجور هاتاناكا والليفتننانت كولونيل شيزاكي. وعلى الرغم من انزعاجه الواضح، فإن الشابين لم يقدما أي اعتذار. «أنا اطلب موافقة الليفتننانت كولونيل!» صرخ هاتاناكا بنبرة قوية.

«علام كل هذا؟» قال إيْدا، بينما كان يستيقظ وهو يفرك عينيه. قال

شيزاكي: «لقد قلبت مزاج هاتاناكا رأساً على عقب اليوم. لقد جاء مرة أخرى ليطلب موافقتك على خطته».

«الحرس الأمبراطوري هنا» قال هاتاناكا، «كلهم. حسناً، ما عدا القائد موري. سوف يأتي لاحقاً، في غضون ذلك، فالكولونيل هاغا إلى جانبنا، أؤكد هذا» وكان هذا حقيقياً، فبعد أن غادر معاونه الغرفة، أوضح هاغا أنه غيّر رأيه ليس حول الانضمام إلى المؤامرة، إنما بشأن إصدار أمر قد يكون سابقاً لأوانه وغير ناضج.

«لكن، بدون الجنرال موري» قال إيْدا.

«تماماً» صرخ هاتاناكا. «لكن إذا وافق الليفتنانت كولونيل على خطتنا، فسيكون أفضل شخص لاقناع الجنرال موري بالانضمام إلينا. كان الجنرال أحد مدرّسيّ في الكلية الحربية، إنه يعتقدني ما زلتُ فتىً غير ناضج. وكوغا أيضاً غير ناضج، مع أن الجنرال يثق بنفسه جداً، لكن إذا تحدث إليه الكولونيل فإنا متأكد أن الجنرال موري سينضم إلينا، وما أن يفعل، يصبح نجاحنا مضموناً».

قال إيْدا: «لكن، إذا لم يفعل، ماذ سيحدث؟».

«علينا أن نقبل تلك الحقيقة. لكن كما أرى، فالسؤال المهم قبل ذلك هو ما إذا كان موري سينضم إلينا أم لا، بل هو ما إذا كنا سنبذل أقصى جهودنا إلى الأخير أم لا؟».

في الصمت الذي أعقب، تذكر إيْدا حوارهما في وقت مبكر من هذا اليوم، عندما أصر على أن مشروعه الخاص بالانتحار الجماعي أكثر ملاءمة من هياج هاتاناكا والحكم على مؤامرته. تذكر هاتاناكا المتّقد حماساً، محاولاً اقناعه في الجدال بيأس. الآن، بينما ينظر إلى الوجه المتوهج محدّقاً إليه، ثم وفي الظلام، حين تبرق العيون، شعر إيْدا أنه أقل ثقة الآن بصحة رأيه وخطأ هاتاناكا. ربما، ولسبب أخلاق كل منهما، أن تموت مقاتلاً، ليس أكثر شرفاً من أن تَقتل آخر لامتياز شخصي!

الحقيقة أن رؤساء هاتاناكا، بالرغم من معرفتهم بحماسه وجهوده

لإثارة تمرد الجيش، وقد أحجموا عن إتخاذ إجراء ممكن لوقفه، كان دليلاً على أنهم لم يكونوا عملياً يعترضون على خطته. كانوا يرفضون نظرياً، وسيرفضون عملياً أيضاً إذا فشل التمرد المزمع، لكن ماذا لو نجح...؟

كيف يمكن أن ينجح؟ النجاح الحقيقي يجب أن ينتهي بالنصر، وإيْدا يعلم جيداً أن ذلك النصر بالنسبة لليابان الآن مجرد حلمه غير المعقول - فالجزيرة الخضراء الصغيرة مطوّقة من كل الجوانب بأعظم قوتين على الأرض. لا أملَ في ذلك. لكن ربما، لهذا السبب، سيكون القتال والموت في قضية يائسة، أكثر نبلاً من أن تموت يائساً من دون قتال...

في هذه الحال من استمرار العذاب والحيرة، نهض إيْدا. ذهب إلى الغرفة المجاورة ومعه بروفة لخطة هاتاناكا، أيقظ عضواً آخر في قطاع الشؤون العسكرية، الليفتنانت كولونيل شيمانوكي، وسأل إيْدا شيمانوكي باختصار عن رأيه فيها.

«لا أملَ» أجاب الأخير من فوره، مردداً نفس كلمات إيْدا: «لا أمل بلا شكّ. نصيحتي أن تنسى كل شيء، وتتركني أعود للنوم».

عند ذلك، تركه إيْدا. «فكما ترى إذن» قال لهاتاناكا، «إذا لم أتمكن من اقناع الشخص الذي يعمل معي وينام في الغرفة المجاورة لي، كيف سأقنع قائد الحرس الأمبراطوري؟ يبدو لي ذلك غير منطقي. فإذا لم يوافق الجنرال موري على خطتك، ماذا ستفعل بعد ذلك ؟ أريد جواباً صريحاً لهذا السؤال».

قال شيزاكي: «السماء سوف تجزينا على إخلاصنا للامبراطور ولبلدنا. نحن مقتنعون بذلك. نحن مقتنعون بأن خطتنا ستنجح، كملجأ أخير، على أية حال».

«كملجأ أخير!» قاطعه هاتاناكا بصوت جاف منخفض، «ربما علينا أن نَقتل. سوف نَقتل إذا لم يكن هناك أية طريقة أخرى لإعطاء البلد ما يحتاجه. أعتقد أنه من الأفضل أن تفكر بهذا. ألا تستحق اليابان موت واحد أو اثنين؟».

كان إيْدا عند نقطة إعطاء اليابان روحه هو، فبدا الاعتراض أن يعطي روحه لليابان منطقاً مزدوجاً بشكل غريب. وبعد... لقد قرر أنه في هذه الحال من الارهاق واليأس، حتماً سيكون قد فقد نقطة جوهرية، فغيّر الموضوع. «ماذا عن الجيش الشرقي؟» سأل، «ستحتاج إليه أيضاً».

«نحن غير مقتنعين فيما إذا كان الجنرال تاناكا معنا أو لا. على كلٍ، أنا مقتنع إذا سيطر الحرس على القصر، فالجيش الشرقي بالتأكيد سيتبع. لا يوجد شكَ في ذهني حول هذا».

قال إيْدا: «كل خطتك إذن تتوقف على عملية سيطرة الحرس على القصر، وعزل الأمبراطور مؤقتاً. لذلك، فإن اجماعاً من بعض فرق الحرس شيء أساسي لخطتك. لكنك لا تستطيع الحصول على ذلك الإجماع إلا إذا كان القائد معك، وأنت الآن تتحدث عن ضرورة قتل الجنرال موري. هل تعتقد حقاً أن خطتك ستنجح إذا قتلتَ قائد الحرس؟ هذا غير منطقي! ثم، ألمْ تنسَ حقيقة العلاقة بين الأمبراطور ومرؤوسيه!».

«لكني أخبرك...».

«ليس هدفك خلق المتاعب، أليس كذلك؟ بلبلة سياسية؟ فوضى؟ لتحويل اليابان إلى....».

«إنها آمنة تماماً، صدقني! آمنة تماماً!» كانت هناك دموع في عيني هاتاناكا، واستمر بهدوء، «أعدك بشرفي أن أنسى كل شيء إذا فشل الليفتنانت كولونيل باقناع الجنرال موري».

«هل أصدقك؟» قال إيْدا.

«لقد أعطيتك كلمة» ردّ هاتاناكا.

حدق إليه إيْدا للحظة، وفجأة تذكر صوت البروفيسور هيرايزومي، في الجامعة، وهو يوضح ما أسماه الاسس (الطبيعية) للعلاقة بين اليابان وامبراطورها «ولد الاثنان في نفس الوقت، وثبتت العلاقة

منذ تلك اللحظة، لذا فهي وطيدة، منذ بداية الزمن وحتى نهايته». أعجبته بساطة النظرية ونقاءها، والميجور هاتاناكا أيضا، تحت سحر البروفيسور هيرايزومي، بينما الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا، عديل وزير الحرب كان مصيره أن ينخرط في انقلاب هاتاناكا. طبقاً لتلك النظرية، فإن الأمبراطور هو مالك اليابان، وتابعيه، بتنعمهم بما يمنحهم، يجب أن يشعروا بالامتنان اللامحدود له. كيف إذن يقبل رعاياه هؤلاء لامبراطورهم بالـ«استسلام غير مشروط» نيابةً عنهم؟، هذا أعظم نكران للجميل: إنه عار أبدي لأرواح الأبطال الذين ماتوا. «حسنٌ جداً» قال إيْدا، «سأفعل ما أستطيع».

أشرق وجه هاتاناكا بشكل واضح، كانت ابتسامته مثل ظهور الشمس فجأة في صباح غائم. مدّ يده بابتهاج شديد مصافحاً، ربما كانت هذه الحركة تحمل من المعاني أكثر مما تبدو لأعين الغربيين، فكّر إيْدا فيما بعد: إن اليابان القديمة ستولد غداً من جديد، أو أيضاً قد نموت جميعاً.

فّكر هاتاناكا بصوت عالٍ: «نقطة مهمة أرجو أن يفهمها الجنرال موري هي أننا لسنا متمردين. المتمردون هم الذين يجبرون اليابان على الاستسلام. اليابان لا ترضخ! نحن فقط نحاول التأكيد على إبقاء اليابان القديمة الطبيعية، نحن لسنا متمردين، نحن تقليديون...».

ترك الثلاثة وزارة الحرب، والآن، في الليل الغادر، بدأوا بالتوجه على دراجاتهم إلى مقر قيادة الحرس الأمبراطوري. كانوا يجتازون ببطء الشوارع المظلمة المدمرة، بينما كان ذهن إيْدا في مكان آخر. فجأة تذكر قصة قديمة كان قرأها منذ زمن بعيد، حين كان في المدرسة المتوسطة في السنة الثانية أو الثالثة، عن شاب من عشيرة اغاكي رفض الانصياع لقرار عشيرته بالوقوف إلى جانب الأمبراطور، في نزاع بين البيت الأمبراطوري والتوكوغاروا شوغوناته. كان هذا الساموراي الشاب يشعر أنه مدين بالامتنان للشوغوناته، لذلك غادر عشيرته لينضم إلى جيش المتمردين.

لماذ بحق السماء، فكّر إيْدا، اتذكرُ تلك القصة الآن؟ فجأة عرف: هو أيضاً غادر عشيرته، وزارة الدفاع، وحمل سلاحه، وبغض النظر عمّا عبّر عنه هاتاناكا، فإنه مع المتمردين، إذا نجحوا، ولم يكن متمرداً بعد، إنما بطل الأمبراطور، وحامي العلاقة (الطبيعية) بين البلد وحاكمه. ثم انقطعت سلسلة أفكاره على صوت انفجار شقّ طبلة أذنه.

لم تكن قنبلة، كان صوت انفجار دراجته. كانت العجلات قديمة وعديمة الفائدة على أية حال. الرحلة المزمعة لعزل الأمبراطور، وإعادة تحريك الجيش، وهزيمة قوات الحلفاء كلها انقطعت. وبعد، كانت دقائق قليلة قبل الحادية عشرة، بينما انهمك المتآمرون الثلاثة في إصلاح عجلة دراجة الليفتنانت كولونيل إيْدا.

14 آب

من الساعة 11 إلى منتصف الليل

«على أي حال، كل شيء
سيكون على ما يرام في النهاية».

• شيجيروني توغو

كان الأمبراطور على وشك مغادرة مقر اقامته في الغوبنكو ليذهب إلى وزراة شؤون القصر لتسجيل قراره، حيث كان هناك بانتظاره مدير دائرة الاستعلامات شيمومورا ورئيس هيئة الإذاعة اليابانية اوهاشي، بالإضافة إلى أعضاء فريق التسجيل، حين دوّت صافرة الإنذار. أبدى الأمبراطور الرغبة في مواصلة سيره إلى الوزراة، لكن الحاجب آري أشار عليه أن من الأفضل الانتظار في الملجأ إلى أن يتحدد هدف العدو الليلة من هذه الغارة، فوافق الأمبراطور.

في المقر الرسمي لرئيس الوزراء، ملأ وزير المواصلات الريشة التي كانت تنتظر على المائدة بالحبر. كان هو العضو الوحيد الذي لم يوقع الوثيقة بعد، ما أن يفعل حتى يصبح القرار رسمياً، فتكون اليابان وافقت على الاستسلام غير المشروط، بالرغم من أن العالم لم يعرف هذا بعد. حين دوّت صفارة الإنذار، وقع اسمه.

تلقى رئيس قسم الشؤون العامة لمجلس الوزراء إشارة بدخول

الغرفة. كل الموظفين الذين كانوا ينتظرون عرفوا ماذ يعني هذا. اتصل أحدهم بمكتب الخارجية وتحدث إلى نائب الوزير، ماتسوموتو، الذي أصدر تعليمات عاجلة إلى مسؤول غرفة البرقيات لإرسال الرسالة المعدَّة من قَبل إلى سويسرا والسويد، ليتم نقلها من هناك إلى القوات الأربعة المتحالفة. الآن سيعرف العالم قريباً.

خلال ذلك، كان يجري إعداد نسخة من القرار لتُنشر في الصحيفة الرسمية، التي رغم توقفها المؤقت نتيجة الحرب، ستنشر القرار رسمياً في ملحق موجز. لم يسلك رئيس قسم الشؤون العامة الطريق المعتاد، بل بدلاً عن ذلك استدعى رئيس تحرير الصحيفة وسلمه شخصياً نسخة خاصة من القرار معدّة مسبقاً.

الأمبراطورية اليابانية، استنشقت الآن نفَسها الأخير، إلاّ أن الشعب الياباني لم يعلم بعد بموتها.

أخبر الليفتنانت تسونه فوجي، من القطاع الشرقي للجيش، شينجيرو اوكاماتسو، رئيس قسم الدفاعات الجوية في وزراة شؤون القصر، بأن طائرات العدو، التي أُطلق الإنذار بسببها، لا يبدو أنها متوجهة إلى طوكيو. نقل اوكاماتسو هذه المعلومة إلى الحاجب آيري، وبعد فترة قصيرة، ارتدى الأمبراطور بدلة القائد العام، واستعد لمغادرة الغوبنكو، حيث تنتظر سيارة لتقله إلى غرفة غوسيمو في وزارة شؤون القصر.

كان رئيس الوزراء وأعضاء المجلس قد ارهقوا بشدة، لكنهم أيضاً ارتاحوا كثيراً، الآن، فقد أنجزوا آخر جزء من عملهم، آخذين باعتبارهم أن استقالتهم ستفسح المجال لوزارة (عهد السلام) الجديدة.

ربط الجنرال أنامي سيفه وذهب إلى وزير الخارجية توغو، أدى له التحية بانحناءة خمسة عشر درجة، ثم قال: «لقد اطلعت على نصّ المذكرة التي بعثها مكتب الخارجية، ملحقة بقرار إعلان بوتسدام، وأنا أشكرك على ذلك».

ابتسم توغو لما فعل، بعد كل شيء لم يكن هناك أكثر مما كان دائماً

يقول بأنه مستعد ليفعله، ذلك أن يسأل العدو الحقوق التي أراد أنامي الإصرار عليها. كانت النقطة الثانية في المذكرة تقول:

إن نزع سلاح القوات اليابانية هي من أكثر المهام حساسية، إذ أنه يشمل أكثر من ثلاثة ملايين ضابط ورجل في الخارج، وهذا يمس عزتهم بشكل مباشر، فالحكومة اليابانية بالتأكيد سوف تبذل أقصى جهدها في ذلك، لكن يُقترح أنه من الأفضل، والطريقة الأكثر فاعلية أن تنزع القوات اليابانية سلاحها وتستسلم طوعاً تحت إشراف صاحب الجلالة الأمبراطورَ.

«أنا جداً ممتنٌ لكَ» أكمل أنامي، «وأنا مدين لك بالاعتذار عن بعض الأشياء التي ربما قلتها في حِمية النقاش».

ردّ توغو مبتسماً: «على أي حال، كل شيء سيكون على ما يرام في النهاية». ضحك العدوان السابقان، ثم افترقا.

الآن، التقط وزير الحرب رزمته الصغيرة المغلّفة بصفحة الجريدة ومشى إلى مكتب رئيس الوزراء في الغرفة المجاورة لغرفة الاجتماعات. وبينما كان أنامي يدخل، مرتدياً قفازات بيضاء وسيفه معلقٌ على جانبه، كان رئيس الوزراء العجوز يجلس مرهقاً على كرسي خلف مكتبه، وكان سكرتير مجلس الوزراء وعدد من الرجال الآخرين في الغرفة.

«التمس العفو لإزعاجي لك»، قال أنامي وهو يقف منتصباً أمام مكتب سوزوكي.

نهض سوزوكي.

قال أنامي: «عندما بدأت مشكلة إنهاء الحرب وأوضحتُ بعض الآراء كممثل للجيش، قد أكون عبّرت عن تلك الآراء بقوة أحياناً، إلاّ أن اهتمامي كان دائماً منصبّاً على مساعدة رئيس الوزراء قدر طاقتي. أخشى أنني لم أُوفّق تماماً في تلك الاثناء، وأرغب بتقديم الاعتذار عن ذلك. أحبّ أن يدرك رئيس الوزراء أن هدفي الرئيسي كان دائماً صيانة نظام دولتنا. هذا كان دافعي الأول. أرجوك صدقني».

نهض سوزوكي من خلف مكتبه وقال: «أنا اصدقك»، ثم وضع يده على كتف وزير الحرب، كما لو أنه ابنه. قال: «أنا ممتن لصراحتك في التعبير عن قناعاتك، وأنا أعرف أن الوطنية كانت دافعك وليس أي شيء آخر».

انحنى وزير الحرب، مثل طفل مطيع.

«أرِح ذهنك»، أكمل رئيس الوزراء، «البيت الأمبراطوري مصان. الأمبراطور بأمان. فهو قريباً سيصلّي لأرواح أسلافه».

«أنا واثق أنه سيكون في أمان» قال أنامي.

«ولستُ متشائماً بشأن مستقبل اليابان» أكمل سوزوكي.

«أتفق معك» قال أنامي، «أنا مؤمن أنه طالما الأمبراطور والشعب معاً، فاليابان ستتعافى».

بعد لحظة من الصمت، أخرج أنامي حزمته الصغيرة الملفوفة بورق الجريدة وسلمها لسوزوكي. قال: «أريدك أن تأخذ هذه، إنه سيجار من الجبهة الجنوبية، وحيث أني لا أدخن، فأعتقد أن رئيس الوزراء يمكن أن يسخدمهم». أدى أنامي التحية وغادر من دون أي كلمة أخرى.

ودعه سكرتير رئيس الوزراء، ثم عاد إلى مكتب سوزوكي.

«أعتقد أن وزير الحرب جاء ليقول وداعاً». غرقت الغرفة في الصمت.

الأضواء في الغوسيمو- شيتسو بدت باهرة رغم الظلام الحالك في الخارج. رافق رئيس دائرة الاستعلامات شيمومورا الأمبراطور إلى الغرفة. كان وزير شؤون القصر وكبير الحجّاب ينتظران عند النافذة، عندما دخل الأمبراطور برفقة اثنين من الحجّاب، ميتسوي وتودا، انحنى كل من كان في الغرفة بشدة. في الغرفة الملحقة، وكان بابها مفتوحاً، وقف السكرتير كاواموتو ورجال من دائرة الاستعلامات، وهيئة الإذاعة اليابانية ووزارة شؤون القصر، هؤلاء أيضاً انحنوا بشدة عندما دخل الأمبراطور غرفة الغوسيمو.

اقترب الأمبراطور من المايكرفون الذي ينتصب وسط الغرفة، وسأل: «بأي درجة صوت يجب أن أتكلم؟».

ردّ شيمومورا بأن درجة صوت الأمبراطور المعتادة ستكون مناسبة. عاد خطوة إلى الوراء ثم رفع يده، إشارة لبدء التسجيل.

قبل أن يبدأ الأمبراطور بثانية واحدة، تذكر وزير شؤون القصر كيف قال الأمبراطور، قبل يومين فقط، «أنا أفعل أقصى ما بوسعي لتحقيق السلام، لكني لا أدري فيما إذا كنت سأنجح أم لا، أو ماذا سيحدث لاحقاً. أرغب برؤية الأمبراطورة مرة أخرى. من يدري، ربما لن أراها بعد ذلك أبداً!».

إلاّ أن صوت الأمبراطور لم يبدُ عليه الضعف أو عدم الثقة حين بدأ قراءة القرار الأمبراطوري في الرابع عشر من آب.

لرعايانا الطيبين المخلصين:

بعد التفكير العميق بالتوجهات العامة في أنحاء العالم، والحالة الفعلية السائدة في امبراطوريتنا اليوم، فقد قررنا إحلال الاستقرار في الموقف الحالي باللجوء إلى تدابير غير معتادة.

لقد أمرنا حكومتنا بابلاغ حكومات الولايات المتحدة، بريطانيا العظمى، الصين، والاتحاد السوفييتي بأن امبراطوريتنا قد قبلت بنود إعلانهم المشترك.

إن الجهاد من أجل الاخاء وسعادة كل الأمم وتحقيق الخير والأمان لشعبنا هو الواجب المقدس الذي عُهد به إلينا من أسلافنا والذي يستقر قريباً من قلبنا.

في الحقيقة، إننا أعلنا الحرب على أمريكا رغماً عنا لضمان حفظ الذات اليابانية والاستقرار في شرق آسيا، إنه بعيدٌ عن تفكيرنا أيضاً إنتهاك سيادة الأمم الأخرى أو مباشرة أي توسعات اقليمية. لكن الآن استمرت الحرب قرابة الأربع سنوات، بالرغم من أن الجميع بذل أفضل

ما بوسعه. إن قتال قواتنا العسكرية والبحرية الباسلة من اجتهاد ومثابرة موظفي دولتنا، وإخلاص أفراد شعبنا المئة مليون، فإن موقف الحرب لم يتطور بالضرورة لصالح اليابان، بينما الرأي العام العالمي انقلب ضدها.

إضافة لذلك، فإن العدو بدأ استخدام قنبلة جديدة أكثر وحشية، وهي قوة لا يمكن حصر أضرارها، آخذةً العديد من الأبرياء. فاستمرارنا أيضاً سيؤدي إلى انقراض الحضارة الإنسانية.

في حالة كهذه، كان يتحتم علينا إنقاذ الملايين من شعبنا، والتكفير عن نفسنا أمام أرواح أسلافنا المقدسة. ذلك كان السبب الذي جعلنا نأمر بقبول بنود الإعلان المشترك لقوى الحلفاء.

ليس بوسعنا سوى التعبير عن أسفنا العميق لحلفائنا في شرق آسيا، الذين دعموا الأمبراطورية بثبات من أجل تحرير آسيا.

إن التفكير بأولئك الضباط والرجال والآخرين الذين سقطوا في أرض القتال، أولئك الذين ماتوا أثناء أدائهم واجبهم، أو أولئك الذين قابلوا الموت في غير أوانه وباسرهم الشجاعة، يؤلم قلبنا ليلاً ونهاراً.

إن صالح ورفاه جرحى وضحايا الحرب، واولئك الذين فقدوا منازلهم ومصادر عيشهم، هي موضوع اهتمامنا العميق.

المصاعب والمعاناة التي ستواجه شعبنا بعد ذلك، ستكون بالتأكيد كبيرة. نحن ندرك عمق مشاعركم، يا شعبنا. ومع ذلك، ووفقاً لما يمليه علينا الزمن والقدر فلقد عزمنا على تمهيد الطريق لسلام عظيم لكل الأجيال القادمة.

وفي سبيل حماية وصيانة كيان الدولة الأمبراطورية، نحن دائماً معكم، يا شعبنا الطيب الوفي، معتمدين على اخلاصكم وتعاونكم.

كونوا حذرين من أي انفعال عاطفي متزمت قد يوَلِّد تعقيدات غير ضرورية، أو نزاعات أخوية قد تخلق بلبلة، وتقودكم إلى الضلال وتجعلكم تفقدون ثقتكم بالعالم.

لندع كل الأمّة تتواصل كعائلة واحدة من جيل واحد، ثابتة أبداً في إيمانها بخلود أرضها المقدسة، وواعية لثقل المسؤولية والطريق الطويل أمامها.

وحّدوا قواكم، لتكونوا مكرّسين لتشييد المستقبل، وسيروا في طريق الاستقامة، ربّوا أرواحكم على النبل، واعملوا بثبات، بذلك تعزّزون المجد العريق للدولة الامبراطورية، وتواكبون تطور العالم.

«هل كان هذا جيداً؟» سأل الأمبراطور. كان السؤال موجّهاً إلى رئيس المهندسين، الذي ردّ بصوت منخفض جداً بالكاد يُسمع: «لا يوجد أي خطأ تقني، لكن بعض الكلمات ليست واضحة تماماً».

بعد ذلك قال الأمبراطور لشيمومورا أنه يرغب بعمل تسجيل آخر، فقد كان يرى أن صوته كان منخفضاً جداً. نقل شيمومورا رغبة الأمبراطور إلى فريق التسجيل، رافعاً يده بالقفاز الأبيض، ومرة أخرى كان صوت الغرنوق المقدس ينساب عبر جهاز التسجيل، حيث بدا الأمبراطور مشدوداً أكثر، وصوته صار بدرجة أعلى من المطلوب قليلاً. وحتى في إعادة القراءة هذه قفز على احدى الكلمات. فيما بعد، قال رئيس الاستعلامات إنه رأى دموعاً في عيني الأمبراطور.

لا شك أن الرجال الآخرين في الغرفة كانوا يبكون أيضاً. اختلطت الدموع بالعرق، لأن الغرفة مزدحمة وحارة في تلك الليلة من منتصف آب، حتى فتح النافذة لم يكن مجدياً، إذ لا يوجد نَفَس في الخارج.

كان الأمبراطور متخوفاً أن يكون التسجيل الثاني غير ملائم أيضاً. قال: «أنا مستعد لعمل تسجيل ثالث».

من الواضح أن النقاش بحضور الأمبراطور كان أمراً رهيباً. فحين قصد رئيس قسم الشؤون العامة أن يسأل رئيس المهندسين إذا كان مستعداً لعمل تسجيل ثالث، فهم المهندس من السؤال فيما إذا كان من الضروري إجراء تسجيل ثالث، لذلك ردّ بكلمة «لا»، فحاول رئيس قسم الشؤون العامة تكرار السؤال إلاّ أن شيمومورا تدخل في الحال، وكان

قد تناقش مع وزير شؤون القصر وكبير الحجّاب واتفقوا جميعاً على أنه سيكون كثيراً جداً الطلب من الأمبراطور أن يكرر تلك المحنة مرة ثالثة.

دخل صاحب الجلالة الأمبراطور السيارة التي كانت تنتظره برفقة الحاجب إيري. لم ينطق بكلمة واحدة خلال رحلة عودته إلى الغوبنكو، حيث سينام تلك الليلة، بينما برقية وزير الخارجية أخذت طريقها الملتوي إلى واشنطن، موسكو، لندن، وتشونغ كنغ.

بعد أن وصل الجنرال أنامي إلى مقر إقامته الرسمي في ممياكيزاكا، طلب معاونه الميجور هاياشي ليرى إن كان باستطاعته أن يجد له صفحتين من الورق الياباني الثقيل، الذي يصعب الحصول عليه في مثل هذا الوقت، فانصرف هاياشي لهذه المهمة، بينما جاءت خادمة أنامي لتسأل الجنرال إن كان مستعداً لأخذ الحقنة. كان يأخذ هذه الحقنة من الفيتامينات كل ليلة في محاولة لمقاومة الإجهاد الناشئ عن ساعات العمل الطويلة وقلة النوم. بدا أنامي مرتبكاً للحظة، وذاهلاً تقريباً، ثم قال: «نعم، لمَ لا؟». بدا كأنه يضحك.

في غرفة الموظفين بقسم الحرس الأمبراطوري كان الليفتنانت كولونيل إيدا يقابل رفيقه في المؤامرة، الميجور كوغا لأول مرة. تمّ تقديمه بواسطة الميجور هاتاناكا، وكان حاضراً أيضاً الليفتنانت كولونيل شيبزاكي، والميجور إيشيهارا، والكابتن يوهارا من الأكاديمية الجوية. طلب إيدا وهاتاناكا مقابلة الجنرال موري، لكن الجنرال كان في اجتماع ولا يمكن مقاطعته، فجلسوا هناك ينتظرون بينما كوغا وايشيهارا يدرسان تنفيذ خطة هاتاناكا. بدت لهما الخطة ممكنة، وربما أكثر من ممكنة إذا علموا أن قيادات كتائب الحرس الأمبراطوري ليسوا موافقين فقط على الخطة، بل أنهم قد نشروا الجنود في مواقع استراتيجية حول القصر. مع ذلك، فالمشكلة الرئيسية في الموضوع، كما يرى إيدا هو الجنرال موري، قائد الحرس الأمبراطوري. فهو إذا اطلع على الخطة ولم يوافق عليها، فلا أحد يعرف أي إجراء قد يتخذ. هزّ إيدا كتفيه بلا مبالاة؛ أي

شيء ربما أفضل من أن يشقّ أحد بطنه. لكن مع مرور الوقت في الانتظار الطويل كان حماس إيدا يموت ببطء.

دعا الكابتن كوزونو كل ضباط الفيلق الجوي 302 إلى مكتبه، حيث أخبرهم للمرة الأولى أن الأمبراطور قرر الاستسلام فعلاً. كان صوته وطريقته في الكلام يتركان مجالاً لبعض الشك في أذهانهم، فكان متوقعاً أن يسألوا فيما إذا كان سيلتزم بتنفيذ قرار الأمبراطور أم لا، وكان جوابه متوقعاً.

«طالما أنا القائد هنا» صرخ كوزونو، «فقاعدة اتسوجي الجوية سوف لن تستسلم! يوجد مؤونة من الطعام تكفينا لسنتين. وهذا ما سأفعله أنا شخصياً. هل أنتم معي؟».

جاء الحماس سريعاً: «نعم. نعم!» كلهم صرخوا. في تلك الأثناء لم يبق أي صوت صامتاً.

«دعهم يسموننا خونة!» صرخ من جديد، «لا يهم، الاستسلام ليس ضد تقاليدنا فقط، إنه ضد قانوننا أيضاً. اليابان لا يمكن أن تستسلم! هل أنتم معي؟».

«نعم، نعم!».

في قاعدة يوكوهاما، غمغم الكابتن ساساكي أن الجيش الأمبراطوري الياباني لا توجد في قاموسه كلمة «استسلام». يجب أن تقاتل اليابان! لديها رجال وسوف يقاتلون، لماذا يجب عليها أن تستسلم؟ لا يزال لديها جيش ضخم في عقر أراضي الصين، ولا يزال لديها 350.000 أسير من قوات الحلفاء. لماذا يجب عليها أن تستسلم؟.

كان ساساكي في طريقه إلى مقر الحرس خلف معبد سوسجيجي في قطاع تسورومي في يوكوهاما، حيث تستقر احدى الكتائب هناك بشكل دائم، كانت خطته إخراج أسلحة للرجال، بعدها يصدر أمراً بقتل رئيس الوزراء. بدا ذلك أفضل طريقة لبدء حربه الشخصية ضد الاستسلام.

ربما تكون اليابان محظوظة، فالكابتن ساساكي لم يكن مطّلعاً أيضاً على متآمري الحرس الأمبراطوري، ولا أولئك الذين في قاعدة اتسوجي الجوية، وهذه بدورها لم تكن على اتصال بالآخرين، فحتى لو اجتمعوا كلهم، لن يمكنهم بالطبع إعادة عجلة التاريخ إلى الخلف، لكنهم ربما نجحوا في رؤية جزيرتهم الصغيرة غارقة فيه.

14 آب

من الساعة 12 منتصف الليل إلى الواحدة.

«هل تسمون أنفسكم رجالاً؟».

• الكابتن تاكيو ساكي

صاحت صفارة إنذار أخرى في كل مكان من كوداما، فانطلقت 36 طائرة من الفيلق الجوي السابع والعشرين لتقاتل العدو، الذي شوهد في بوزو. كان سكان المدينة قد خرجوا إلى مهبط الطائرات لدى أول صفارة إنذار، وقفوا ملوحين بالأعلام هاتفين «بانزاي» بينما الطائرات تقلع إلى الليل مرسومة على جوانبها الشمس المشرقة. قد تكون الحرب إنتهت ظاهرياً، لكنها لم تضع أوزارها بعد.

كانت طوكيو غارقة في الظلام، رغم أن سكان العاصمة اعتادوا على غارات العدو، وحتى على دمار القنابل الحارقة فوق المدينة الضخمة، الجافة، فثمة أفكار مختلفة تماماً في أذهانهم منذ حادثتي هيروشيما وناغازاكي، وشائعات تقول أن طوكيو ستكون التالية. هل كان هذا صحيحاً؟ ظلوا مندهشين بينما كانوا يحتشدون في الغرف الصغيرة المزدحمة، محاولين توقع ما قد تجلبه الطائرات الليلية من دمار.

كان الكولونيل آراو يستعد للنوم في وزارة الحرب، آملاً أن ما حدث كان شيئاً كبيراً وانتهى، وكان يتمنى أن يموت تلك الليلة.

تلك الليلة، كان الأمبراطور قد عاد إلى الغوبنكو ليرتاح قليلاً. قال الحاجب إيري أنه سيبلغ صاحب الجلالة بأي شيء يحدث، فأومأ الأمبراطور برأسه ثم دخل الغرفة. كان إيري يشك في حدوث أي شيء هذه الليلة، إذ أن الحرب إنتهت.

في وزارة شؤون القصر، كان رجال الإذاعة قد استمعوا إلى التسجيلين، واتفقوا على أن الأول هو الأفضل، واقترحوا على موتوهايكة كاكي، رئيس قسم الشؤون العامة في الوزراة استخدامه يوم غد بعد الظهر لإذاعته. وضع التسجيلان (شريطان لكل تسجيل) في حقيبة معدنية، إلاّ أن الغطاء لم يكن مناسباً جداً، لذا سأل رجال الإذاعة كاكي أن يزودهم بشيء أفضل لحفظ الأشرطة. بعد لحظات من التفكير، جاء بحقيبة قطنية بلون الكاكي، حوالي 18 انش مربع، كانت تُستخدم لحفظ زي الدفاع الجوي، وبعد أن وضعت الأشرطة فيها كان السؤال هو أين سيتم حفظها خلال الاثنتي عشرة ساعة القادمة؟ بالنسبة لوزارة شؤون القصر بدا منطقياً أن تتولى هيئة الإذاعة اليابانية مسؤولية حفظها، إلاّ أن هيئة الإذاعة شعرت أنه من غير اللائق بالنسبة للامبراطور أن تنقل الأشرطة إلى المحطة في منتصف الليل، لذا اقترحوا، بدلاً عن ذلك، وحيث أن الاشاعات تنتشر حول نشاطات سيقوم بها الجيش، فمن الأفضل بقاء الأشرطة في وزارة شؤون القصر. فوافقت الوزارة على ذلك.

إلاّ أن كاكي وافق من دون أن تكون لديه فكرة أين سيحفظ الأشرطة. لقد فكر بمكان غير ملائم في قسم الشؤون العامة، لكنه غيّر رأيه وسأل الحاجبين، بوشيصيرو توكوغاوا وياسوهيدا تودا، فيما إذا كان بامكانهما تحمّل تلك المسؤولية. قال توكوغاوا إنه يستطيع، وأخذ الحقيبتين من كاكي. كانت تلك الخطوة واحدةً من أكثر الإجراءات حكمة تلك الليلة.

ذهب توكوغاوا إلى مكتب يستخدمه أعضاء حاشية الأمبراطورة، ومع أنه لم يُسمع عن حفظ أشياء تتعلق بالامبراطور في هذه الغرفة، إلاّ أن توكوغاوا تذكر أن ثمة أماكن هناك صغيرة وآمنه رأى أنها ستكون

أنسب مكان لحفظ التسجيلات فيها إلى الصباح. بعد أن راقب الغرفة جيداً، وضع كمية كبيرة من الورق فوق التسجيلات لاخفائها عن الأنظار.

ما إن رأى رئيس قسم الاستعلامات شيمومورا تسليم الحقيبتين الكاكيتين إلى الحاجب توكوغاوا، حتى اتصل بمكتب رئيس الوزراء لاطلاعه على ذلك، إلاّ أنه أخبر أن سوزوكي غادر في طريقه إلى البيت، فطلب التحدث إلى سكرتير رئيس مجلس الوزراء ساكوميزو. ترك ساكوميزو المؤتمر الصحفي الذي كان يعقده في ملجأ الوزارة وذهب إلى التلفون.

«كل شيء إنتهى»، قال شيمومورا، «لقد أنهى الأمبراطور التسجيل، ولم تكن هناك أية مشاكل. كل شيء على ما يرام».

«دعنا نأمل ذلك»، قال ساكوميزو، «لكن الليلة لم تنتهِ بعد».

بينما كان مراسل جريدة أساهي شيباتا ينتظر عودة ساكوميزو، أعاد قراءة قرار الأمبراطور. كانت اللغة رسمية وغير مألوفة، لم يكن قادراً على فهمها من القراءة الأولى. بدا له أن يدرس القرار جيداً، إذ أن لهذه الوثيقة الصغيرة قوةً غريبة، القوة التي تُحمِّس اليابان على النهوض من تلك الهزيمة، ولتقبل الاستسلام بدون أن تفقد الأمل. شعر شيباتا أنه أكثر من مجرد قرار بوقف الحرب.

عندما عاد ساكوميزو إلى المؤتمر، كرر ما قاله منذ قليل، بأنه لا يسمح بنشر إشارات حول القرار قبل إذاعته ظهر الغد، كذلك أكد على المحررين والمراسلين الحاضرين بعدم السماح بنسخ إضافية إلى ما بعد ظهر الغد، لأن الجيش الذي هو أصلاً مهتاج، قد يستخدم الصحف كذريعة لأعمال عنف ذات عواقب وخيمة على الأمّة.

في الأساس لم يكن الصحفيون راغبين بمناقشة هذه الأخبار الخطيرة، فوافقوا على مطالب ساكوميزو بأن الأمبراطور هو الرجل الوحيد الذي سينقل هذه الأخبار إلى المئة مليون من رعيته.

في تسورومي بيوكوهاما، وقف الكابتن ساساكي غاضباً أمام قواده الأربعة. لقد رفضوا تماماً الانصياع لأمره بالتحرك لاغتيال رجل من رجالات الدولة، أولاً، قالوا باحترام لكن باصرار: إن هذا يتطلب أمراً من الميجور سوسومو هارادا نفسه، قائد اللواء الثالث لحرس طوكيو، الذي يعتبر حرس يوكوهاما تابعاً له.

ارتعد الكابتن ساساكي بغضب، وأراد أن يشرح لهم أن الاخلاص الحقيقي، في الظرف الراهن، يدعو للقيام بإجراء ما، ليس أن نستسلم. لكنه أدرك بعد ذلك أن لا وقتَ هناك لإطالة الجدل والمرافعات. فصرخ: «نحتاج لإجراء الآن!، وجود الأمبراطور هو ما نحن بصدده الآن. هل تسمون أنفسكم رجالاً؟».

«قل ما تشاء» ردّ أحد الرجال الأربعة في هدوء. «لن نتبع أوامرك».

ما لم يكن ساساكي يعرفه، هو أن الجنرال هارادا أصدر تعليمات سرية بعدم تنفيذ أوامر ساساكي تحت أي ظرف. «أليس من واجبنا»، صرخ ساساكي، «كضباط ورجال في الجيش الأمبراطوري، أن نحمي الأمبراطور؟».

«لن نفعل أي شيء بدون أوامر من الجنرال هارادا».

«حسناً، لا تفعلوا!» صرخ ساساكي من جديد. «لكن لا تحاولوا إيقافي أيضاً، إذا كنتم تعرفون مصلحتكم!». ثم ولج في الليل.

هناك، في وزارة الحرب، حيث ما زال الضباط الأربعة بانتظار موافقة الجنرال موري على مقابلتهم، أعلموا أخيراً أن الجنرال سيقابلهم. كانت الساعة حوالي الثانية عشرة والنصف، وكان ضيف الجنرال موري عديله الليفتنانت كولونيل شيراتشي، الذي كان قد استدعى الكولونيل آراو في وقت مبكر هذا اليوم، وهو الآن على وشك مغادرة الجنرال قبل العودة إلى هيروشيما في الصباح. كان هاتاناكا يذرع المكان جيئة وذهاباً وهو يغمغم: «لا يوجد وقت!، لا يوجد وقت!»، لكنه صرخ فجأةً: «لقد تذكرت شيئاً كان عليّ أن أفعله!» ثم غادر فجأة، آخذاً معه

الكابتن ايوهارا، فلم يعد لليفتنانت كولونيل إيدا سوى مقابلة الجنرال مع الليفتنانت كولونيل شييزاكي وحده. كان يفضل أن يكون معه هاتاناكا، المتحمس المتأجج، فشعر للحظة بالاحباط.

اتخذ إيدا مجلسه بمواجهة الجنرال موري، بينما وقف خلف الجنرال عديله. بدا أن موري لن يدع المتآمر يتحدث، وهو حتماً كان يعرف هدف زيارة منتصف الليل هذه، فاختار هذه الطريقة ليخبرهم أنه ليس معهم، ومن الأفضل أن لا يسمع ما يريدون قوله، لذلك بدأ بالحديث مباشرةً، ببطء وفي هدوء، شارحاً فلسفته في الحياة، بأنه لا حربَ قد تمّ خوضها وخُسرتْ، وأنه لا توجد مؤامرات في الأجواء على أمل أن تتحول الهزيمة إلى نصر مثل ألعاب السحر والشعوذة، وكلما حاول إيدا أن يأخذ الحديث يقاطعه الجنرال بالقول «لحظة من فضلك» ويبدأ بعرض رأي آخر عن الحياة. كان مكتب الجنرال موري صغيراً، أقل من تسعة أقدام مربعة، وحاراً، بينما غضب إيدا يتصاعد كلما استمر موري بالحديث.

بدت المقابلة كما لو أنها لساعات، وفي الحقيقة كانت حوالي خمسة عشر دقيقة فقط.

بعد أربعة أيام من التعب والارهاق وقلة النوم، كان الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا يحاول أخذ قسط من الراحة في مقره بسوروغاداي، عندما اندفع الميجور هاتاناكا إلى الغرفة. قال: «الكتيبة الثانية من الحرس الأمبراطوري موجودة أصلاً داخل القصر. سيبدأون في الساعة الثانية»، نظر إلى ساعة يده ثم أضاف. «تقريباً في غضون ساعة من الآن. الجنرال موري هو الوحيد الذي ليس معنا حتى الآن. أنا واثق أنه سيكون معنا في الثانية، لكننا بحاجة إليك أيضاً،كولونيل تاكيشيتا».

لم يكن طلب هاتاناكا يخلو من الجاذبية، فاختار تاكيشيتا أخيراً دور المشاهد، لكنه لا يزال يشعر أنه بذلك الخيار سوف لن يخذل رفيقه في السلاح فقط، إنما نفسه أيضاً. فكّر: هل أنا جداً جبان، بحيث أنني خائف

من أن اوصم بالخيانة؟ هل أنا متبلّد إلى هذا الحدّ فلا أستطيع قول (لا) للرجال الذين قاتلوا ونزفوا إلى جانبي؟ لكن الأمبراطور... أنامي...

كان تاكايشيتا مرةً حامل راية الكتيبة الثانية من الحرس الأمبراطوري الأول، وكان سيعطي حياته لها، الآن ترفرف رايته فوق القصر الأمبراطوري وُطلب منه أن يعطي شيئاً، ربما أكثر من حياته: شرفه إذا فشل، فهل يستطيع بكل اعتزاز أن يقول (لا)، لكن الأمبراطور... أنامي...

«أليس من الأفضل» قال تاكاشيتا، «أن تقتنع بأن كل شيء قد إنتهى؟ لقد فشلنا في استمالة أربعة ضباط في الجيش!».

قاطعه هاتاناكا: «لأنهم كانوا مرتبكين، مثل رجالهم بالضبط، لا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا. إذا أشرنا إليهم بالطريق الصحيح الذي عليهم السير فيه، فسيتبعون. طالما هناك حالة طوارئ حقيقية فالكل سيكون معنا».

«ليس الجنرال أنامي. فهو سيلتزم بكلمته مهما حدث».

«لن يفعل إذا أمسكنا زمام القوة. أنت الوحيد تستطيع أن تشرح له الموقف. لا أحد غير الليفتنانت كولونيل يستطيع إقناع وزير الحرب!».

إنتهى الصوت المتحمّس، ووجد تاكاشيتا نفسه يحدّق في تلك العيون السوداء الناعسة، حيث بدا وجه هاتاناكا الرقيق الفتي ملتهباً بنيران قناعاته.

«حسناً» قال تاكاشيتا بابتسامة، «يجب أن أعود إلى الحرس، لا يوجد الكثير من الوقت» ثم نهض.

قال هاتاناكا: «ربما بعد أن تكون خطتنا قد بدأت فعلاً، حينها سيلتحق بنا الليفتنانت كولونيل»، ثم اتجه نحو الباب.

«انتظر دقيقة» قال تاكاشيتا، الذي كان قد بدأ يرتدي ملابسه العسكرية. «أنا آتٍ معك أيضاً».

«أين؟».

«أنت تعرف إلى أين أنا ذاهب»، ابتسم تاكاشيتا وأضاف، «إلى وزير الحرب».

ضحك هاتاناكا، فأثار ضحكه روع تاكاشيتا. كان أكثر صوت مميّز سمعه في حياته، كان يبدو في منتهى السعادة، في ذروة حياته كلها، كان ضحك رجل مجنون، أو قديس.

أخيراً وجد الليفتنانت كولونيل إيدا، أو انتهز الفرصة ليتمدد. لقد أوضح رأيه عن انسجام الأمبراطور «الطبيعي»، الذي هو الإله الحيّ، مع رعاياه. قال، هذا لا يشكل كيان الأمّة فقط، إنما إيمانها أيضاً. لذلك فقبول الاستسلام الذي سيترك القصر الأمبراطوري سليماً في الظاهر، سوف يدمر تماسكه الداخلي مع الشعب، وهذا مساوياً لزوال اليابان: إنه جبن وخيانة.

قال الجنرال موري: «مهما كان مستوى الصحة في كلامك، فالحقيقة تبقى أن الأمبراطور قال قراره. وكقائد للحرس الأمبراطوري، عليّ أن اطيع ما قرر، ويجب أن أُلزم رجالي بطاعته».

بدت نبرة الجنرال نهائية، إلاّ أن إيدا واصل حديثه قائلاً: » بارغواي بلد صغير في أمريكا الجنوبية، خاضت قتالاً لخمس سنين وخسرت ثمانين بالمئة من شعبها. وانظر إلى فنلندا، انظر إلى الصين. وبعد، فنحن الذين نتباهى بأن اليابان مقدسة وأبدية، مستعدون للاستسلام دون أن نقاتل العدو في أرضنا. إنها قمة الأنانية، إنها خيانه لأرواح الأبطال الموتى. جنرال، أنا غير مقتنع بأن أي ضابط شريف يمكنه المشاركة في هذه الدناءة من كل قلبه. هذه اللحظة لإذكاء الروح اليابانية، والحرس الأمبراطوري هو الذي سيقودنا».

صمت إيدا. كان غارقاً في العرق، وقد التصقت ملابسه الداكنة بجسده، بينما هو ينتظر ردّ موري.

15 آب

من الواحدة إلى الثانية صباحاً.

«ماذا تريدان أن يفعل الجيش الشرقي بالتحديد؟».

• الميجور جنرال تاتسوهيكو تاكاشيما

كانت الغرفة هادئة جداً، والليفتنانت كولونيل شيرايشي، الذي كان يقف خلف الجنرال موري، يستطيع سماع طقطقة ساعة يده. نظر إليها: كان عقرب الدقائق يقف على الثانية عشرة تماماً وعقرب الساعات على الواحدة. قال موري: «أنا أتعاطف معك، واقدّر تماماً أهدافك، صدقني، أنا أحترمها، وحتى ربما أستطيع القول في ظروف أخرى إني أشاركك بها. لكن هذا ليس ممكناً الآن. لقد أقسمت على طاعة قرار الأمبراطور...مع ذلك، فأنا أتحدث معك الآن كياباني عادي، أنا أرغب الآن بالذهاب إلى ضريح ميجي. فقد تمنحني الصلاة حلاً لمشكلتي».

أحنى إيدا رأسه. كان قد واجه نفس الأزمة هو أيضاً، نفس التصادم بين قَسم الواجب والاخلاص الذي بدا منبثقاً من أعمق نقطة في نخاعه العظمي، الاخلاص الذي، في حالة إيدا على الأقل، فرض نفسه فوق كل الالتزامات الصغيرة، فقد قرر أن من الأفضل أن يخدم الأمبراطور بعدم طاعته له، والدولة بالثورة عليها. كان مقتنعاً أن صلاة الجنرال

موري لضريح الأمبراطور ميجي، كمواطن ياباني عادي وليس كقائد للحرس الأمبراطوري، ستوصله إلى نفس النهاية.

تنهد إيدا، مقتنعاً أن جواب موري النهائي، حتى لو كان (لا)، وفشلت المحاولة، فإن جهوده المبارِزة لم تذهب هباءً. لقد فعل كل ما باستطاعته، شعر فجأة بالبرودة، إذ بدأ العرق الذي كان غاصاً به يجف على جسمه، وانخفضت درجة حرارته عن الطبيعي.

في نفس تلك اللحظة، نظر الكولونيل ميزوتاني، رئيس أركان الفرقة، إلى مكتب موري، الذي قال: «انتظر دقيقة، أعتقد أن الكولونيل إيدا يريدك بكلمة».

«سأكون في مكتبي» ردّ ميزوتاني وهو ينسحب.

«انظر ماذا سيقول الكولونيل ميزوتاني عن فكرتك» قال الجنرال موري لإيدا. فانحنى إيدا وغادر، وما إن هم بدخول مكتب ميزوتاني، حتى عاد المتآمران، هاتاناكا واويهار، كانا يتنفسان بصعوبة، وهما مغطيان بالعرق والغبار.

طلب إيدا من هاتاناكا، وهو يبتسم، أن ينتظره في مكتب الجنرال موري، ثم واصل طريقه ليتحدث مع ميزوتاني. كان هاتاناكا قد فهم ابتسامة إيدا بأن الأمور سارت على ما يرام.

في كل مرة يشرح فيها إيدا رأيه الشخصي، واتفاقه المبدئي مع خطة هاتاناكا، تصير قناعاته أكثر وضوحاً وأكثر صحةً في ذهنه، لذلك فإنه الآن يشرح الموقف كما يراه لرئيس الأركان ميزوتاني بثقة أعلى. بعد فترة وجيزة دوى صوت إطلاق رصاص ممزقاً الهدوء الثقيل في مقر الحرس. بدا أن صوت الطلقة كان آتياً من مكتب الجنرال موري، ثم سمعا أنيناً وألماً، بعدها وقع أقدام ثقيلة على الأرض.

ربما يكون إيدا قد شكّ بما حدث، إلاّ أن ميزوتاني ظلّ يخمن فيما هو يتبع إيدا إلى الممر. في تلك اللحظة انفتح باب مكتب موري وظهر وجه هاتاناكا شاحباً، والمسدس ما يزال في يده.

«لا يوجد وقت فحسب» قال هاتاناكا بصوت رفيع وبوتيرة واحدة. نظر إلى إيدا كمن يلتمس منه تبريراً، ثم قال: «لا يوجد وقت للجدال، فقتلته. ماذ أستطيع أن افعل غير ذلك؟»، وتنحى جانباً.

نظر إيدا وميزتاني، غير مصدقين، إلى مكتب موري، خلال ذلك كان المشهد حيّاً وبالشكل التالي: كان اويهارا يمسح سيفه المدمى، وشيزاكي يجلس على الكرسي دائخاً، وعلى الأرض تستلقي جثة الجنرال موري الدامية، المقطعة، وجثة عديله الليفتنانت كولونيل شيرايشي، الذي كان سيذهب إلى هيروشيما في الصباح. كان الدم لا يزال يتدفق من جراحهما، وشيرايشي مقطعاً تماماً، والجدران تلطخت بالدماء، والأرض داكنة، زلِقة.

تراجع إيدا بهلع مصحوباً بالغثيان، ليجد هاتاناكا ما يزال واقفاً هناك، خلفه، والمسدس ما يزال في يده. نظر الرجلان إلى بعضهما، لكن لم هناك ما يقال.

في ضوء فهمه التخميني، تصور إيدا ماحدث. لقد فهم هاتاناكا ابتسامة إيدا على أن موري وافق على الخطة، فتحدث إليه هاتاناكا بطريقة ميلودرامية، لم يوافق موري عليها، وإنتهت دهشة هاتاناكا من رفض موري بالموت. فقد كان «الراهب» موري مغلقاً تجاه إغراءات الميجور الشاب.

حيّأ هاتاناكا واويهارا الجثتين، ثم ذهبا إلى العمل. لقد وضعا ساعة الصفر لبرنامجهما الساعة الثانية. الآن وبعد ما حدث، سيكون هذا مقدمة. لم يبالِ المتآمران إن كان اغتيال قائد الحرس سيجعل خطتهما غير معقولة، كل ما فكرا به هو استغلال مقتله لتسهيل الانقلاب.

حتى الليفتنانت كولونيل إيدا، الذي صار عليه الآن أن يدرك أن موت موري يجب أن يعني موت التمرد، لم يعد يرى أي شيء بالإمكان فعله غير الاستمرار. قال إنه من الأفضل أن يذهب إلى مقر القطاع الشرقي للجيش، فوافق هاتاناكا على ذلك والدموع في عينيه. هل كانت دموع الألم، أم دموع الاستعطاف والتضرّع؟ أم أنها الدموع الناتجة عن النشاط

والحماس المفرط؟. كيف يمكن للمرء أن يعرف؟ إيدا وحده عرف أن هاتاناكا، الآن، يريده أن يذهب إلى القطاع الشرقي للجيش ويبذل جهودا أخيرة لإقناعهم بالانضمام للتمرد.

وهما في حالة الذهول التي أصابتهما، أخذ إيدا وميزوتاني السيارة وإنطلقا بها. في الطريق، توصل إيدا إلى استنتاج معقول وواقعي، هو أن الثورة إنتهت قبل أن تبدأ. لقد اعتمد النجاح على القطاع الشرقي للجيش، وقد جعل مقتل موري مسألة تعاون الجيش بعيدة الاحتمال. الآن، أصبح إيدا متأكداً من أن خطأ هاتاناكا والمتآمرين الآخرين، الذي سيتبع بالانتحار، كان بعد كل شيء حلّ إيدا الأساسي للمسألة.

كان الميجور هاتاناكا قد تفحص الوثيقة المعدّة من قبل الميجور كوغا والميجور ايشيهارا، المسماة (استراتيجية الأمر 584 لقسم الحرس الأمبراطوري)، المؤرخة في 15 آب، والوقت المتفق عليه لتنفيذ الخطة كان الساعة الثانية. جاء في الوثيقة:

1. سيبطل القسم برنامج العدو، وسيحمي الأمبراطور ونظام الدولة.
2. قائد كتيبة المشاة الأولى سيحتل موقع الحامية الشرقية الثاني، وموقع الحامية الشرقية الثالث (بما فيها غرفة عمليات القطاع الشرقي للجيش) وضواحي هونمارو بابا، وبالتالي حماية العائلة الأمبراطورية من هذا القطاع. القائد سيأمر أيضاً باحتلال محطة الإذاعة ومنع البث.
3. قائد كتيبة المشاة الثانية سيستخدم قواته لحراسة العائلة الأمبراطورية في قطاع فوكياجي من القصر.
4. قائد كتيبة المشاة السادسة سيواصل مهامه العادية.
5. قائد كتيبة المشاة السابعة سيحتل بوابة بنجوباشي ويمنع أي اتصال بالقصر.
6. قائد كتيبة الفرسان سيوجه دبابة إلى طريق دايكن بانتظار أوامر أخرى.

7. قائد كتيبة المدفعية الأولى سينتظر تعليمات لاحقة.
8. قائد مجموعة المهندسين الأولى سينتظر تعليمات لاحقة.
9. قائد الآليات العسكرية سيحرس القصر الأمبراطوري.
10. قائد وحدة الإشارات سيقطع كل الاتصالات مع القصر ما عدا مقر الحرس.
11. سأتواجد في مقر القسم.

كان هاتاناكا قد أخذ الختم الخاص للقائد المقتول من على مكتبه وختم نسخاً من الوثيقة، التي ارسلت في وقت لاحق عن طريق المراسل إلى الضباط المعنيين، قواد الكتائب الأربع، وقائد فوج كان قد وافق على خطة هاتاناكا. ربما كانوا يعرفون، وربما لا يعرفون أن الأمر 584 مزوّر.

إذا نجح إيدا مع القطاع الشرقي للجيش وتاكيشيتا مع وزير الحرب، كما اعتقد هاتاناكا، فإن خطته ستنجح بالتأكيد، لكن، وعلى أية حال، لم يعد بإمكانه التأخر عن تنفيذ دوره في الانقلاب. وحيث كانت الأوامر المزوّرة قد ارسلت، توجه مع الليفتنانت كولونيل شيزاكي من وزارة الحرب إلى حدود القصر الأمبراطوري، بسيارة ترفرف فوقها شارة الفرقة الأولى للحرس الأمبراطوري. ذهبا مباشرةً إلى مقر قائد الفوج الثاني هاغا. هناك أخبرا القائد هاغا أنهما عيّنا ضباط أركان قسم الحرس الأمبراطوري للتأكد من أوامر خاصة تتعلق بتوفير حماية القصر قد نُفذت. في هذه اللحظة، وصل أحد المعاونين مع نسخة من الأوامر وقام بتسليمها إلى هاغا.

كان هاغا قد افترض، لدى علمه بأن عصياناً مسلحاً يلوح في الجو، أن الجيش جزءٌ منها، وأن الهدف الرئيسي اقناع الأمبراطور بتغيير رأيه، ولم تكن لديه أية فكرة أن هذا الانقلاب، الذي هو على وشك أن يكون طرفاً فيه، كان في الحقيقة ثورة (ضد) الجيش. لذلك، وطبقاً للتعليمات، باشر باتخاذ الخطوات اللازمة لعزل القصر. كانت المؤامرة التي استهدفت

بعث الأمبراطور لشعبه بالوحدة الطبيعية والتماسك، قد بدأت الآن بعزله عنهم وعن العالم.

على الرغم من أن القطاع الشرقي للجيش كان مسؤولاً عن الدفاع عن طوكيو وكل طائرات كانتو، فقد كان النشاط في مقره ذلك الصباح الباكر من يوم الأربعاء قليلاً للغاية، رغم تواصل صفارات الإنذار. حين رنّ التلفون، ردّ عليه ضابط الركن الليفتنانت كولونيل هيروشي فوها.

«الميجور كوغا يتكلم!» صرخ صوت عالٍ ومهتاج، ثم أكمل، «الحرس الأمبراطوري يرفض الاستسلام، إنها ثورة ضد الحكومة! فهل سينضم الجيش الشرقي للثورة؟ اكررُ، هل سينضم الجيش الشرقي؟ هل يمكنكم جناب القائد اعطاء أوامر شخصية عاجلة بذلك؟ هذا مهم جداً. أنا اكررُ، الحرس الأمبراطوري...» ثم انقطع الصوت الهستيري.

بعد لحظات سمع الكولونيل فوها أن المستقبل قد استُبدِل.

لم تكن لدى فوها أية فكرة عمّا يجب عمله حيال ما قاله كوغا، ومثل كل رجال الجيش في المواقع العليا، كان قد سمع عن إشاعات حول عصيان، لكنه سمع أيضاً قائده يعلن بشكل واضح بأنه يأمر باتباع قرار الأمبراطور، وأنه لن يتساهل مع أي تصرف طائش من الحرس. وطالما أن موري هو القائد، فلقد رفض فوها أن يصدق أن الحرس قد يتورط فعلاً في أي نشاط تمرد أو عصيان. لذلك، قرر نقل ما سمعه من كوغا إلى القائد. كان الجنرال تاناكا ما يزال في مكتبه، وحين دخل فوها كان يتحدث إلى ضابط الركن الميجور جنرال تاكيشيما.

لم يعلّق تاناما على ما قاله فوها بشأن مكالمة كوغا. بدا أنه لم يعطِ وزناً للموضوع أكثر مما اعطاه فوها نفسه، لأنه يعرف الجنرال موري جيداً وبما يكفي، ولا يجد أي شكّ في اخلاصه أو رجاحة تفكيره. عاد فوها إلى مكتبه، وبعد دقائق قليلة فعل تاكيشيما نفس الشيء، من دون أن يتخذوا أي إجراء في مقر قسم الجيش الشرقي.

في مكان آخر، كان رئيس الأركان يجلس وراء مكتبه عندما سمع

طرقاً على الباب، وقبل أن يقول أي شيء كان الباب قد انفتح، واندفع الكولونيل ميزوتاني والليفتنانت كولونيل إيدا إلى الغرفة، كلاهما كان شاحباً وثائراً. أكد ميزوتاني هواجس تاكاشيما منذ أول كلمة قالها: «لقد قُتل موري!» ثم صرخ، «والحرس يحتلون القصر. لقد جئت إلى الجيش الشرقي بناءً على تعليمات،...» ثم سقط ميزوتاني مغشياً عليه.

استدعى الميجور جنرال تاكاشيما بعض الرجال ليعتنوا به، وطرح على أريكة في الغرفة المجاورة. قال: «الآن إذن!، علامَ كل هذا؟»».

انخلع قلب إيدا لهذا السؤال. حين دخلا مقر الجيش الشرقي، كانت في ذهنه فكرة الحصول على موافقة تاناكا على الانقلاب بعد أن يخفوا عنه حادث مقتل موري، إلاّ أن تصريح ميزوتاني المفاجيء أحبط هذه الخدعة، ليدرك أنه فعلاً تورط في مهمة حمقاء. وكطفل في دوامة الخيل[1]، أدرك أيضاً أنه لا مجال لوقف دورانها الذي لا معنى لدورانه إلى أن تنتهي الموسيقى.

بتردد، راح إيدا يستعرض مرة أخرى النتائج المرجوة من ثورة الجيش كله: تغيير القرار الأمبراطوري، استمرار الحرب، النصر أو على الأقل سلام بشرف، عزّة اليابان وشرف الجيش لا يُمسّان. كان واضحاً أنه في هذ الساعة الكئيبة من الصباح، اعتقد أن ما كان يقوله إعلان بوتسدام ليس أكثر مما قاله تاكاشيما، وعلى كل حال واصل بضجر: » الجيش الشرقي عليه أن يستجيب للخطة، سيكون جداً متأخراً بعد إذاعة القرار ظهراً. إذا اتخذ الجيش الشرقي موقفاً الآن، فكيان الدولة سيبقى مصوناً، العلاقة الطبيعية بين الأمبراطور والشعب ستُبعث، اليابان القديمة...» كان صوته يتضاءل تديجياً ورأسه ينخفض.

قال الميجور جنرال تاكاشيما: «ماذا تريدان من الجيش الشرقي أن يفعل بالتحديد؟»».

1- ارجوحة دمى الخيل للأطفال

«الموافقة على ما فعله الحرس» كان صوت إيدا قوياً هذه المرة، «وإرسال بعض الرجال للالتحاق بقوى القسم».

«لا أستطيع أن أفعل أي شيء بدون أمر من الجنرال تاناكا»، قال تاكاشيما. «أقترح عليك مناقشة الأمر مع الليفتنانت كولونيل ايتاجاكا، بينما أنقل الموضوع إلى القائد».

كان رئيس الأركان قد استُبدل بالليفتنانت كولونيل ايتاجاكا، أما إيدا فقد وصل إلى حدّ اليأس. فكر: كل شيء فشل، أعتقد أن صوت الأمبراطور هو القوة التي أطفأت روح القتال لدى الجيش الياباني مثل شخص يطفئ شمعة. بهذه السهولة! إذن، أليس من واجبي أن أحاول وقف التمرد، لمنع الجنود اليابانيين من أن يقتل أحدهم الآخر؟. وتساءل بحيرة، فيما إذا كانت لديه القوة لمباشرة مهمته الجديدة.

كان القصر الأمبراطوري الآن كله بأيدي الحرس المتمردين. شرطة القصر ألقوا سلاحهم، والقصر حوصر، وكل المداخل اغلقت، لكن لا أحد من وزارة شؤون القصر قد تنبه بعد إلى أن الأمبراطور كان بأيدي الرجال الذين أقسموا على حمايته بأرواحهم، وقرروا الآن تنفيذ التزامات أقوى. بعد أن رأى مدير دائرة الاستعلامات شيمومورا تسجيلات الأمبراطور وقد حفظت في مكان آمن برعاية الحاجب توكوغاوا، ذهب ليرتاح بتناول الشاي مع وزير شؤون القصر سوتارو ابشيواتناري. لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة له، من الاجتماع الأمبراطوري، إلى اجتماع مجلس الوزراء، والمؤتمر الصحفي، إلى نهاية تسجيل القرار الأمبراطوري قبل فترة وجيزة، لذلك قرر الذهاب إلى المقر الرسمي لرئيس الوزراء.

دخل السيارة برفقة سكرتيره نوبوماسا كاواموتو، وكان على وشك مغادرة القصر عِبر بوابة ساكاشيتا عندما اوقفت السيارة من قِبل جندي يحمل بندقية بحربة.

كانت صفارات الإنذار تدوي، ففكر شيمومورا أنها قد تفسر وجود

الجندي مع حربته. نظر الرجل إلى الداخل من خلال نافذة السيارة المفتوحة وسأل: «هل أنت مدير دائرة الاستعلامات؟».

«نعم» أجاب كاواموتو، الذي كان يجلس قرب النافذة. عند ذلك قفز الجنود على جانبي السيارة، وبينما هم يجردون حارسه الخاص من سلاحه، أخبروا السائق أن يعود إلى الخلف، ثم صاروا يوجهونه في عمق الظلام. كان كاواموتو مقتنعاً بأنهم سيقودون السيارة باتجاه الخندق المائي للقصر ويدفعونها إلى الخندق المائي، مع ذلك، بعد أن توقفت السيارة عند قمة تل صغير، أُمر شيمومورا وسكرتيره وحارسه الخاص والسائق بالنزول من السيارة.

فوق كوخ قديم علّقت قطعة خشبية كتب عليها (مقر كتائب فيالق الحرس) وأمام الكوخ يقف صفان من الجنود بحراب مشرعة، قال أحد العرفاء: «أنا سأقودكم بقية الطريق». سار العريف، والرجال الأربعة خلفه، إلى ثكنات صغيرة جرداء، مساحتها 15×12 قدم، مع صف من الأسرة النقّالة والطاولات ومقاعد على الجانبين، هناك طُلب من شيمومورا والآخرين أن يبقوا واقفين ولا يتحدثوا، ثم وقف العريف حارساً عليهم. بعد لحظات جيء بهاتشيرو اوهاشي، رئيس هيئة الإذاعة، وكنجيرو يابي من دائرة الشؤون الداخلية، ودياتارو اراكاو من الدائرة التقنيّة. بعد فترة وجيزة جاء الرجال الستة أعضاء فريق التسجيل والمهندس ناغاتوما، الذي اوقف بينما كانوا يغادرون القصر بحماية كاكي رئيس قسم الشؤون العامة بوزارة شؤون القصر. كان كاكي قد رفض بقوة أن يوضع تحت الحراسة وسار عائداً إلى مقره.

«بدون كلام!» كرر العريف بغضب، بينما كان الرجال يحيي بعضهم بعضاً ويحاولون معرفة ما يجري. أخيراً أصبح الموقوفون ستة عشر رجلاً، كلهم سجنوا في الثكنات، ينتظرون بصمت وهم مراقَبون من قِبَل حراس مسلحين. كانت النوافذ مغلقة ومغطاة بستائر سميكة، وبسرعة صارت الغرف حارة بشكل لا يطاق. «هل يمكننا على الأقل نزع جاكيتاتنا؟»، سأل كاواموتو أخيراً.

دخل جندي وألقى قلماً وورقة على الطاولة وقال: «اكتبوا أسماءكم ومناصبكم الرسمية، وانتبهوا! لا تخطئوا في شيء».

أخذ تاواموكو القلم وأدرج أسماء أولئك المتصلين بدائرة الاستعلامات، ثم كتب واحد من فريق الإذاعة أسماء مناصب جماعته، أخيراً جاء دور شيمومورا وسائقه، فأخذ الجندي الورقة.

دخل ليفتنانت ثانٍ وقال: «غير مسموح لكم بالكلام، وغير مسموح لكم بالتدخين. ويمكنكم الجلوس». إلاّ أن المقاعد لم تكن كافية لكل الرجال الستة عشر، فبقي بعضهم واقفاً. كانت الساعة الثانية تماماً.

15 آب

من الثانية إلى الثالثة صباحاً

«تبدو مثل السادس والعشرين
من شباط جديدة».

• غوتارو ايشيواتاري

استقبلت مكاتب صحف طوكيو الصباحية قضيتين في نفس الوقت. الأولى أتت من مراسليهم في مقر رئيس الوزراء، تحمل تفاصيل توقيع قرار الأمبراطور بإنهاء الحرب، مع شرط من الحكومة بعدم ذكر أي شيء من القرار قبل أن يذاع في الراديو الساعة الثانية عشرة ظهراً. القصة الثانية كانت بياناً يشير إلى أن الجيش الياباني في ثورة ضد الحكومة الخاضعة الجبانة التي اقنعت الأمبراطور بإنهاء الحرب. القصتان المتضاربتان وضعتا محرري طوكيو في مأزق. أياً منها يصدقون؟ أيهما أقرب إلى التصديق؟ والأكثر أهمية للجميع، أياً منهما لا يسبب نشرها الاحراج؟ لم يتوصل المحررون إلى حلّ كما حدث في أمر مشابه يوم السبت الماضي، إلاّ بنشر القصتين معاً.

السبت الماضي كانوا قد نشروا تصريح وزير الحرب الميّال إلى استمرار الحرب، بجانب تعليمات رئيس دائرة الاستعلامات بأن الحكومة قد تأخذ باعلان بوتسدام. الآن، من الصعب أن ينشروا جنباً

إلى جنب قصتين بأن اليابان في سلام وفي حرب، أي بأنها قبلت الاستسلام غير المشروط وفي نفس الوقت بأنها على وشك مهاجمة العدو من جديد وبقوة.

كان دوي صفارة الإنذار وانقطاع التيار الكهربائي عن العاصمة قد جعلا مهمة الصحفيين عسيرة، فعلى ضوء بعض الشموع قرأوا ثم أعادوا قراءة القصتين اللتين وصلتا، محاولين تقدير ليس فقط ما حدث، إنما ماذا يفعلون إزاءه أيضاً. البعض صدّق أن قصة انقلاب الجيش لابد أن تكون حقيقية، لأن الجيش الياباني لا يمكن أن يسلّم خاضعاً بهذه السهولة، البعض الآخر اعتقد أن إذاعة القرار خدعة من الجيش لإغراء جنود العدو بالاقتراب من الشواطئ اليابانية ثم القضاء عليهم. لكن من الصعب أن يكون هذا صحيحاً، كما أشار الفريق الثالث، لأن الحكومة هي التي ستذيع قرار الاستسلام وليس الجيش.

لكن، كيف يستطيع أي محرر أن يخمّن إي اجراء تأديبي قد يتخذه الجيش ضد الصحف التي تنشر القصة الخطأ وتفشل في نشر الصحيحة! لا تزال صحيفة أساهي، على ضوء بعض الشموع، تحضّر نشرتين، واحدة تُتلَف فور وصول التأكيدات، بينما جريدة يوميوري هوتشي رأت أن الأزمة التي تواجهها هي نفس الأزمة التي يواجهها البلد نفسه: هل هم في حالة حرب أم سلام؟

في المقر الرسمي لوزير الحرب، كان الجنرال أنامي يتحدث بهدوء لعديله الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا. كانا يجلسان على المائدة في غرفة المعيشة، يشربان الساكي ويأكلان طعاماً لاذعاً خاصاً يرافق نبيذ الساكي الدافئ، الذي يجده اليابانيون مريحاً حتى في ليالي الصيف، وفي طرف الغرفة وضعت بعض الأغطية على سرير الجنرال. على الرغم من أن تاكيشيتا لم يعد يشعر بأي رغبة للقيام بدور في الانقلاب المزمع، فقد وعد هاتاناكا بأن يأتي لرؤية وزير الحرب. والحقيقة أنه أراد رؤية أنامي ليكون معه خلال أكثر ساعات أنامي سوداوية. وكان عزم على مشاهدة

وجه أنامي أولاً، ثم يحدد إذا كان سيتحدث معه عن تمرد الجيش أم لا.

لكنه قبل أن يرى وجه عديله الجنرال، رأى وجوه حرسه وخادمته، التي أكدت هواجس تاكيشيتا، بأن أنامي يعتزم الانتحار الليلة.

كان تاكيشيتا قد طلب الاذن بالدخول إلى غرفة المعيشةِ، فسمع وزير الحرب يغمغم «لماذا بحق السماء جاء تاكيشيتا؟» ثم ارتفع صوت الوزير ليقول: «حسناً، تفضل! ادخل». كان أنامي يجلس على طاولة منخفضة عليها بعض الأوراق، ويحتسي الساكي من كأس صغيرة. كان من الصعب على تاكيشيتا أن يصدّق، بينما هو ينظر إلى عديله الهادئ، بصحته الوافرة، المتورد الوجه، أن هذا الرجل الذي قضى أياماً في العمل المرهق والكئيب محاولاً الحصول على أفضل ما يمكن لجيشه المهزوم، يفكر الآن بقتل نفسه.

«اجلس، اجلس» قال أنامي، وطلب من الخادمة أن تحضر كأساً أطول، إذ شعر بعدم قدرته في تلك الليلة على احتمال الكؤوس الصغيرة لاحتساء الساكي، الذي يتطلب التقليد أن يرفع الكأس بعد أن يملأه له رفيقه. طوى أنامي الأوراق الملقاة فوق المائدة ووضعها في خزانة صغيرة خلفه، وبعد أن صبّ لضيفه ولنفسه قال: «ربما تعلم، أنني قررت منذ فترة أن انتحر، وقد نويت أن يكون ذلك الليلة».

«نعم» ردّ تاكيشيتا، «علمت بعد ظهر اليوم عن قرارك. تحت مثل هذه الظروف، لن أحاول أن اثنيك عن ذلك».

«أنا سعيد لسماع هذا». قال أنامي، «عندما علمت بمجيئك غير المتوقع، خفت أنك ستحاول ايقافي. أنا سعيد كوني مخطئاً حول سبب مجيئك. فأهلاً بك. لقد أتيت في اللحظة المناسبة».

أعاد أنامي ملء الكأس واستمر يتحدث بلطف. بدا مقتنعاً أنه فعل أفضل ما بوسعه للجيش الذي عُهدت رعايته إليه، وللبلد الذي أقسم على الدفاع عنه، بدا أنه راضٍ عما فعل، مرتاحاً، وتقريباً جذلاً. أما تاكيشيتا، فقد صار حزيناً وأكثر قلقاً، كان يفكر بهاتاناكا، والثورة التي

خططوا البدء بها في الساعة الثانية، وكان يشعر بالذنب لأنه لا يفعل شيئاً ليوقف ما سينتهي بالفشل، وبموت أكثر. الآن، قرر أنامي أن يموت بهدوء وجلال، فهل يستطيع تاكيشيتا إعادته إلى الأرض مرة أخرى بسرد تفاصيل التمرد الصغير الدنئ في الجيش الذي حارب لأجله، والذي يستعد الآن للموت من أجله؟.

ضحك أنامي وقال: «هل تعرف! لقد أخذت حقنة الفيتامين الليلة، مثلما أفعل دائماً. حين سألتني الخادمة كان من الصعب أن أقول لا لأني سأموت. هل أستطيع الآن؟» هزّ تاكيشيتا رأسه، ثم قال: «هل قاطعتك بمجيئي؟ كنتَ تكتب شيئاً ما، أليس كذلك؟».

«آه، ذلك. لا، لقد انتهيت». استدار أنامي إلى الخلف حيث تناول صفحتين من الورق الياباني الثقيل من الخزانة، وبعد لحظة تردد سلمهما لتاكاشيتا. كانت الصفحتان قد كُتب عليهما بالحبر الهندي الأسود الثخين، وبخط اليد الشجاعة المألوف لوزير الحرب، كانت الأولى هذه القصيدة:

بعد تذوق نزعة الأمبراطور العميقة إلى الخير، لم يعد لدي ما يقال.

جنرال كويتشيكا

ليلة الرابع عشر من آب 1945.

الأخرى احتوت ثلاثة أسطر من الحروف اليابانية:

لجريمتي العظمى، أتوسل المغفرة عِبرَ الموت

كوريتشيكا أنامي، وزير الحرب.

ليلة الرابع عشر من آب 1945.

بدا لتاكيشيتا أنه فهم مغزى الاختلاف في التوقيعين، فبينما عارض وزير الحرب القرار الأمبراطوري، كان يأخذ على عاتقه كامل مسؤولية الجيش بعدم جرّ البلد إلى حافة الدمار. وكلمته الأخيرة، الخاصة، يجب

أن تكون محمّلة بالحب للعائلة الأمبراطورية، لكنها لم تكن كلمته الأخيرة على كل حال. فجأة أضاف بعض الماء إلى المحبرة، وأخذ الريشة، وكتب على ظهر الورقة:

أنا اؤمن بقدسية وخلود اليابان.

«إنها الحقيقة»، قال أنامي. «من مات قد مات، الأحياء يواجهون الصعوبات التي هي أبعد من قدرتنا على التكهن، لكن إذا عملوا معاً، وفعل كل منهم ما يقدر عليه، أعتقد أن اليابان ستكون آمنة».

ظل الرجلان صامتين للحظة. أفرغ أنامي كأسه، ثم، وبينما تاكيشيتا يملأه له قال: «أعرف. إنني خارج التاريخ، إنها الثانية الآن، واليوم هو الخامس عشر من آب، لكنني عزمت على الموت اليوم، أي عندما كان لا يزال اليوم الرابع عشر. لقد فكرت أول مرة بالموت في العشرين من آب، حيث عيد ميلاد ابني الثاني، إلاّ أنني خفت أن يكون يوم عشرين متأخراً كثيراً، وحيث الرابع عشر هو ذكرى موت أبي، فقد اخترته، إلى جانب أن إذاعة قرار الأمبراطور سيكون غداً ظهراً، وأنا لا احتمل سماعه».

أومأ تاكيشيتا برأسه من دون أن يقول شيئاً. كان يتمنى أن لا تكون هناك دموع في عينيه، لكن أمراً كهذا أبعد من قدرة أغلب الرجال على السيطرة عليه.

أفرد وزير الحرب ورقة أخرى، وقال بابتسامة: «سوف أؤرخ استقالتي في الرابع عشر...».

كان مقر وزير الحرب يحتل زاوية مثلث في مركز القصر الأمبراطوري. الزاويتان الأخريان كانتا مقر القسم الأول للحرس الأمبراطوري، ومقر القطاع الشرقي للجيش، وبينما كان الجنرال أنامي في حوار هادئ مع عديله وهما يحتسيان الساكي، فإن الزاويتين الأخرتين كانتا أكثر نشاطا.

في مقر الحرس، كان قائد كتيبة المشاة الأولى، الكولونيل واتانابه، قد

أُخبر شفهياً بأوامر (الاستراتيجية رقم 584) بواسطة الميجور كوغا، من دون أن يعلم بأن الأمر صدر بشكل غير قانوني بختم الجنرال موري بعد موته، لذلك كان على وشك أداء دوره في المؤامرة، فأمر جنوده باحتلال المناطق المحددة تحت قيادته، التي تشمل محطة الإذاعة اليابانية. أما في مقر الجيش الشرقي، فقد كان الميجور جنرال تاكاشيما، رئيس الأركان، يتخلص من عبء التعامل مع الليفتنانت كولونيل إيدا إلى الليفتنانت كولونيل ايتاجاكي، وذهب بنفسه لينقل الموضوع إلى تاناكا قائد القطاع الشرقي للجيش. ما إن سمع الجنرال تاناكا تفاصيل قصة إيدا، حتى قرر أن يذهب بنفسه مع ايتاجاكي إلى القصر ليمنع الضباط المتمردين من الاستمرار بخطتهم.

كان تاكاشيما يصر على القائد تاناكا أن ينتظر قليلاً إلى أن يصبح الموقف أكثر وضوحاً، وأن مقر الجيش الشرقي هو أفضل موقع لمعرفة مَن من الضباط كان متورطاً، وماذا يفعلون بالتحديد. وافق تاناكا على الفكرة، وطلب من تاكاشيما أن يبذل كل جهده للحصول على المعلومات المطلوبة بأقصى سرعة.

عاد تاكاشيما إلى الغرفة وأصدر أمراً عاجلاً إلى الكولونيل إينادومه، الذي كان قد جاء من غرفة علميات الدفاعات الجوية في تاكيهاشي، والليفتنانت كولونيل فوها، الذي كان قد تلقى المكالمة الأولى من الميجور كوغا، وإلى الليفتنانت كولونيل ايتاجاكي، الذي أقنع بعدئذٍ الليفتنانت كولونيل إيدا بأن يعود إلى القصر الأمبراطوري، وكصديق لهاتاناكا، أن يفعل ما يستطيعه لوضع نهاية لهذا التمرد.

عند هذه النقطة، كان الكولونيل تيساكو مينامي، قائد كتيبة المشاة السابعة للحرس، قد وصل إلى مقر الجيش الشرقي، وأخبر رئيس الأركان بأنه تلقى أمراً بالتلفون من قسم الحرس، ولان الأمر بدا له غريباً، فقد جاء أولاً إلى مقر الجيش الشرقي لتأمين موافقة القائد.

«ماذ أُمرتَ أن تفعل؟» سأل الميجور جنرال تاكاشيما.

«أن نحتل منطقة بوابة نيجوباشي» ردّ الكولولنيل مينامي «ونمنع أي اتصال بين القصر والخارج».

كانت هناك لحظة من الذهول والصمت في غرفة أركان الجيش الشرقي، فالخطوط الرئيسية للانقلاب المزمع صارت واضحة للجميع. كانت أول حركة مضادة لتاكاشيما هي الطلب من الشرطة العسكرية للجيش الشرقي (كيمبيتاي) إرسال قوة من الحرس حالاً إلى المقر، لترافق الجنرال تاناكا عندما قرر أن حضوره مطلوب في مشهد العصيان. بعد ذلك أمر الليفتنانت كولونيل فوها بأن يلقي نظرة على مقر قسم الحرس ويعود بأسرع ما يمكنه ليخبره بما يشاهد. ثم أصدر أوامره إلى كل القادة في وحدات الحرس بأن يرسلوا تقارير اللحظة إلى مقر الجيش الشرقي.

تقريباً في نفس الوقت، كان الليفتنانت كولونيل تسوكاموتو، من سلك الشرطة العسكرية الذي شعر يوم السبت الماضي بعدم رضا إيدا، كان قد سمع إشاعات عن موت موري، فأرسل بسرعة القائد كيمبتاي إلى مقر القسم ليتحرى صحة هذه الاشاعة، وفي نفس الوقت أصدر أوامر بإعلان حالة الطوارئ لكل الرجال الذين تحت قيادته.

بالرغم من أن صفارة الإنذار ما زالت تدوي، فإن معظم سكان طوكيو قد ذهبوا للنوم، بينما المدن المجاورة مثل كوماغايا كانت تلتهب، وطوكيو نفسها لا تزال بدون كهرباء، وقد بدا أن الملايين الجائعة، المرهقة، قد تحصل على الأقل على بعض النوم هذه الليلة.

في مركز المثلث، كان ثلاثة حجّاب، تودا، ميتسوي وتوكوغاوا، يتحدثون بهدوء، بعد أن اتفقوا على البقاء يقظين إلى أن تهدأ صفارة الإنذار، وحيث أنها لم تهدأ، ولم تبدُ أية إشارة عن عملية للعدو فوق طوكيو، فقد قرروا هم أيضاً أن يرتاحوا هذه الليلة. لقد كان يوماً طويلاً، ويبدو أنهم غير عارفين بأن القصر الأمبراطوري كان تحت الحصار، وأن وزير شؤون القصر اوقف عندما حاول مغادرة القصر عند بوابة اينوي، ثم سمح له بالعودة إلى وزارته!

ما إن عاد إلى مكتبه، حتى استبد القلق بالوزير حول شيمومورا والآخرين الذين غادروا قبل فترة، لذا أرسل سوزوموكاتو، رئيس دائرة الشؤون العامة، ليتحرى. إلاّ أن كاتو، حين توجه، برفقة ضابط من شرطة الوزارة، مباشرةً إلى مركز قيادة الحرس مثل أرنب غير حذر، وقع في الفخ، وحُجز هو والشرطي المرافق له.

بالرغم من أن هاتاناكا يعرف أن النجاح النهائي لخطته يعتمد، بشكل مؤكد، على محادثتين يأمل بأنهما تحققتا، الأولى بين إيدا والجنرال تاناكا، والثانية بين تاكيشيتا والجنرال أنامي، فقد أدرك أيضاً أنه لا يمكن تأجيل التنفيذ إلى أن يسمع شيئاً عن هاتين المحادثتين، لذلك، بعد أن أمر بوضع المدافع الرشاشة الخفيفة عند كل مدخل من مداخل القصر، بدأ باستجواب أسراه. سأل كاتو أين يمكن أن يجد وزير شؤون القصر والماركيز كيدو كاتم السر.

«الماركيز كيدو!» ردّ كاتو بهدوء، «شبه مؤكد أنه في مكان ما قرب الأمبراطور، خصوصاً في مثل الظرف الحالي. أما بالنسبة لوزير شؤون القصر، فإذا اتصلت بمقر الدفاعات الجوية بالوزارة سيخبرونك بلا شكّ. يبدو أن وقتاً طويلاً قد مرّ على آخر مرّة رأيت فيها الوزير، وهو محجوزٌ هنا بالقوة، كيف يمكنني أن أخبرك أين هو الآن؟».

ارتاح كاتو لمعرفته أن كلاً من كيدو ووزير شؤون القصر بأمان، إلاّ أن هاتاناكا لم يكن مقتنعاً بنتيجة الاستجواب، فعاد وبنفس الطريقة لسؤال الأسير الآخر، لكن كل ما استطاع تحديده هو أن الأمبراطور كان قد انتهى من تسجيل القرار، وأن لا أحدَ ممن في مركز القيادة يمكنه الحصول على التسجيلات، أو يملك معلومات عن مكانها. خلال ذلك، كان أربعة رجال في ملجأ وزارة شؤون القصر رابضين حول التلفون. كانوا، الوزير نفسه ونائب الوزير ورئيس القسم وسكرتير الوزير، يحاولون الاتصال بمقر الحرس الأمبراطوري.

كان الوزير يريد إبلاغ الجنرال موري بأن سوسومو كاتو من دائرة

الشؤون العامة بالوزارة قد فُقد، وأنه قلق بشأن شيمومورا والآخرين الذين اشتركوا بتسجيل القرار الأمبراطوري. كانوا عندما يتلقون الردّ من مقر الحرس لم يكن الشخص على الطرف الآخر يعطي إجابة مُرضية، لا يقول من هو، ولا يقول أين الجنرال موري.

تصاعد القلق في الملجأ، وكان سكرتير الوزير على وشك أن يحاول مرة أخرى، عندما دخل عدد من الجنود يضعون أشرطة بيضاء حول أكتافهم. «أوامر...»، قال الضابط المسؤول بطريقة فظّة، بينما قطع اثنان من الجنود كل أسلاك التلفون، ثم غادروا بدون أي كلمة أخرى.

خاف الرجال الأربعة، واتفقوا على أن ليس ثمة مهرب من هذا الملجأ، وهو أيضاً ليس بالمكان المثالي للبقاء فيه. قاد ايشيكاوا الوزير إلى الأعلى واختبأ معه في غرفة المناوبة الليلية، هناك همس ايشيكاوا قائلاً: «أخشى أن يكون ذلك انقلاباً عسكرياً. ألا يبدو لك ذلك؟».

«بدون أسئلة» قال الوزير، «فآمالنا بالسلام قد ذهبت. نحن بصدد متاعب، متاعب حقيقية». تنهد بعمق، ثم واصل في هدوء. «من الأفضل لك أن تذهب الآن، سأبقى أنا هنا، أنت شاب، لديك الحياة لتعيشها كما يحلو لك».

خاف ايشيكاوا كما كان قبل قليل، ولم يشعر أن باستطاعته ترك الوزير، قال: «سأبقى معك قليلاً».

» الأفضل أن لا تفعل»، قال الوزير. «يبدو أنها مثل حادثة 26 شباط مرة أخرى».

لم يكن الحاجب متسوي متأكداً فيما إذا كان في حلم أو لا، عندما سمع الهمس: «الحرس الأمبراطوري احتل القصر. كل أسلاك التلفون قُطعت». فنهض مجفلاً. كان الظلام يلف الغرفة. ثم يد تحذره أن يبقى هادئاً. «الحرس الأمبراطوري احتل القصر»، وكرر الصوت. «كل أسلاك التلفونات قُطعت».

تعرّف ميتسوي على الصوت، كان صوت نائب الوزير اوغانه. فكر، إذن الكلام لم يكن حلماً، كان كابوساً حقيقياً، فالكل يحمل مخاوفه عميقاً في قلبه، ولا يجرؤ أحد على تصديق ما حدث. أول ما فكر به ميتسوي هو إيقاظ الحاجب تودا، الذي كان نائماً في الغرفة المجاورة، إلاّ أنه خاف أن يتحرك، فقد تجمد النخاع في عظامه، وساقاه لا تقويان على حمله، ثم فجأةً انفتح الباب، ودخل رجل ثالث. كان تودا.

لكن الأمر لم يكن ليُصدّق. هل تحوّل حرس الأمبراطور ضده؟

بغتة، مزق الصمت صرير عجلات سيارة في الخارج. ثم سُمع وقع خطى قوي على الممر الرملي، وصوتاً هائجاً يصدر الأوامر. أطل الرجل من النافذة، فوجد كل الجنود في الخارج من أعضاء الحرس الأمبراطوري، وقد لبسوا الأشرطة البيضاء على أكتافهم، وحرابهم المشهرة تلمع في الظلام.

15 آب

من الساعة 3 إلى 4 صباحاً

«لقد فات الأوان على القيام بأي شيء الآن».

• الماركيز كويتشي كيدو

بينما استمر وقع الخطى والصراخ بالأوامر، زحف الرجل الهادئ، ضعيف النظر، في الممرات المظلمة للوزارة إلى الغرفة التي ينام فيها توكوغاوا. أيقظه ونقل إليه الرسالة المرعبة، ثم تسلل إلى الغرفة الصغيرة حيث ينام اثنان من المعاونين. ما أن عرفا بما حدث، حتى ذهبا على الفور إلى غرفة رئيس المعاونين هاسونوما. في البداية كان ردّ فعله عدم تصديق ما سمع، قال: «لكن موري نفسه أخبرني أن الحرس مضمون، وأخبرني أيضاً أنه ربما يأمر بتبديل المناوبات بشكل غير متوقع، ربما هذا ما سمعته».

«أخشى أن لا»، قال أحد المعاونين. «الحراس احتلوا القصر ونزعوا سلاح الشرطة، وقطعوا الاتصال بالخارج. لا أحد يستطيع الدخول أو الخروج. وهكذا، فنحن جميعاً في سجن هنا، بما فينا الأمبراطور!».

ارتدى هاسونوما زيّه الرسمي، وذهب الرجال الثلاثة في التو إلى مكاتبهم، لقد أمِلوا أن يستطيعوا الاتصال بوزارة الحرب، أو بمقر رئيس

الأركان، مع ذلك، وكما اعتادوا أن يفعلوا مع تلفونات القصر، أداروا الرقم (5) عدة مرات، لكنهم لم يتمكنوا من سماع أي شيء. خلال ذلك، وهو يقوم بايقاظ بقية الحجّاب والمعاونين، قرر ميتسوي أن واجبه التالي أن يحاول الوصول إلى الأمبراطور، لتحذيره وليوفر له الحماية، لكن لم يجد مجالاً للنفاذ خلال صفوف الجيش الذي تمترس في البوابة الأمامية للوزارة، لذا تسلل بصمت عبر القاعات المظلمة إلى الباب الشمالي، لكن، ومع أول خطوة في الليل المدّلهم، واجه جندياً بحربته المشرعة، فكاد يغمى عليه.

«ارجع!» أمره الجندي غاضباً.

بعد أن أغلق ميتسوي باب الوزارة خلفه، ظل يرتعش للحظة، ثم أخذ طريقه خلسه حول البناية مستطلعاً، ثم عاد مرة أخرى، مثل سلحفاة إلى صدفتها. كانت الوزارة مطوقة بالحرس المسلحين من كل الجهات. بدا له كأن ساعات طويلة مضت منذ أيقظه نائب الوزير، لكنه عندما نظر إلى ساعته اكتشف أنها كانت خمسة عشر دقيقة فقط، لأن الساعة كانت الثالثة وخمس دقائق.

نادراً ما كان وزير الحرب يسكر، لكن يبدو أنه شرب كمية كبيرة من الساكي هذه الليلة. لاحظ تاكيشيتا أن خديّ أنامي قد توهجتا، وربما خداه هو أيضاً، كما يحدث عادةً لليابانيين عندما يشربون الكحول.

«أتعرف»، قال تاكيشيتا فجأةً «إن هاتاناكا ينوي القيام بحركة هجومية لاحتلال القصر، ثم يحاول تحريض الجيش على العصيان لكي يواصلوا الحرب!».

لم يتغير تعبير أنامي، لكنه علّق قائلاً: «هكذا إذن؟ لكن الجيش الشرقي لن ينضم إلى التمرد».

خشي تاكيشيتا أن يؤثر كلامه على وزير الحرب، لكن بدا أنه لم يقدّر قوة قرار الموت. غداً سيكون يوم الفوضى والبلبلة، فسمعة الجيش قد تلطخت ومجده تبدد، إلاّ أن أنامي لن يكون هناك ليرى.

ترجّل الليفتنانت كولونيل إيدا من سيارته أمام مركز قيادة الحرس، وكان قد تقابل مع الميجور جنرال هاتاناكا. كان إيدا حائراً كيف سيواجهه بالأنباء السيئة التي يحمل، وما إن رأى بريق الأمل في تلك العيون الثائرة حتى شعر بتراخٍ أكثر تجاه الانقلاب الذي أُجبِرَ على الاشتراك فيه. لكن هاتاناكا لم يكنً بحاجة لأن يُخبر. فهو أيضاً، وبينما جاء مباشرة لتحية إيدا، كان قد قرأ تعابير وجهه.

«إنتهى كل شيء»، قال إيدا باحباط. «لم تكن هناك فرصة. الجيش الشرقي مختلف معنا تماماً. إذا قمت باحتلال القصر، ستجد نفسك تخوض معركة ضد الجيش الشرقي كله».

«أنا غير خائف من خوض المعركة،» قال هاتاناكا. «قمت باحتلال القصر، والامبراطور خلفي، فماذا هناك لأخشاه؟ حتى لدي بعض الأسرى»، ضحك ثم قال «من ضمنهم شيموموورا».

«لا تكن أحمق!»، صرخ إيدا. «كيف يمكنك مقاتلة الجيش الشرقي؟ أنت لا تملك حتى الانسجام مع الحرس! وعندما يسمعون نبأ موت موري، سيقفون كلهم ضدك، ألا تفهم هذا؟».

حدّق هاتاناكا بإيدا في صمت، وبينما الكلمات الغاضبة تتدفق، بدت عيناه مثل الجمر. بعد لحظة حاول إيدا اقناعه فقال: «اسمعني، هاتاناكا. اسحب الجنود قبل الفجر. دعنا نتحمل النتائج معاً. لن يكون الأمر خطيراً، سيقول الناس إنه حلم منتصف ليلة صيف[1]. سيكونون مشغولين جداً بالاستسلام، على أية حال، ليفكروا بانقلاب لم ينجح. هل تفهم، هاتاناكا؟».

أرخى الميجور كتفيه، وقال بصوت ضعيف للغاية لا يكاد يُسمع: «نعم. نعم أفهم». على الرغم من ذلك، قرر إيدا أن ينقل أخبار احتلال القصر إلى وزير الحرب، فصعد سيارته، وعندما أدار المحرك قال برفق لهاتاناكا: «تذكر، قبل الفجر...».

1- إشارة إلى مسرحية شكسبير الشهيرة، التي تجري أحداثها في ليلة واحدة كأنها الحلم.

إلاّ أن هاتاناكا، الذي غادره إيدا الآن، ليس بالرجل الضعيف أو الانهزامي، فمع أن العاصفة صارت بالفعل خطيرة، ظل مقتنعاً بصحة ما يفعل. وهو يعتقد طالما أن هدفه حماية الأمبراطور، فسوف يستمر بلا هوادة ضد أعدائه من اليابانيين، إضافة إلى أنه والمتآمرين معه لم يرتكبوا أية أعمال عنف خلال الساعتين الماضيتين، لقد قطعوا الأسلاك وأغلقوا كل المداخل المؤدية إلى القصر، واحتجزوا حوالي عشرين رجلاً، وسيكون سعيداً إذا احتجز اثنين آخرين، كاتم السر ووزير شؤون القصر، لكن، وبعد موت موري الذي لم يكن ممكناً تجنبه، وموت شييرايشي الذي وقع صدفةً، شعروا أن أيديهم ما زالت نظيفة.

بعد مغادرة إيدا، اجتمع هاتاناكا بكوغا وشيزاكي، وقرروا الاستمرار باحتلال القصر، ومواصلة البحث عن أشرطة التسجيل في كل غرفة فيه إلى أن يعثروا عليها، حينها سيتمكنون من تأخير البث، أو حتى إلغائه، وبالتالي يحصلون على وقت إضافي يحتاجونه لتعزيز مطالبهم.

أخبر الحاجب توكوغاوا وزير شؤون القصر بأنه يعرف مكاناً أفضل للاختباء من غرفة المناوبة الليلية، وعاد بعد لحظة بمفاتيح وقاد الوزير مع اثنين من سكرتيريه واثنين من الشرطة إلى أعلى، حيث غرفة تستخدمها السيدات أثناء الانتظار. هناك فتح خزانة عبرها ممر خفي يؤدي إلى غرفة تحت الأرض، وقال: «هنا، لن يجدوننا أبداً».

استدعى الميجور كوغا مدير الإذاعة لاستجوابه، وسأله بحدّة: «هل نجحت بعمل تسجيل جيد للامبراطور لدى قراءته القرار؟».

«نعم»، قال يابي، «لقد نجحت».

«أين هي؟».

«عند وزير شؤون القصر».

«متى ستذاع؟».

«غداً ظهراً. أي اليوم» كان يابي يشعر بالعرق يتصب على وجهه وعنقه.

«من أين؟ من الوزارة أم من محطة الإذاعة؟».

«المحطة».

«فلماذا إذن تركتها في الوزارة؟» كان هذا على ما يبدو السؤال الأهم الذي وصل إليه كوغا.

أجاب يابي بصدق: «البث ادرج على الجدول في الساعة السابعة صباحاً، لكن لاحقاً تم تغييره إلى الظهر. فقررنا أن من الأفضل عدم نقل التسجيلات في منتصف الليل وخلال الغارات المحتملة، لذلك فقد سألنا الوزارة أن تحتفظ بها. هذا كل شيء».

«هل أنت متأكد أن التسجيلات الآن عند وزير شؤون القصر؟» سأل كوغا ليتأكد.

«نعم».

ظل كوغا صامتاً للحظة، ثم استدعى ضابطاً وطلب منه أن يقود يابي إلى الوزارة ليبحث عن التسجيلات، وأضاف: «واعتن بها جيداً عندما تجدها. إنها قيّمة جداً». والحقيقة أن المتآمرين قد عهدوا بهذه المهمة إلى ضابط صغير اعتقد أن مهمته الرئيسية هي احتلال القصر، وليس حيازة تلك التسجلات ولا تغيير رأي اليابان بشأن مواصلة الحرب. كان الحصول على التسجيلات ثانوياً للهدف النهائي.

في الخارج اصطف حوالي اربعين جندياً، رماحهم مثبتة على خصورهم. مشى يابي أمامهم في ظلال الليل، يتبعه الضابط، إلى المدخل الرئيسي لوزارة شؤون القصر. وبينما هو يمشي، كان يحسد الجنادب التي تتقافز مبتهجة بحرية وبراءة على الأشجار.

«عبيء البندقية!» صرخ الضابط. سمع يابي طقطقة الزناد. «ادخل!». بدأ البحث في الوزارة.

بعد فترة قصيرة، علم الحاجب تودا أن المتمردين لم يكونوا يبحثون عن وزير شؤون القصر فقط، إنما عن كاتم سر الأمبراطور أيضاً، فذهب من فوره إلى غرفة الماركيز كيدو في الطابق الثاني. أخبر كيدو بما حدث وتوسل إليه أن يغادر مقره الآن ويجد مكاناً آخر في البناية ليختبئ فيه.

ابتسم كيدو وقال: «ما خفنا منه قد حدث، أليس كذلك؟. لكن أي حمقى هؤلاء! لقد فات الأوان على القيام بأي عمل الآن!».

«سواء كانوا حمقى أو لا، فهم يحملون مسدسات ويستطيعون قتلنا. لا تنسَ حادث السادس والعشرين من شباط!».

هزّ كيدو كتفيه وقال: «ماذا نستطيع أن نفعل؟».

«نستطيع أن نختبئ. فإذا لم يستطيعوا العثور علينا لن يقتلونا».

«أين نختبئ؟».

«فكرت في مكان. مكتب الطبيب».

لكن، وبينما كانا يلتمسان طريقهما في الظلام، توقف كيدو فجأةً وقال: «لقد تركت بعض الأوراق في غرفتي، لا أريدها أن تسقط بأيدي المتمردين، سأعود لجلبها».

عاد تودا معه، سمعا جلبة أقدام في الطابق السفلي، أخذ كيدو الأوراق معه إلى الحمام وراح يمزقها. قال: «من الأفضل أن نتخلص من الأوراق الأكثر أهمية».

كان تودا يساعده، إلاّ أن العملية بدت بطيئة، فخاف من وصولهم قبل الإنتهاء منها، لكنهما أخيرا إنتهيا وأخذ تودا كيدو إلى مكتب الطبيب. هناك تنفسا بارتياح.

في مقر الجيش الشرقي، كان قادة الحرس يحررون التقارير بناءً على التوجيهات. هناك استلموا الأوامر التالية:

1. قائد قسم الحرس الأمبراطوري الأول قتل على يد أحد الضباط المتمردين.
2. قسم الحرس الأمبراطوري الأول سيبقى تحت قيادة الجيش الشرقي إلى أن تصل أوامر أخرى.
3. الأوامر الصادرة من قسم الحرس الأمبراطوري بتاريخ اليوم تعتبر مزورة ولاغية.

4. كل الجنود المحيطين بالقصر الأمبراطوري يؤمرون بالتفرق.

عندما عاد الحاجب تودا إلى غرفة الماركيز كيدو، رأى ضابطاً يحمل سيفه بيده ومعه دزينة من الجنود المسلحين. قرر تودا أن يواجه قاتليه، لذا ترك فكرته الأولى بالعودة إلى الغرفة لاستطلاع الأمور الأخرى من باب الفضول. كانت الأرض متسخة بالورق.

«من أنت؟»، صرخ الضابط.

«أنا حاجب»، ردّ تودا.

عاد الضابط إلى يابي، الذي لا يزال تحت الحراسة، وسأله: «هل التسجيلات لدى هذا الحاجب؟».

هزّ يابي رأسه وقال: «لا، ليس هو. لا أعلم من الذي أخذها». كان هذا هو الجواب الذي أعطاه عدة مرات خلال بحثهم في الوزارة. عاد الضابط إلى تودا وسأله: «أين التسجيلات؟ أين كيدو؟ أين ايشيواتاري؟» هزّ تودا كتفيه قائلاً: «كيف يمكن لشاب مثلي أن يجيب على أسئلة كهذه؟».

لم تكن عملية البحث عن التسجيلات سهلة لمجرد معرفتهم أنها موجودة في وزارة شؤون القصر، لسبب واحد أن البناية كانت عبارة عن متاهة من الغرف الصغيرة والممرات الضيقة المتشابهة، إضافة إلى أن الغرف كانت تحمل أسماء قديمة لا يفهمها أيٌ من الجنود. كانت الوزارة بالنسبة لهم مثل بلد أجنبي، ليست لديهم أي فكرة أي الغرف خاصة بالموظفين وأيها خاص بالحجّاب، ولا لديهم أدنى فكرة عن أن المخازن التي كانت تستخدم لحفظ الشراشف أصبحت الآن، في حالة الطوارئ الراهنة، تستخدم لحفظ الأوراق والوثائق المهمة.

كانت وزارة شؤون القصر عبارة عن مجموعة مبانٍ معقدة تحيط بمبنى المكتب الرئيسي. ولتعقيد الأمور فإن مقر الحجاب وموظفي القصر الآخرين كان في مبنى من ثلاث طوابق ويقع بجانب منحدر ويدخل من الخلف، ذهب الجنود مباشرةً إلى الطابق الثالث، وكان الظلام قد ضاعف من صعوبة مهمتهم.

بعد أن هرب تودا من فريق البحث، وجد الحاجب توكو غاوا فشجعا الماركيز كيدو على الخروج من مكتب الطبيب والنزول عبر غرفة الانتظار في الطابق الثالث، ثم إلى غرفة تحت الأرض حيث يختبئ وزير شؤون القصر مع سكرتيره وحرسه. بذلك فإن شخصين مستهدفين في عملية البحث صارا الآن بأمان.

عندما وصل الليفتنانت كولونيل ايتاجاكي وزير شؤون القصر والليفتنانت كولونيل فوها إلى مقر الحرس، وجداه يغط في ظلام دامس، بينما صافرة الإنذار ما تزال تدوي. وكضباط أركان في الجيش وقد تعهدا بقمع التمرد، لم يشعرا بالارتياح بدخولهما مقر المتمردين لوحدهما وبدون أي ضوء يستهديان به، إلاّ أن رئيس الأركان نفسه كان قد أمرهما بتحري الموقع، فلا خيار لهما إلاّ تلمس طريقهما في الممرات المعتمة. كانوا يُعرقلون بين حين وآخر.

في غرفة أركان القسم، كان ضابط شاب يجلس على المكتب منغمراً في الكتابة. كانت الغرفة مضاءة إضاءة باهتة بواسطة مصباح صغير مغطى بغطاء داكن. توجه فوها نحو المكتب وعرّف بنفسه وأراد معرفة ماذا يجري. دفع الضابط الشاب كرسيه إلى الخلف ونهض، فسقط الكرسي محدثاً جلبة، فوضع يده على مقبض سيفه مع تقطيبة مهدِّدة. كان فوها وايتاجاكي على وشك قبول التحدي، عندما أدركا أنهما أُرسلا للتحقق من موت موري، وليس للاشتباك مع ضابط من المتمردين، الذي كان، وإن لم يتعرفا عليه في ذلك الوقت، أحد قادة التمرد وهو الميجور ساداكيتشي ايشيهارا. لقد كان المسؤول عن متابعة اتصالات القسم مع الخارج وتوجيه تحركات الفوج الأول.

عندما حاول ضابط أركان الجيش الشرقي دخول غرفة موري، رفض الحارس الواقف عند الباب أن يدعهما يمرّان، إلاّ أن ايشاهارا، الذي تبع الضابطين، أمر الحارس بالتنحي جانباً. كان موري يرتدي الزي العسكري العادي، غارقاً في بركة من الدم أمام مكتبه، وثقوب الرصاص

في صدره، وكان كتفه قد قطع بالسيف، وشيرايشي في زيه الرسمي وهو مقطوع الرأس، جسده والأرض من حوله والجدران فوقه كانت كلها ملطخة بدمائه.

لم يجد فوها وايتاجاكي نفسيهما قادرين على الحركة أو الكلام، بينما كانا يحدّقان إلى جثتي رفيقيهما المشوهتين.

«أريد أن أسألك خدمة» قال الجنرال أنامي، فأومأ تاكيشيتا برأسه.

«إذا لم أنجح في قتل نفسي، فهل يمكنك أن تقتلني برصاصة الرحمة؟ لا أعتقد أنني سأحتاجها، إذ اعتقد أنني قادر على قتل نفسي».

ظل تاكيشيتا صامتاً.

أحضر أنامي خنجرين قديمين، كانا من كنوز العائلة منذ زمن بعيد. سحب واحداً منهما من غمده ومرر أصابعه على حافته. «هذا الذي سأستخدمه» قال أنامي. بالنسبة له كجندي، تقاليد شرف الجيش تقتضي أن لا يستخدم سيفه الخاص. أعطى الخنجر الآخر لتاكيشيتا وقال: «احتفظ بهذا»، وبينما كان يعيد ملء الكأس بالساكي قال: «نخب ذكراي».

ظلّت ملاحقة التسجيلات مستمرة، ومنذ الآن كان جماعة الشريط الأبيض قد وصلت إلى درجة عالية من الانفعال والشعور بالاحباط بسبب متاهة وزارة شؤون القصر، وبطء الحركة، مما أثار الحجّاب. فلم يعد الجنود يكتفون بفتح أبواب الغرف من مقابضها، بل صاروا يرفسونها بأقدامهم، ويسحبون الجوارير بعنف ويلقون بمحتوياتها على الأرض، لهذا انقطع الحجّاب عن الاتصال بالعالم، ولم تعد لديهم أدنى فكرة عمّا يجري خلف الخندق المحيط بالقصر، أو في الحقيقة حتى خلف البناية حيث يُحتجزون، لكن دون أن يفقدوا ثقتهم وهدوءهم أو احساسهم الواضح بالانفصال عن هذه الأمور البشعة التي تحدث حولهم في القصر، وما جعل الأمور فعلاً محبطة بالنسبة للجنود، أن كل موظفي الوزارة، من الوزير إلى أصغر موظف، بمن فيهم الحجّاب، كانوا يلبسون نفس الزيّ الأزرق الداكن الذي يُلبس في أوقات الحرب،

الشيء الوحيد الذي كان يميّزهم هو عدد النجوم والخطوط التي يعلّقها الموظف على بدلته، فبدا الجنود غير قادرين على تمييز أحد عن الآخر.

عندما استجوبوا يابي مرة أخرى عن تودا، ردّ: «لا، لا، الرجل الذي أخذ التسجيلات كان أطول وأنفه أكبر». ومع أن تودا كان أطول الحجّاب، فإن الجنود قبلوا جواب يابي ومضوا يبحثون باحباط متزايد وأعصاب منهكة.

كانت الحقيقة أن الأمور لم تسر على ما يرام اطلاقاً بالنسبة لهاتاناكا ورفاقه المتمردين، ليس فقط لفشلهم في العثور على التسجيلات، لكن لأن أي كلمة لم تأتِ بعد من وزير الحرب. هل سيقتنع بالوقوف إلى جانبهم بكل قوته ونفوذه؟ هناك نتائج مهمة لا تزال غائبة في الصمت لتاكيشيتا، بينما كان الجنرال تاناكا قد أعلن موقفه ضد التمرد، واتخذ بالفعل خطوات لقمعه.

الآن ظهرت عقبة أخرى، فقد بدأت شكوك الكولونيل هاغا، قائد كتيبة المشاة الثانية. لقد أخبره هاتاناكا أن وزير الحرب في طريقه إلى القصر ليسأل الأمبراطور حول مراجعة القرار، بينما كوغا كان قد أكد له بأن الجنرال موري كان متعاطفاً مع الخطة، وكان على وشك إصدار توجيهات بهذا الشأن. مرّت ثلاث ساعات، وحتى الآن لم يظهر أنامي ولا موري!

صارت نبرة هاغا أكثر حدّة وهو يسأل هاتاناكا من جديد: «أين وزير الحرب؟ لماذا لم يأتِ بعد؟ ماذا حدث؟».

نظر هاتاناكا إلى كوغا، الذي عاد تواً من مهمة فاشلة بالنسبة لمقر الحرس الأمبراطوري. كانت تلميحاته غير مطمئنة، لكن ليس أمام هاتاناكا إلّا الاستمرار في الطريق الذي خطّه لنفسه. قال: «سأتصل الآن. لا أدري فيما إذا كان الجنرال أنامي قد غادر بعد أم لا!».

مع ذلك، صار كوغا يعي أن الكولونيل هاغا لم يعد مقتنعاً بالتأكيدات التي يكتشف زيفها في كل لحظة.

«لقد مات الجنرال موري» قال كوغا. «يجب أن يتولى الكولونيل قيادة الحرس».

«أنا؟» قال هاغا وهو يضيّق عينيه. «لماذا أنا؟ لماذ ليس رئيس الأركان؟».

فشلت تلميحات كوغا في مواجهة تلك العينين الضيقتين. قال: «رئيس الأركان في مقر الجيش الشرقي، إنه يحاول اقناعهم بالانضمام إلينا».

لم يكن هاغا مقتنعاً، فقال: «لقد قلتَ إن الجنرال موري مات. كيف مات؟».

نظر كوغا بعيداً، وبيأس.

«لقد سألتُ كيف مات الجنرال موري؟» عاد هاغا يسأل بالحاح. «الميجور كوغا يعرف حتماً. ماذا كان سبب موت الجنرال موري؟ أنا مصرّ أن أعرف».

لم يكن هناك ردّ، فانتهت المحادثة بتلك الملاحظات غير الحاسمة. أو كانت حاسمة! إذا كان هاغا مصراً على معرفة تفاصيل موت الجنرال موري، سيجدها عاجلاً، وحينها سيسحب نفسه من المتآمرين، فهل كان تمرد الجيش قد انتهى أصلاً؟ هل كان المتمردون الوحيدين الذين لا يعون فشلهم؟

كان الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا، تاركاً رفقة الكأس مع الجنرال أنامي، قد استدعى إلى غرفة أخرى، حيث كان الكابتن ارويهارا بانتظاره. قال تاكيشيتا وهو يبتسم بثقة: «أرسلني الميجور هاتاناكا لإبلاغ الليفتنانت كولونيل بأن الأمور تسير كما خُطط لها».

«هذا هذا صحيح؟» سأل تاكيشيتا. «فهل وافق الجنرال موري إذن؟».

«في الحقيقة لا» قال اويهارا. «لم يوافق لذلك قتله الميجور هاتاناكا. والكولونيل قُتل أيضاً. كل شيء يسير بشكل رائع!».

فكر تاكيشيتا بشكل آخر، لكن على ضوء حالة اويهارا وابتهاجه، لم يقل شيئاً.

واصل اويهارا: «نحن لا نعلم بشكل مؤكد بعد ماذا سيكون موقف الجيش الشرقي، لكنهم بلا شك سينضمون إلينا قريباً».

لا، لن ينضموا إلينا، فكر تاكيشيتا. إن أنامي على حق، الجيش الشرقي لن يتمرد. الأمل الوحيد للمتمردين الآن هو أنامي نفسه. إذا أصدر أمراً يقول فيه إن الجيش غير راضٍ عن قرار الاستسلام، حينها سينهض الجيش ويلتحق بالمتمردين. لكن كيف أسأل أنامي عن هذا؟

سأل اويهارا: «هل لديك أية رسالة أنقلها إلى الميجور هاتاناكا؟».

ابتسم تاكيشيتا وقال: «ليس بعد».

شاهد تاكيشيتا اويهارا يعود متوجهاً إلى الغرفة بينما عديله ينتظر، يشرب الساكي ويأكل بعض الطعام. كان الجنرال ينتظر الوقت الذي يتوقف فيه عن الشرب. وقف تاكيشيتا خارج الغرفة للحظة، وفجأة أدرك كم كان مهماً أن يعي الآن وجود فرصة لنجاح الانقلاب. لأول مرة شعر باحساس عميق بالمسؤولية تجاه المتمردين. كيف يتخلى عن هاتاناكا في مثل هذه اللحظات؟ سوّى كتفيه وعاد لينضم إلى وزير الحرب.

الآن، حيث يبدو أن الحرس لم يجدوا لا التسجيلات ولا الأشخاص الذين ارادوهم، فإن حاجبيّ الأمبراطور، تودا وتوكوجاوا، ركّزا جهودهما على الوصول إلى الأمبراطور نفسه. توجد ثلاث طرق للخروج من وزارة شؤون القصر إلى الغوبنكو: الأول أن تأخذ الطريق العريض المؤدي إلى بوابة اينوي، ثم تستدير ناحية اليمين، الطريق الثاني من بوابة الحديقة الداخلية إلى الكاشيكو دوكورو (قاعة العبادة الأمبراطورية)، والثالث كان الطريق الجديد من خلال نفق الموميجياما عِبر خندق دوكان.

من المؤكد أن طريق بوابة اينوي سيكون تحت مراقبة المتمردين، بينما بوابة الحديقة الداخلية حاول ايدا وتودا استخدامها من قبل وأُعيدا، مما ترك طريق النفق وحده، وهذا أيضاً، حسب كلام الحاجب، سيكون تحت سيطرة الحرس.

نظرا من خلال النافذة، أشجار حديقة فوكياجة كانت معتمة في الليل. وبالرغم من أن الغوبنكو كان قريباً، فليس هناك مجال لمعرفة إذا كان الأمبراطور قد تعرض للازعاج من قِبل المتمردين أو ما يزال نائماً لا يعرف أن قصره قد عُزل عن العالم. كل أسلاك الهواتف قُطعت، لا توجد هناك وسيلة للاتصال، ولا أي رسول ليُبعث. قرر الحاجبان أن يحاولا الخروج بنفسيهما، كان واجبهما واضحاً، وليس من المستحسن الانتظار أكثر وسط هذا الغموض، فأخذا مصباحاً صغيراً وذهبا. كان توكوغويا في المقدمة.

كان خندق دوكان تقريباً جافاً، مع برك صغيرة فقط تعكس بصيصاً شاحباً من الضوء. تساءل تودا عن مصدر هذا الضوء، إذ لم يكن هناك قمر. كان الحرس يقفون عند بوابة تسويو، وبدون أن يعطيانهم فرصة إعاقتهما، قال تودا بصوت مرتفع: «نحن حجّاب الأمبراطوريين، في مهمة عند الغوبنكو. هل تسمحون لنا بالمرور؟» بعد لحظة من التردد، تنحى الحرس جانباً، فواصل الحاجبان طريقهما باتجاه الغوبنكو، من دون أن يقولا أية كلمة.

كان الأمر بهذه السهولة! تنهد الحاجبان بارتياح، لكن فيما بعد سيكون الأمر مختلفاً، إذ كيف يستطيع المرء معرفة ماذا يمكن أن يفعل الجنود طالما تمردوا ضد السلطة التي جعلتهم جنوداً؟

كان الغوبنكو غارقاً في الصمت والظلام وسط الأشجار الطويلة المحيطة، وبينما تودا وتوكوغاورا يمران عبر المدخل الشرقي، شاهدا الحاجب ايري، الذي كان في مناوبة تلك الليلة. بدا نائماً في مركز المناوبة. كان ارتياحهما العميق من أن كل شيء على ما يرام تبعه هياج غاضب، إذ كيف يجرؤ آيري على النوم بعد كل هذه المتاعب التي واجهوها خلال الساعتين الماضيتين!

هزّاه بعنف لايقاظه، وصرخا بحدّة: «كيف تنام في وقتٍ كهذا؟».

بعد أن سمع آيري قصتهما، قادهما في اللحظة إلى الحاجب ناغازوجي، الذي كان مناوباً في قاعة الاستقبال، بعد ذلك إلى تاكيو

هوشينا موظف غرفة انتظار السيارات. أخبروهما أن لا حاجة لايقاظ الأمبراطور الآن، وعندما يستيقظ يطللعانه على ما حدث. وفي الحقيقة، كان الأمبراطور مستيقظاً، وكانت غرفة نومه مجاورة للغرفة التي اجتمع فيها الحجّاب، وعلى الرغم من أنهم كانوا يتحدثون بصوت منخفض قدر استطاعتهم لكي لا يزعجونه، فقد سمع صوتهم، مع ذلك لم يبدِ أية إشارة إلى أنه كان مستيقظاً، لأنه لم يرغب أن يسبب متاعبَ لا ضرورة لها. لقد استلقى مصغياً لوشوشات الأصوات المختلطة.

قرر الحجّاب وضع حواجز حول كل أبواب الغوبنكو، ويحكموا إغلاق النوافذ باقفال حديدية. إلاّ أن كل الاقفال قد صدئت بسبب عدم استعمالها لسنوات طويلة، لذا لم يتمكن الحجّاب من اغلاقها. في الأخير استدعوا اثنين من الحرس الشباب الأقوياء، وبينما كان آيري يراقبهما وهما يمشيان حول المبنى ويضعان الحواجز حول النوافذ، فكر بأن هذه التحصينات ليست ضد جنود العدو، إنما ضد الجنود اليابانيين، ولمنع الحرس الأمبراطوري نفسه، فأية مفارقة هذه!

أخيراً، أخبر تاكيشيتا مضيفه بأمر اغتيال الجنرال موري. كان وزير الحرب على وشك أخذ رشفة من الساكي، لكنه توقف الآن، بقي الكأس بيده كما لو أنه تحول إلى حجر، ثم بشهقة، أنزل الكأس ووضعه بحذر على الطاولة المنخفضة أمامه وقال بحزن: «شيء آخر أعتذر له».

15 آب

من الساعة 4 إلى 5 صباحاً

«اقتلني بكل سرور، لكن لا أدري ماذا ستجني من ذلك؟».

• يوشيهيرو توكوغاوا

في الرابعة صباحاً، سمعت الآنسة ريكو ياسوكي، موظفة التقنية في هيئة الإذاعة اليابانية، وقع خطى ثقيل في الشارع العريض المقابل لمبنى المحطة، ولأنها تعرف أن الأمبراطور قد أنهى عملية التسجيل وأن القرار سيذاع اليوم ظهراً، خافت أن يكون ما تسمعه صوت خطى جنود العدو. ركضت إلى النافذة وحاولت اختلاس النظر خلال الستائر القاتمة في الطابق الثالث حيث تعمل. شعرت بالارتياح عندما رأت، تحت بصيص أشعة الفجر الأولى، أن الجنود يرتدون الزيّ العسكري الياباني، فعادت إلى عملها مطمئنة القلب.

في نفس الوقت، كان 37 رجلاً يسرعون باتجاه طوكيو قادمين من يوكوهاما، في شاحنة وسيارة خاصة عبر الطريق السريع رقم 2، ثلاثون منهم يرتدون الزي الرسمي للجيش الأمبراطوري وخمسة كانوا طلاباً، واثنان أعضاء جمعية شباب يوكوهاما. كانوا جميعهم يطلقون على أنفسهم (جمعية الريح الوطنية المقدسة - كوكومين كاميكازي تاي)،

وقد استخدموا الأسم كاميكازي لأنهم أيضاً كانوا متعطشين للموت في سبيل وطنهم وفي سبيل الأمبراطور: السبب هذه المرّة هو استمرار الحرب. كانوا مسلحين بالمسدسات، والسيوف، واثنين من المدافع الرشاشة الخفيفة، وكان يقودهم الكابتن ساساكي من حرس ياكوهوما، وكان هدفهم العاجل المقر الرسمي لرئيس الوزراء، الذي كانوا يريدون اغتياله كخطوة أولى في حملتهم لتحرير اليابان. إذا كانوا محظوظين، سيجدون مجلس الوزراء في الاجتماع، وهم قادرون على اغتيال عدد منهم في وقت واحد.

يكنُّ الكابتن ساساكي كرهاً خاصاً لرئيس الوزراء، الذي يراه خائناً، حيث تذكر تصريح سوزوكي حين شكّل وزراته في السابع من نيسان، قبل أربعة أشهر فقط، وقال إنه كان مستعداً لأن يموت في الدفاع عن بلده، وعندما صار في الخط الأمامي، كان يتوقع أن يندفع المئة مليون يابني بقلوب جريئة فوق جثته، لتأمين سلامة الأمبراطور والأمة. الآن صار ساساكي مستعداً ومتشوقاً لأخذ رئيس الوزراء عند كلمته، ليندفع فوق جثته لشن المعركة الأخيرة لليابان.

أن رفض التعاون بين قيادته العليا ومرؤسيه، جعل ساساكي يتدبر مسألة اقناع ثلاثين جندياً للانضمام إليه بأسلحتهم، وبالرغم من أنه قد رآهم من قبل، فقد كان متحمساً لقيادة أي شخص مستعد لأن يتبعه. أما بالنسبة لمجموعة الطلاب من كلية يوكوهاما الهندسية، فقد دعاهم في خطبة حماسية إلى التضامن المدني مع الجيش «لحماية اليابان، باستمرار الحرب تحت النظام العسكري في هذا الوقت، حيث الحياة أو الموت...» فحصل على خمسة متطوعين.

تلك الحمولة الضئيلة كانت مجرد بداية، حيث كانت الشاحنة والسيارة ترتجّان على الطريق السريع المليء بالحفر نحو طوكيو، هدفهم الأول. في المقر الرسمي لرئيس الوزراء، كان ساكوميزو نائماً، بعد يوم شاق وطويل، وبينما كان يستلقي بانتظار النوم أن يأتيه، لم يكن واثقاً من

أن اليوم القادم سيكون أقل إرهاقاً أو مشقّةً، لكنه على الأقل أحرز هدفه الذي حارب من أجله. بالنسبة له لم يكن ذلك يوم الهزيمة، بل إنه اليوم الذي إنتهت فيه الحرب، اليوم الذي توقفت فيه الغارات الجوية، اليوم الذي توقف فيه دمار شعب اليابان، وأرض اليابان، اليوم الذي سيبدأ فيه إعادة بناء ما دُمِّر. هناك الكثير مما يجب فعله! جفل دماغه المرهق بينما كان يفكر، مسبقاً، بالعديد من المشاكل وكيفية حلّها، إلاّ أن الطبيعة الرحيمة قامت بدورها، فغلبه النوم.

في ذلك الوقت، كان الجنرال أنامي يستعد لنوم أطول. لقد لفّ رباطاً قطنياً أبيض حول بطنه، وأبقى الجزء الأعلى من جسمه عارياً.

«هل لديك أية رسالة، تحب أن أنقلها إلى عائلتك؟» سأل تاكيشيتا.

أومأ وزير الحرب برأسه ثم قال: «أخبر زوجتي بأنني جداً ممتن لها، وأن ثقتي بها مطلقة. كانت رائعة. نعم، أياكو كانت رائعة. لدي ثلاثة أولاد، أستطيع أن أموت بسلام. أخبر كوريتاكا بعدم التسرع. أنا لا اعبأ بالموت حيث سأذهب إلى حيث ذهب كورياكيرا».

ملأ تاكيشيتا الكأس بالساكي.

أكمل أنامي: «اذكرني لدى أوميزو وسوزوكي». توقف قليلاً ثم سمى عدداً من الأصدقاء، فقام تاكيشيتا بكتابة أسماءهم على دفتر ملاحظاته، ثم سأل: «وماذا عن يوناي؟».

كان لون وجه وزير الحرب المحمر من النبيذ قد تحوّل إلى لون الغضب العميق: «اقتله!» صرخ. «اقتل يوناي!».

لم يندهش تاكيشيتا لهذا الهياج، لأنه يعلم كم يكره أنامي وزير البحرية بسبب شخصيته المتضاربة، خصوصاً في رأيه حول مسألة إيقاف الحرب في الأيام الأخيرة. لذلك لم يقل تاكيشيتا شيئاً، وكان الصراخ «اقتله» يتردد عبر الغرفة التي تفوح برائحة الساكي الدافئ.

عاد تودا وتوكوغاوا إلى وزير شؤون القصر وهما يحملان أخباراً

بأن كل شيء على ما يرام في الغوبنكو. صعد تودا إلى مكتب الحجّاب، بينما واصل توكوغاوا سيره ليخبر المعاونين. قالوا إنهم ارتاحوا الآن لمعرفتهم أن الأمبراطور في أمان، لكنهم طلبوا من توكاغوا أن يغادر، لأنه كان يتحدث بصوت مرتفع. استجاب تاكوغاوا، وكان يفكر في داخله أن المعاونين، بعد كل شيء، هم رجال عسكر أيضاً، فهل يستطيع أي شخص أن يعرف ما في قلب الجندي؟

«قفْ!».

أطاع تاكوغاوا، مفكراً أنه قد يكون يعرف صوت الملازم الذي رآه أثناء عودته من الغوبنكو.

أمر الضابط الحارس الواقف في الممر أن يحضر له ناكوغاوا، فبدأ هذا يدفعه ببندقيته. مع أن الحاجب كان نحيفاً، إلاّ أنه لم يكن جبانا. «ماذا يعني هذا؟» سأل ناكوغاوا. «أنا غير مضطر للذهاب إلى أي مكان معك!».

«هذه أوامر» قال الملازم بفظاظة. كانوا يقفون تحت غرفة الغوسيمو، التي جرت فيها عملية تسجيل قرار الأمبراطور، وكان عدد من الضباط والرجال الآخرين يركضون في الأعلى ولأسفل، فقد أصبح البحث عن التسجيلات مسعوراً.

«إذا كانت لديك أية أسئلة، فاسأل هنا!» قال ناكوغاوا.

«نحن نسأل عن تسجيلات الأمبراطور» قال الملازم، «وأنت تعلم أين هي، وتعلم أين كيدو أيضاً، أليس كذلك؟».

«كيف لي أن أعلم». كان ناكوغاوا يقف وظهره إلى جدار الممر، يحرك يديه لتأكيد كلامه. «كيف لي أن أعرف أين هي؟».

جاء اثنان من الضباط، قال أحدهما: «لا يهم. أي شخص لن يجيب على الأسئلة، اقتله!».

«حاضر!» قال الضابط الآخر. «أقتلُه».

«اقتله!، اقتله!» بدت في ترنيمة مرعبة، إلاّ أن صوت ناكوغاوا كان ثابتاً حين صرخ: «اقتلني بكل سرور. لكنني لا أدري ماذا ستجني من ذلك!».

«إنه على حق» قال الضابط. «فقط سيلطخ دمه سيوفنا. دعه يعش».

ذهب الضباط الآخرون في طريقهم، تاركين ناكوغاوا مع الملازم، الذي بدأ يشرح بغطرسة أهمية احتلال القصر مؤقتاً. كان مثل جدال الجيش عام 1936: الأمبراطور مضلَّل من قبل الأشخاص المحيطين به، وعدم طاعة الأمبراطور مؤقتاً أمر ضروري، بعد ذلك يستتب النظام الياباني القديم الحقيقي.

«هل تمتلك الروح اليابانبة الحقيقية؟» صرخ الضابط بوقاحة. توقف اثنان من الجنود ليستمعوا.

ردّ ناكوغاوا غاضباً: «أنت لست الشخص الوحيد الذي يحاول حماية البلد! أنا حاجب في خدمة الأمبراطور، وأفعل ما بوسعي لخدمته. علينا جميعاً أن نعمل معا لـ...».

لم يضف أي كلمة اخرى، وإذا بلكمة قوية على وجهه، ليسقط على الأرض وقد تكسرت نظاراته تحته. لقد أعطاه الجيش الردّ.

أوقف الليفتنانت كولونيل إيدا سيارته أمام مقر وزير الحرب ثم قفز خارجاً منها. كان قد مُنع من دخول المبنى بواسطة ضابط غير مفوض من سلك الشرطة العسكرية، كان يقف للحراسة خارج المبنى، أخبره أن لا أحد يستطيع الدخول لأن وزير الحرب يستعد لقتل نفسه.

كان إيدا على وشك العودة إلى السيارة، عندما فُتح الباب وخرج الليفتنانت كولونيل تاكيشيتا، الذي جاء يتحرى بعد أن سمع صوت السيارة. كان تاكيشيتا محمر الوجه لكنه ليس أشعث مثل إيدا، الذي ينضح وجهه بالعرق، وبدلته مبللة ومختلطة بالغبار من القيادة في شوارع المدينة. كان ضوء الفجر يبزغ بقوة من الأفق الشرقي، بينما الرجلان

يحييان بعضهما بنبرة تسودها الكآبة، ثم قاده تاكيشيتا إلى حيث وزير الحرب، هامساً بأنه لم يخبر أنامي بشأن هاتاناكا. من الواضح أن تاكيشيتا شعر بأن اللحظة لم تكن مناسبة لإدخال وزير الحرب في مثل هذه الأمور المزعجة من العالم الذي كان على وشك مغادرته.

توقف إيدا للحظة، إذ رأى، عِبر الممر المؤدي إلى الغرفة، أنامي عارياً من خصره إلى الأعلى، راكعاً على الحصير، فاختلطت الدموع بالعرق فوق خدي إيدا. كان الشعور بالذنب جزءاً من حزنه، إذ تذكر دوره في أحداث الليلة. لا شك أن وزير الحرب يعتقد أنه بموته ستنتهي معارضة الجيش للاستسلام.

«أهلاً، إيدا»، نادى أنامي بلطف. «تفضل، تفضل».

دخل إيدا إلى الغرفة وركع على ركبتيه.

«تعال أقرب!».

وهو لا زال على ركبتيه، تحرك إيدا إلى الأمام إلى أن صارت ركبتاه تقريباً تلاصقان ركبتي أنامي.

«لقد قررت أن أنتحر»، قال أنامي. «ما رأيك؟».

صمت إيدا للحظة. كان تاكيشيتا على حق من أن أنامي يجب أن يموت بسلام، فعلى الرغم من أن إيدا كان يتساءل فيما إذا لم يكن أنامي قد سمع بعد بحادثة احتلال القصر، أو فيما إذا لم يكن هذا هو السبب الذي يدفعه لقتل نفسه باسرع وقت ممكن، آملاً أنه بموته سيمنع ثورة عامة في الجيش، التي سيكون احتلال القصر أمراً تافهاً بالقياس إلى النتائج التي ستترتب عليها، فقد ردّ قائلاً: «إنه عمل مجيد».

«أنا سعيد بسماع هذا» قال أنامي.

لم يستطع إيدا قول أكثر من ذلك في تلك اللحظة، إذ كانت العبرات تخنق صوته، ثم غمغم: «سأتبعك...!». إلاّ أن وزير الحرب قاطعه بصوت مجلجل: «لا تكن أحمق».

شعر إيدا بصفعة قوية على وجهه، تلتها صفعة أخرى، وحين فتح عينيه وجد وزير الحرب يبتسم له. «لا أريد أن اسمع منك هذا مرة أخرى» قالها أنامي بصوت أبوي. «لا داعي لأن تموت أنت. موتي أنا فقط كاف ووافٍ. هل تفهم؟».

حضن أنامي إيدا بقوة بين ذراعيه، وشعر إيدا بدموعه تسقط على الصدر العاري لوزير الحرب. «هل تفهم؟» كرر أنامي. «يجب أن لا تموت، هل تفهم؟».

كان إيدا لا يزال مصراً على الانتحار، وليشرح ذلك عليه إذاً أن يخبر أنامي عن هاتاناكا، وقد وجد ذلك مستحيلاً. «نعم» قال. «أفهم».

«جيد، هذا جيد» قال أنامي. «يجب أن تبذل جهدك للمساعدة في إعادة بناء اليابان، ففي ذلك شجاعة أكثر مما في الموت!» فهم إيدا معنى كلامه، إنه بدون الشجاعة على العيش والعمل من أجل يابان أفضل، لن يكون إيدا قادراً على مواجهة أسلافه، ولن يكون قادراً على منع أطفاله من احتقاره.

«الآن، تعال» قال أنامي. «استجمع نفسك، ولنشرب نخبنا. لا أدري بعد كم من الزمن سيكون كأسنا القادم – في مكان آخر». ضحك من قلبه على مزحته تلك. شاركه الآخران، واستؤنف الشرب، واحمرّ وجه أنامي المستدير أكثر. «إذا شربتَ أكثر من اللازم»، قال تاكيشيتا بنبرة قلقة. فربما تنزلق يدك، وربما لن تنجح في قتل نفسك».

«لا تقلق»، قال أنامي بلطف. «لم أسكر بعد. إلى جانب أن الشرب يساعد، لأنه ينشط الدورة الدموية فيتدفق الدم بسرعة. ولا تنسَ أني مبارز! من الدرجة الخامسة. لا. لا. لن أفشل. اطمئن!» كانت ضحكات أنامي الصافية ترنّ في المكان، وابتسم ضيفاه، كما يتطلب الاتيكيت.

عاد ضابطا أركان القطاع الشرقي للجيش، فوها وإيتاجاتي، إلى مقرهما لاطلاع رئيس الأركان الميجور جنرال تاكيشيما على الموقف في قسم الحرس الأمبراطوري. أحس تاكيشيما أنه كان على حق عندما

نصح الجنرال تاناكا بالتريث قليلاً قبل إتخاذ أي اجراء، الآن، وكنتيجة لما سمعه، أوضح لتاناكا ضرورة الاتصال حالاً بالكولونيل هاغا، قائد الفوج الثاني، إذا كان هذا ممكناً. لحسن الحظ كان الاتصال ممكناً، بسبب خطأ هاتاناكا بالسماح بإبقاء خط التلفون مفتوحاً بين مقر الجيش الشرقي و مركز قيادة الحرس.

بعد عدة محاولات فاشلة، استطاع تاكاشيما التقاط الخط، الذي كان مشوشاً جداً، وكان هاغا على طرفه الآخر، ولم يكن أيٌ منهما يسمع الآخر بوضوح، فظل الجنرال تاكاشيما يكرر لعدة مرات بأن الأمر الذي صدر موقعاً ومختوماً من موري ما هو إلاّ تلفيقاً كبيراً من كوغا، وأن الجنود المحيطين بالقصر يجب أن يتم تفريقهم، وأن يُرسل الساعي حالاً إلى مقر الجيش لتسلم أوامر جديدة.

«أنت لست لوحدك، أليس كذلك؟» صرخ تاكاشيما في التلفون.

ردّ هاغا بأن هاتاناكا يقف إلى جانبه...

«دعني أتحدث إليه» قال الجنرال.

على الطرف الآخر أخذ هاتاناكا السماعة. قال: «الميجور هاتاناكا يتكلم. أتوسل إليك يا رئيس الأركان أن تتفهم موقفنا. فرجالنا متحمسون ومتشوقون لـ...».

قاطعه تاكيشيما صارخاً: «أنا أتفهم. لكن ذلك لم يعد مجديّاً، موقفك لا أمل من ورائه، فأنت لوحدك، الجيش الشرقي لن يشترك معك. ربما تعتقد أنك نجحت لأنك سيطرت على القصر مؤقتاً، لكنك مهزوم، أنت مثل جندي يحاول الدفاع عن موقع ميئوس منه في كهف، حيث لا منفذ يقود إلى الخارج. اسمعني جيداً! لا تقم بأي عمل طائش، لأنك حينها فقط ستضحي بحياة آخرين بلا فائدة. أنا أحترم مشاعرك الخاصة كفرد، لكن كضابط في الجيش يجب أن تطيع الأمبراطور. القيمة العليا في اليابان هي الطاعة! هل تسمعني، ميجور؟».

«نعم جنرال، أسمعك! لكن دعني أفكر! جنرال!

«نعم؟»».

كان صوت هاتاناكا يعلو بعصبية وهياج: «لدي طلب واحد، جنرال، قبل أن يُذاع قرار الأمبراطور، هل أستطيع الحصول على عشردقائق فقط على الهواء لشرح موقفنا؟ السبب الذي دفعنا للقيام بذلك والهدف الذي لا زلنا نأمل بالفوز به!... عشر دقائق، هذا كل ما أريده، فقط عشر دقائق لنتحدث إلى الشعب، بتصريح من الجيش الشرقي!».

ردّ تاكاشيما: «أنت لا تزال تحاول التمسك بموقع يتعذر الدفاع عنه، ألا تفهم ذلك؟ لا يوجد أمل مهما حاولت. الشيء الوحيد الذي تستطيع أن تفعله الآن هو التأكد من عدم وجود المزيد من الموت غير الضروري بعد الآن. هل فهمت ذلك، ميجور؟».

لم يردّ هاتاناكا. وضع السماعة واستدار إلى هاغا، كان وجهه شاحباً كالأموات، وقد بدت الدقائق القليلة التي أمضاها على التلفون كأنها سنوات عديدة. لقد رأى أن كوغا وشيزاكي قد انضما إليهم، لكن بالنسبة لهاغا فهو ما يزال يبحث عن تفسير ودعم.

لم يستطع هاغا أن يخفي غضبه، قال: «الآن فهمت» ثم صرخ وهو ينظر إلى الضباط الثلاثة. «لماذا لم يأتِ الجنرال أمامي. كنتم تكذبون عليّ كل الوقت. هذا عصيان، وأنا لا أريد أن أكون طرفاً فيه. إذا كنتم ستستمرون فيه، عليكم قتلي أولاً، أنتم...».

«خونة» كانت الكلمة التي أوشك أن يقولها، لكنه تراجع، نظر إلى الرؤوس الثلاثة المنحنية أمامه وقد غشاها الصمت. لقد فشلت خططهم، رغم انهم كانوا مصرّين على التضحية بأنفسهم، لكن، عليهم أن يتعلموا أن الآلهة لا تُقهر.

أمر الكولونيل هاغا الميجور هاتاناكا بمغادرة القصر الأمبراطوري. رفع هاتاناكا رأسه وحدّق بوقاحه إلى الكولونيل. كوغا وهو يراقب

الموقف، أدرك ماذ يحدث بالنسبة لهاتاناكا، فهو من الرجال الذين يزداد حماسهم إلى القتال حالما يعرفون أن العالم كله ضدهم. كان مثل حيوان محصور في زاوية، على وشك مهاجمة خصمه مهما كان حجم القوة التي تقف ضده.

بدأت زرقة السماء تتكشف عن السماء الرمادية الداكنة، والحمرة التي تتوهج في الشرق راحت تسطع، بينما الشاحنة والسيارة تتوقف بهدوء أمام مقر رئيس الوزراء، وينزلق منها في هدوء السبعة والثلاثون أعضاء جمعية الريح الوطنية المقدسة. أمر الكابتن ساساكي بنصب المدفع الرشاش أمام مدخل المبنى المظلم الصامت، وأمر باطلاق النار.

كوجيرو أكاباتي، سكرتير دائرة التخطيط، كان أول من استيقظ في الدائرة. نظر من النافذة إلى الخارج ليرى أشخاصاً بالزيّ الكاكي يطلقون النار على المبنى ويسمع صوت الرصاص يضرب الجدران. ساكوميزو، سكرتير مجلس الوزراء، قفز من سريره على هذا الصوت معتقداً أن العدو هاجم طوكيو، لكن أخاه الأصغر هسيسايوشي جاء راكضاً إلى الغرفة ليقول أن القوات المهاجمة يابانية. ومتذكّراً حادثة 26 شباط، فكر ساكوميزو أولاً أن عودة رئيس الوزراء إلى بيته الخاص يدعو للارتياح، وثانياً أنه سيكون فعلاً قصير النظر إذا عاش خلال فترة الحرب ليُقتل على أيدي الجنود اليابانيين بعد إنتهائها.

تسلل مع أخيه وشرطي للحماية عبر النفق الأرضي باتجاه باب الطوارئ في الخلف، وحين رآهم اكاباني المختبئ في الملجأ من خلال النافذه، شعر، كما قال بعدئذٍ، كما لو أنه يشاهد فيلماً سينمائياً. المهاجمون، بعد أن رشّوا المبنى برصاص المدافع الرشاشة، اندفعوا إلى البوابة الأمامية وأمروا الحارس المناوب بإفساح الطريق، وما إن فعل، حتى همس للكابتن: «أنا معكم، يجب تصفية الخونة. إن سوزوكي في بيته في مارویاما، اذهب هناك وعليك به!».

بدهشة وامتنان، عبّر الكابتن عن شكره. سكب بعض الزيت على

سجاد الممر وحاول اشعال النار فيه، لكن الزيت كان ثقيلاً، فلم يشتعل من الشرارة الأولى، وعندما اشتعل في الأخير أمر ساساكي رجاله بالعودة إلى الشاحنة والسيارة، واتجهوا ناحية ماروياما. إلاّ أن توموساتو، مساعد قسم الشؤون العامة، بقي في المبنى، وتحت توجيهاته أطفأ الحرس النيران بسرعة.

لم يكن المقر الرسمي لرئيس الوزراء الهدف الوحيد ذلك الصباح، في الرابعة والنصف كان الحرس في اكاساكا حيث مقر كيدو، قد هوجِمَ بدون إنذار سابق من قِبل مجموعة من سبعة رجال، وقد جُرح أحد الحراس نتيجة القصف الوحشي. كان المهاجمون، الذين صُدّوا في النهاية، من أعضاء قسم الشرطة السرية في الكيمبتاي.

في نفس الوقت، وعلى بعد ميل ونصف فقط باتجاه المدينة، كان ضابط ورجال الفوج الأول من الحرس الأمبراطوري يحاصرون مبنى الإذاعة، الجنود كانوا يقفون عند كل المداخل، ولا أحد يستطيع الدخول أو الخروج، حسب أمر الميجور كوغا رقم 584.

عندما ذهبت ريكو ياسوكي إلى الاستديو رقم 13، اندهشت حين وجدت ضابطاً وجندين يحاولون استعمال المعدات في غرفة البثّ. قال الضابط بطريقة جافة: «سنبث على الهواء. أعدّي الترتيبات اللازمة لنبدأ البثّ حالاً». بعد ذلك بقليل، دوت صافرة إنذار أخرى من قطاع الجيش الشرقي عبر مكبرات الصوت.

«غير مسموح لنا البث خلال الإنذار»، قالت الآنسة ياسوكي.

«عليك اللعنة!»، صرخ الضابط، فهربت الآنسة ياسوكي.

في الاستديو رقم 1، احتُجزَ قرابة الستين موظفاً من محطة الإذاعة ممن كانوا في المناوبة تلك الليلة. ياسيو ياناجيساوا، مساعد مدير قسم الأخبار المحلية، نظر إلى الأعلى من مكتبه ليجد مسدساً مصوباً إلى وجهه، بينما الضابط يطلب تعاونه في انجاز البث. إلاّ أن ياناجيساوا أحسّ بأن الضابط نفسه كان مرعوباً مثله، وأنه كان يسأل أكثر من كونه

يأمر بالتعاون، ولن يتفاجأ إذا لم يحصل على التعاون. بعد دقائق قليلة، استطاع أحد الموظفين في قسم الأعمال، اساكورا، تدبّر طريقة للخروج من المبنى، ركض عبر الشوارع المقفرة، مع أولى اطلالات الفجر، إلى فندق داياتشي، حيث يقيم تاكيمارا تاكاهاشي، رئيس قسم الأخبار.

إذا احتِلَ مبنى الإذاعة، فإن تسجيل الأمبراطور لن يُذاع، كما رأى تاكاهاشي، وإذا لم تتم إذاعة التسجيل، فالاحتمالات المتوقعة ستكون مرعبة، وتبعاتها خطيرة. إن أهم شيء الآن، حسب تاكاهاشي أيضاً، هو إبلاغ رئيس هيئة الإذاعة اليابانية حالاً، لكن رئيس هيئة الإذاعة لم يعد من القصر يعد، وما لم يكن تاكاهاشي يعرفه، إنه قد حُجز بالقوة.

ركب مورناغا قطار ياماتي في محطة شيمباشي.

في القصر، لا يزال البحث مستمراً، لكن الموقف أصبح أكثر وضوحاً مع ضوء النهار. خطوط التلفونات ما تزال سليمة، وكان هناك خط مباشر بين معاوني البحرية، القائد نودا والملازم فوروكاوا، كان نودا قد نقل أخبار مقتل موري واحتلال القصر من قِبَل الحرس الأمبراطوري لفوروكاوا، فوعد هذا بانفراج قريب.

انتشرت الأخبار بسرعة، أخبر ناكامورا الحاجب توكوغا بأن النجدة في الطريق، ثم نظر إلى وجه الحاجب الشاحب، وأوصاه أن يأخذ حذره من الجنود، قال: «لقد جُنّوا!».

«إنها خسائر حرب دنيئة»، ردّ توكوغاوا ببرود.

«هل الوزير وكاتم السر بخير؟»، سأل ناكامورا.

«بالتأكيد هما بخير»، قال الحاجب. «لقد خبأناهما، لكن لن أخبرك أين».

«لا يهم»، قال ناكامورا. «الجنرال تاناكا سيكون هنا قريباً، وسينتهي كل شيء. كل شيء سيكون على ما يرام».

15 آب

من الساعة 5 إلى السادسة صباحاً.

«هــذا مــا وصلــت إلــيــه! لم يخطر لي أبداً أني سأعيش لأدرك ذلك...».

• ياسوهيدو تودا

قبل الخامسة بقليل، ظهر الميجور هاتاناكا نفسه في هيئة الإذاعة اليابانية، يرافقه ليفتنانت ثانٍ وجنديين. لم يجد أية مشاكل في عبور الحرس الأول حول المبنى، حيث أمرهم بنفسه، ثم توجه مباشرةً إلى الاستديو رقم 2، ملوّحاً بمسدسه. سواء فقد أم لم يفقد القصر، فسوف يعرض موقفه أمام الشعب الياباني، يسألهم عدم قبول الاستسلام غير المشروط الذي فُرض عليهم من قِبل الخونة المحيطين بالامبراطور، ويطلب منهم مقاومة تقلبات التاريخ العنيفة. لكن المذيع تاتينو كان عنيداً مثل هاتاناكا: سوف لن يسمح بوضع الميجور المتهور على الهواء، حتى لو اضطر إلى إلغاء نشرة الساعة الخامسة، وحتى لو يعرّض حياته للخطر.

«لكن صافرة الإنذار ما تزال تدوّي»، قال تاتينو. «لا نستطيع البث أثناء الإنذار بدون موافقة خاصة من الجيش الشرقي».

«غير معقول!»، هاتاناكا يعرف أن هذه الموافقة لن تأتي.

«بجانب ذلك»، أكمل تاتينو بهدوء، محاولاً تجاهل جنون الرائد المسلحّ. «إذا كان البث سيغطي كل القطر، فعلينا أن نخبر بقية محطات الإذاعة في كل البلد مقدماً. هذه أمور تقنية».

شاهد هاتاناكا مذيعاً آخر يجلس للتو أمام المايكرفون، ربما لقراءة نشرة أخبار الخامسة، فسأل نفسه لماذا لا يأخذ مكانه؟ وكان الجواب: لا عائق على الإطلاق.

بالمسدس في يد، والنصّ الذي أعدّه للبث في اليد الأخرى، نظر هاتاناكا بغضب إلى تاتينو، محاولاً تغيير رأيه.

في الساعة الخامسة وعشر دقائق، وصل الكولونيل تسوكاماتو إلى مقر الحرس بصحبة معاونه، و المقدّم فوها رئيس الأركان، والقائد تاناكا من الجيش الشرقي. كان تاناكا قد قبل نصيحة رئيس المتمردين قبل طلوع النهار، لكن الشمس الآن بدأت ترتفع في الأفق الشرقي: لقد حان الوقت لوضع نهاية لهذه التفاهات.

تحول الليل الحار إلى نهار أشد حرارةً، وكانت الرطوبة مرتفعة في الأساس.

ضباط ورجال الحرس الأمبراطوري الأول مسلحون بالكامل، وعلى وشك مغادرة القصر بأمر من الكولونيل واتاناي، امتثالاً للأمر رقم 584، فاندهش واتاناي من رؤية سيارة الجنرال. قفز الجنرال فوها خارجاً منها وصرخ: «صاحب السعادة القائد!».

أسرع واتاناي إلى السيارة ورافق تاناكا إلى مكتبه، هناك علم لأول مرة وأصيب بالرعب لدى سماعه نبأ موت الجنرال موري، وأن الأوامر التي كان واتاناي على وشك تنفيذها كلها مزوّرة. فقال إن الأوامر صدرت إليه من قبل الرائد ايشيهارا، في الغرفة المجاورة.

أمر الجنرال تاناكا بحضور ايشيهارا. كان وجه الميجور شاحباً وشفتاه مطبقتين بقوة. صاح تاناكا المقدم ووجهه غاضباً: «كيف تجرؤ؟. أنت

ضابط في الجيش الأمبراطوري الياباني. كيف تجرؤ على عصيان أوامر الأمبراطور؟ ما فعلته اليوم يعتبر خيانة عظمى!»

لم يقل ايشيهارا شيئاً، لم يقل أي عذر أو تبرير، كان صمته يعبّر عن رغبته بالإقرار بالذنب، واستعداده لقبول أي عقاب مهما كان.

«ضعه تحت الحراسة»، صرخ الجنرال. فسلّم فوها ايشيهارا للرقيب المناوب من الكيمبيتاي. أفاق ايشيهارا من حلمه بالنصر والمجد ليجد نفسه ليس أكثر من مجرم.

عندما سمع الحاجب تودا أن الجنرال تاناكا في طريقه إلى القصر، قرر إبلاغ الحاجب آيري بذلك حالاً. مرة أخرى أخذ نفس طريقه إلى الغوبنكو عبر نفق موميجياما، لكن هذه المرة أخذ حارساً معه، وحين وصل إلى بوابة موكياجي اعترضه أحد الضباط كما كان يتوقع. قال: «أنا الحاجب تودا في مهمة رسمية إلى الغوبنكو. لطفاً اسمح لي بالمرور». رفض الليفتنانت بطريقة فظّة، وعندما بدأ تودا يتجادل معه، تذكر ما حدث مع توكوغاوا، وتساءل فيما إذا كان الطير الذي على الشجرة يغني أغنية موته!.

جاء ضابط آخر. قال: «دعه يمرّ. إنه ليس شخصاً ذا أهمية. لن يجلب لنا أية متاعب عندما ندخل الغوبنكو».

واصل تودا طريقه، «هذا ما وصلتْ إليه!» غمغم مع نفسه بينما كان يعدو مسرعاً على طول الطريق المؤدي إلى المكتبة الأمبراطورية."لم يخطر لي أبداً أنني سأعيش لأرى هذا... الجنود اليابانيون يهاجمون الأمبراطور!» ارتعد وهو يحثّ خطاه بسرعة: كانت الفكرة جداً مرعبة، لا توجد كلمات ولا مشاعر مناسبة للتعبير عنها. نقل الأخبار إلى كبير الحجّاب فوجيتا الذي عاد قبل قليل من مقره. فالقصة إذن مرّت عبر حراب الجنود وصراخهم وهتافاتهم، «لقد قمتَ بمهمة جيدة». وهكذا، وصلت القصة إلى الغوبنكو.

بعد أن سمع فوجيتا قصة تودا، اجتمع بالحجّاب آيري وناغازومي

وهيروهاتا مدير شؤون الأمبراطور. كان السؤال فيما إذا كان عليهم محاولة حماية الغوبنكو بدون امتلاكهم الوسائل المناسبة، أو تجنب العنف بالاستسلام فوراً. على أية حال، لا يمكن التنبؤ بأي شكل بالعنف الذي قد يحدث في المناطق الخاصة بإقامة الأمبراطور.

«لا زلتُ غير مصدق»، قال فوجيتا. فتح المصاريع الحديدية فأطلقت صريراً مزعجاً، وشاهد جماعات من الحرس الأمبراطوري تحتل مواقع مهمة بين بوابة فوكياجي والغوبنكو، مدافع رشاشة تُنصب، بمواسيرها المصوبة نحو مقر الأمبراطور.

إثر اعتقال ايشيهارا، صار الجنرال تاناكا قادراً على الاتصال بالكولونيل هاغا في القصر الأمبراطوري، فأمره أن يقابله حالاً عند بوابة اينوي. عندما وصل بسيارته قبيل حاجز البوابة، صرخ أحد الحرس: «من هناك؟».

«قائد قطاع الجيش الشرقي»، ردّ تاناكا. فانفتحت البوابة.

لا تزال جماعات البحث تتدافع في محاولات محمومة للعثور على التسجيلات، أو على الأشخاص الذين قد يخبرونهم عن مخبئها، وأوامر هاغا بالكف عن البحث لم تكن قد وصلتهم بعد. وفي وزارة الحرب كان الرأي السائد أن الجنرال أنامي نفسه قد أُجبر من قِبل الضباط الشباب العنيدين على قيادة التمرد شخصياً.

اجتمع الميجور جنرال يوشيو ناسو، مدير دائرة الخدمات العسكرية مع الليفتنانت جنرال واماتسو، نائب وزير الحرب، وقررا أن جنود أنامي يجب أن لا يُسمح لهم باستعارة اسمه تحت الإكراه للقيام بهذه الخيانة، فتوجه ناسو فوراً إلى مقر إقامة وزير الحرب. في نفس الوقت كان هناك جدالٌ عنيف يتصاعد في الممرات المظلمة في ايتشيغايا، بين الكولونيل آراو والكولونيل أمانو رئيس قسم الأركان العامة حول حركة التمرد في الجيش، فبينما يرى امانو أن التمرد طالما في بدايته فيجب سحقه، لكن آراو يرى أن ذلك أمر محلي يقع ضمن حدود قيادته، كرئيس قسم الشؤون العسكرية. لكن الجدال استمر.

نهض وزير الحرب ولبس قميصاً أبيض، قال: «هذا القميص أعطاني إياه الأمبراطور عندما كنت أعمل معاوناً له. كان يلبسه شخصياً. لا أجد شيئاً فزتُ به أكثر رفعة من هذا، لذلك قررت أن اموت مرتدياً هذا القميص. ثم علّق كل نياشينه على زيّه الرسمي، ونزعه وطواه بعناية، ووضعه أمام التوكونوما. «عندما أموت»، قال. «هل يمكنك وضع هذا الزيّ فوقي؟» أومأ تاكيشيتا برأسه، وهو غير قادر على الكلام، بينما شعر إيدا بعينيه تمتلئان بالدموع.

اخذ انامي صورة ابنه الثاني، كوياكيرا، الذي مات وهو في الواحدة والعشرين من عمره في أحداث الصين، ووضعها فوق الملابس المطوية.

دوّى التلفون في المبنى الغارق في الصمت. التقط هاجيمي سوزوكي، ابن رئيس الوزراء، السماعة بتثاقل. «إن جنوداً حاولوا إحراق مقر رئيس الـوزراء»، قال الصوت، الذي اعتقد هاجيمي أنه صوت أحد ضباط الشرطة. «إنهم الآن في طريقهم إلى منزله. حذره، أخبره أن يغادر حالاً».

أسرع هاجيمي إلى غرفة والده وساعد الرجل المسن على ارتداء ملابسه، ثم ركضا مع السيدة سوزوكي باتجاه السيارة المتوقفة أمام البيت. لقد أدركوا، بسبب رعبهم، أن السيارة كانت تتجه نحو الطريق الخطأ الضيق الذي تصعب الاستدارة فيه. كانت الدقائق ثمينة، ستضيع إذا استداروا عدة مرات ليبلغوا الطريق السريع. جلس الثلاثة في المقعد الخلفي، في الأمام جلس السائق، وابن أخ رئيس الوزراء والحارس الشخصي، إلاّ أن السيارة لم تتحرك وكان السبب نوعية الجازولين، فجاء عدد من الشرطة الذين كانوا في مناوبة حراسة حول البيت ودفعوا السيارة، دار المحرك أخيراً وتحرك الجميع.

بينما كانت سيارة سوزوكي تأخذ طريقها الدوّار إلى الطريق السريع، مرّ ساساكي ورجاله المتمردون بدون أن يتعرّفوا على السيارة الهاربة. لو كانت سيارة سوزوكي استعملت الطريق الصحيح، لإلتقى البارون سوزوكي بالكابتن ساساكي وجهاً لوجه في ذلك الفجر من آب.

كان ابن هاجيمي، الطالب في المدرسة المتوسطة، قد بقي في بيت جدّه بانتظار القتلة، مع فتاة شابة يوريكوهارا التي كانت تساعد السيدة سوزوكي في شؤون البيت.

وصل الليفتنانت جنرال اوكيدو، رئيس الشرطة السرية، إلى مقر وزير الحرب في حوالي الخامسة والنصف، ليخبره عن حركة المتمردين، لكن عندما سمع أنامي اسم الزائر، طلب من تاكيشيتا أن يقابله، قال إنه لا يريد التحدث معه بنفسه، ولا يريده أن يعرف بأمر الانتحار. بعد أن ذهب تاكيشيتا إلى الباب ليتحدث مع الزائر، طلب أنامي من إيدا أن يقف قرب المدخل ليراقب، وعندما صار لوحده ارتدى القميص الأبيض الذي أعطاه له الأمبراطور، وذهب إلى الممر.

على الرغم من أن مصاريع النوافذ كانت مغلقة، فإن أشعة ضوء الصباح الباكر الساطعة رسمت خطوطاً حادة على وجه وصدر أنامي. لقد توصل إلى أن الممر الخارجي هو المكان المناسب لمشهد موته، فالانتحار في الحديقة يعني أن جريمته جداً عظيمة ليُكفّر عنها على الأرض العارية، وإذا لطّخ حصيرة القش في الغرفة الداخلية بدمائه، سيقال أنه يعتبر نفسه غير ملام. وعلى أية حال، إذا فضّل الحديقة فقد يمرّ بعض الأشخاص ويحاولون منعه.

لا يزال راكعاً على ركبتيه، وظهره منتصبٌ وكتفاه إلى الخلف، أخرج أنامي خنجره من غمده.

عندما عثر الكابتن ساساكي والمتمردون على بيت سوزوكي، كان فارغاً إلاّ من حفيد رئيس الوزراء والآنسة يوريكوهارا. وضع ساساكي حافة سيفه على صدرها طالباً منها التحدث إلى رئيس الوزراء. قالت: «إنه غير موجود معنا»، ردّت الفتاة محاولةً أن يبدو صوتها طبيعياً، إلاّ أن الكلمات كانت تخرج كما لو أنها لشخص آخر يتحدث من مسافة بعيدة جداً. حتى هي لم تتعرّف على صوتها، رغم أنها اعتقدت بأنها ستواجه المتمردين بلا خوف. كانت قد سمعت الشائعات تقول إن الجنود الامركيين عندما

يحتلون اليابان، سوف يعتدون على كل النساء، فقررت أنها تفضل الموت على مواجهة موقف مهين كهذا. كانت تضع ماكياج خفيفاً، وتلبس بنطالاً واسعاً تلبسه النساء وقت الحرب. كانت مستعدة للموت، وبعد، فالصوت الذي يخرج عندما تتحدث لا يشبه صوتها على الاطلاق. «إنه ليس هنا»، كررت، لكنها بصعوبة أقنعت نفسها بتجاهل القتلة.

أمر الكابتن ساساكي بتفتيش البيت. مرّ الجنود والطلاب على كل الغرف، اندفعت سيوفهم عبر كل زاوية وكل خزانة.

«لا نريد إيذاءك، لِمَ لا تذهبين إلى الخارج!» قال أحد الطلاب. إلاّ أن يوريكوهارا رفضت. وعندما انتهى التفتيش، وصار واضحاً أن لا أحد في البيت عدا هذه الفتاة والولد الصغير، بدأ الجنود الغاضبون باشعال النيران في البيت. ركضت يوريكوهارا إلى المطبخ وأخذت سطلاً، وحين بدأت بملئه قال أحد الجنود: «إذا حاولت اطفاء النيران، فسأقتلك».

بسرعة اشتعلت النيران، وتأجج اللهب مرتفعاً في ضوء الصباح الباهت. كان اليوم حاراً، وحول البيت المحترق كانت الحرارة لا تطاق.

هربت الفتاة والولد الصغير إلى مسافة آمنة، حيث راحا يراقبان بحزن دمار البيت الذي قاوم غارات العدو، لكن ليس الجنود اليابانيين الحاقدين المُحبطين. وصل رجال الاطفاء، إلاّ أن المدافع الرشاشة احتجزتهم في مكانهم.

حين عاد تاكيشيتا بعد أن قابل اوكيدو، توقف في الممر، خلف وزير الحرب الراكع على ركبتيه وظهره قائم باعتدال، ثم ركع تاكيشيتا أيضاً على ركبتيه. سحب أنامي الخنجر من حول بطنه بيده اليسرى، ثم صار يبحث عن الشريان السباتي في الجهة اليمنى من عنقه.

بدأ أنامي يتمايل قليلاً، فقد اندفع الخنجر عبر رقبته، وانفجر شلال الدم، وظل أنامي منتصباً.

«هل أساعدك؟» سأل تاكيشيتا بهدوء، وبصوت يكاد لا يُسمع.

«لا»، كان صوته عادياً، كان يجيب بشكل اعتيادي. قال: «دعني لوحدي».

ذهب تاكيشيتا إلى الحديقة، وكان فيها إيدا، ينتحب فوق الأرض العارية.

توقف قطار ياماتي في محطة طوكيو، كان فارغاً تقريباً، المحطة أيضاً بدت مقفرة، عندما عبر تاكيجي موريناغا القاعة الكبيرة متوجهاً غرباً نحو القصر الأمبراطوري. خلفه كانت الشمس قد بدأت تعلو والحرارة تزداد، مسح جبهته وهو يجتاز الشوارع المدمرة، الخالية، في طريقه إلى بوابة ساكاشيتا. هناك رأى مدفعاً رشاشاً مصوباً نحوه، يمنعه من الدخول. لكنه يعرف القصر، فقرر أن أفضل طريقة للدخول ستكون عبر بوابة ساكورادا الداخلية. كان أثنان من الحرس يقفان هناك مع واحد من ضباط شرطة القصر الذي يعرفه من قبل. أخبره الضابط أنه سيكون متهوراً إذا حاول دخول القصر الآن، إلاّ أن موريناغا ردّ بأن لديه أوامرَ خاصة عليه تسليمها مهما كلف ذلك.

كان العرق يتصبب من رقبته إلى ظهره بينما كان يجتاز البوابة، ولم يوقفه أحد. قرب بركة مارويكي أمام وزارة شؤون القصر شاهد الحرس الأمبراطوري ينزعون سلاح أحد رجال شرطة القصر، فذُهل موريناغا وتساءل إن كان القدر سيسمح له بسماع قرار الأمبراطور يُبث من الإذاعة. كان قد عُهد إليه برسالة شديدة الأهمية، لذا واصل طريقه مجتازاً الجنود المسلحين الغاضبين، آملاً أن يكون قادراً على ايصال الرسالة إلى اوهاشي.

توقع اللواء ناسو أن يجد مبنى وزارة الحرب يعجّ بالضباط المتحمسين، لكنه حين دخل شاهد المقدم تاكيشيتا والمقدم إيدا يتحدثان جانباً وفي هدوء. شاهد أيضاً وزير الحرب راكعاً ورأسه ناحية القصر، بينما جسمه تحرك ناحية اليمين، ثم مال إلى الخلف. كان الظلام يسيطر على المكان.

قال: ناسو: «جئت لآخذك إلى الوزارة».

«لماذا جئتَ؟» ردّ الصوت مجلجلاً مثل صوت إله. «ابتعد!» صرخ أنامي. «اتركني!».

نظر ناسو متمعناً عن قرب، وعند ذلك فقط رأى الدم يتفق من بلعوم وزير الحرب.

قال تاكيشيتا هامساً إلى أيدا: «اسمع، معي ختم أنامي، الذي سيجعل الجيش كله يثور. هل تريد أن نفعلها؟ لِمَ لا؟ لماذا علينا أن نذعن مثل طلاب المدارس؟».

هل قالها تاكيشيتا هذا حقاً؟ شيء لا يُصدق! أم أنها كانت جزء من خطة أنامي الكبيرة؟ هل كان يدّعي أن موته سيضع نهاية لتطلعات الجيش؟ لا، رفض إيدا أن يصدق ذلك: الرجل الذي يموت على بضعة أقدام منه لم يكن يمثل.

«الأوامر المزيفة ستنكشف بسرعة» قال إيدا. «وهل تعتقد أن روح انامي ستقبل؟».

«لا، لا»، قال تاكيشيتا بسرعة. «كنت فقط أمزح». لكن نبرته تكذّب ما قال. وفي الممر، كان جسد أنامي مائلاً، لكنه لم يسقط بعد.

اشتعل حماس الكابتن ساساكي وجماعته الآن بالمحرقة الهائلة التي أقاموها في بيت سوزوكي، فضجّوا في الشوارع الهادئة في ذلك الصباح الباكر. فكر ساساكي بمحاولة اغتيال أخرى لنوبويوكي آبي، رئيس الوزراء السابق، لكنه غيّر رأيه. ثم كان هدفه الجديد، ووجهتهم، أكثر مناسبة لأهدافهم المروعة: البارون هيرانوما، رئيس مجلس الشورى.

15 آب

من الساعة 6-7 صباحاً.

«سـأوضـح قـراري للحرس الأمبراطوري».

• الأمبراطور

في داخل الغوبنكو، كانت المناقشات جارية حول ماذا يجب أن يفعلوا إذا طلب الجنود المتمردون الدخول؟ لم يظهر حل مرضٍ للمشكلة، خاصة بعد ان فشل رئيس حرس الغوبنكو، ويدعى كوسوغا، بالعودة من مواجهة الحرس الأمبراطوري المتمرد. قبل ذلك بفترة قصيرة، قال كوسوغا إن المتمردين ينوون نزع سلاح شرطة القصر. الحاجب آيري قال: «لكن هذا يتطلب موافقة رئيس شرطة الحرس. اذهب واخبرهم بذلك». ردّ كوسوغا بصوت متحمس: «حاضر سيدي!» إلاّ أنه ما إن غادر في مهمته حتى فترت حماسته، ولم يرجع، فخاف الحاجب أن يكون قد قُتل.

لم يشاهدوا المنظر الذي شاهده تاكيجي مورريناغا عند دخوله القصر: شرطة القصر وقد نُزعوا ليس اسلحتهم فقط، بل وبناطيلهم وجاكيتاتهم ايضا وتُركوا واقفين في حرارة شمس الصباح اللاهبة.

كان الغوبنكو محكم الاغلاق من جميع منافذه على العالم. لا شعاع ضوء يدخل، ولا صوت عصفور أو صرير حشرة من الأشجار

المحيطة بالقصر يُسمع. احتشد الحجّاب خائفين تحت ضوء مصباح صناعي في ذلك الصباح الصيفي المشرق وتشاوروا فيما بينهم. الآن، وحيث لا توجد شرطة مسلحة، ولا حرس لمساعدتهم، قرروا أن الشيء الوحيد الذي يمكن فعله هو أن يتركوا الجنود يدخلون ما إن يبدأوا بطرق الأبواب، ثم يأخذونهم في جولة داخل الغوبنكو، أثناء ذلك يعطون الأمبراطور والامبراطورة الفرصة للهرب.

لم يقتنع أيٌ من الحجّاب بهذا الحل، لكن أياً منهم لم يقدم حلاً أفضل.

«حسناً»، قال الحاجب تودا بحماس. «من الأفضل إذن أن نوقظ الأمبراطور ونحذّره». بينما توجه تودا وميتسوي إلى مخدع نوم الأمبراطور، كان كل منهما يشعر بركبتيه لا تقويان على حمله، ولا يمكنه التقدم خطوة أخرى، لكن أياً منهما لم يكشف قلقه ومخاوفه للآخر.

نهض الأمبراطور مباشرة عندما طلباه.

انحنى ميتسوي قبل أن يبدأ باطلاع الأمبراطور على أخبار احتلال القصر والتهديد باحتلال الغوبنكو الوشيك.

«هل هو انقلاب عسكري إذن؟» سأل الأمبراطور. «ماذا حدث بالضبط؟».

أخبر تودا الأمبراطور ببحث الحرس المجنون عن التسجيلات وعن الماركيز كيدو ووزير شؤون القصر أيضاً. لكن لحد الآن، قال تودا، البحث لم يوصلهم إلى شيء. ظل الأمبراطور صامتاً للحظات، ثم قال: «سأخرج بنفسي. اجمع الرجال معاً في الحديقة، وسوف أتحدث إليهم بنفسي. سأوضح قراري للحرس الأمبراطوري».

أحنى الحاجبان رأسيهما. لم يرغبا أن يرى الأمبراطور دموعهما التي بدأت تملأ عيونهما أثناء حديثه.

قال الأمبراطور: «على أية حال، استدعِ رئيس المعاونين، أريد

التحدث إليه». إلاّ أن هاسونوما كان محجوزاً في وزارة شؤون القصر، وبين الغوبنكو والوزارة يقف جنود مسلحون ومدافع رشاشة. انسحب الحاجبان من حضرة الأمبراطور. قال ميتسوي: «أنت الأصغر، أعتقد من الأفضل أن تذهب».

«لكن أنتَ»، قال تودا. «رئيس قسم الشؤون العامة. أعتقد فعلاً أنك من عليه أن يذهب».

داخل بوابة اينوي، كان الجنرال تاناكا يجتمع بالكولونيل هاغا. أكد الجنرال أن الأمر رقم 584 كان مزوّراً وأن الجنرال موري كان ميتاً بالفعل، ثم قال: «من هذه اللحظة أنا من يقود الحرس الأمبراطوري». ثم أمر هاغا أن يعيد رجاله إلى قواعدهم، وأن يرسل له تقريراً بذلك بعد أن ينتهي من تنفيذ الأمر. بعد ذلك أسرع الجنرال تاناكا عبر الطريق الواسع المؤدي إلى الغوبنكو لاطلاع الأمبراطور بما حدث. هناك رأى الحاجب يركض باتجاهه، وحين ميّز الحاجب الجنرال خفف من سرعته، وبينما كانا يمرّان، سأل تاناكا: «هل رئيس الحجّاب موجود في الغوبنكو؟».

«لا»، قال الحاجب.

«ورئيس المعاونين؟».

«لا» قال الحاجب.

«الأمبراطور إذن؟».

«نعم» قال الحاجب. «الأمبراطور في الغوبنكو».

ضحك الجنرال تاناكا وقال: «لماذا ترتعش؟» العصيان انتهى، الآن لا يوجد شيء مقلق هنا!» ثم أعطى بطاقته للحاجب، الذي قرأها ثم تنهد بارتياح وانحنى، وسلّم بطاقته هو الآخر للجنرال. ومرة أخرى تبادل الرجلان التحية.

كان الحاجب هو ميتسوي. «نحن في امان اذاً» قال بصوت خافت، بعد نفس عميق آخر بالارتياح.

«أجد ذلك غريباً جداً» قال تاناكا «ان لا يكون كبير الحجّاب ولا

المعاون متواجدين مع الامبراطور». ابتسم ميتسوي قائلاً «آه، لكن كبير الحجّاب متواجد مع الامبراطور الان. لكن المعاون غير موجود – انا في طريقي إلى الوزارة لاحضاره».

عندما فتح الحاجب آيري الغوبنكو للجنرال تاناكا، لاحظ الشمس تسطع من خلف الجنرال وكأنها لم تشّع بهذه القوة من قبل. «كل شيء على ما يرام الآن» قال تاناكا بثقة. «أنا آسف لحدوث هذه المتاعب».

اعتقد رئيس الوزراء سوزوكي أيضاً أن كل شيء كان على ما يرام، بعد أن التجأ إلى بيت أخته في نيشيكاتاما في هونغو. لكن عندما اتصل ابنه هاجيمي بالبيت بعد وصولهم، قال إنهم آمنون في هونغو، لكنه أدرك أنه كان يتحدث إلى أحد الجنود المتمردين وقد أخبره بالمكان الذي يختبئون فيه. بهت هاجيمي للحظة. قررت عائلة سوزوكي انه من الأفضل تغيير المكان مرة اخرى، وهذه المرة توجهوا إلى بيت احد الأصدقاء الذي يسكن إلى جوار بيت أخيه، الجنرال تاكاو سوزوكي في شيبا.

لم يكن كل شيء على ما يرام في مبنى الإذاعة، كان عدم الارتياح لا يزال واضحاً بسبب الرائد هاتاناكا، الذي ظلّ يلوح بمسدسه ويهدد الجميع بالموت ما لم يُسمح له بعرض موقفه ودوافعه عن هذه الحركة للشعب الياباني على الهواء. لكن صوته لم يعد قوياً أو نافذا: صار أقرب إلى التوسل. كرر موظفو الإذاعة أن ليس باستطاعتهم البث أثناء دوي صفارة الإنذار بدون موافقة خاصة من قطاع الجيش الشرقي، وزيادة في االحذر قطعوا الخط بين مبنى الإذاعة وبرج الإرسال، فحتى لو تمكن هاتاناكا الوصول إلى المايكرفون بالقوة، فلن يستطيع التحدث على الهواء.

خلال ذلك استمر في ارهاب الموظفين على مدى ساعة. فقد بدا كمن وصل إلى نقطة اللارجعة، متحوّلاً في نفس اللحظة من القنوط واليأس إلى الحماس والابتهاج، من إدراكه إلى أنه فشل تماماً، إلى ثقته العالية بأنه لن يفشل أبداً. وسط ذهول الموظفين وخوفهم مما قد يفعله في الخطوة التالية، تلقى هاتاناكا مكالمة هاتفية.

كانت المكالمة من ضابط في قطاع الجيش الشرقي. كان الموظفون يستمعون بينما حماسه يتصاعد مرة أخرى، ساردا كل أسبابه أن اليابان لا يمكن أن تصان إلاّ باستمرار الحرب. إلاّ أن صوته لم يعد صوت ذلك الرجل المقتنع بأنه على حق، ومستعد لتنفيذ قناعاته، فقد تسللت إلى صدره نبرة خوف، وغارت وجنتاه، وشحبت شفتاه، بينما هو الآن يطرح نصف مطالبه جانباً. إنه الآن يريد فقط خمس دقائق من الراديو.

ألقى المذيع تاتينو نظرة خاطفة على النص الذي أعدّه هاتاناكا، كان يبدأ: «جنودنا الآن يحرسون القصر الأمبراطوري....»

أصغى هاتاناكا للحظة للضابط على الطرف الثاني من الخط «حسناً» قال أخيراً «هذا غير ممكن». وضع سماعة التلفون مكانها، نظر إلى السقف وبدا كما لو انه سيقع مغمىً عليه. أخيراً، مسح عينيه بكفه واستدار للضابط لأخر في الغرفة وقال «عملنا كل ما بوسعنا. لنذهب.».

غادر المتمردون وصار منبر الاذاعة مهيئا لمواصلة التحضيرات لبث خطبة الامبراطور للشعب.

عندما كان المقدم شيزاكي لايزال في القصر وعلم ان الجنرال تاناكا قد سيطر على الموقف، سحب سيفه من الغمد. تلوّى وجهه متجهما كوجه رجل مجنون وضرب بسيفه شجرة ارز بكل ما اوتي من قوة. ارتجف السيف للحظات وهو معلق على لحاء الشجرة قبل ان يسحبه شيزاكي.

بالنسبة لتاكيجي موريناغا، الذي كان يراقب المشهد، بدا ان حالة الهلوسة قد انقشعت من حول شيزاكي فجأة ليحل مكانها يأس الواقع. شعر موريناغا برجفة لا ارادية تهز كامل بدنه.

قبل السابعة بدقائق، توقف الكابتن ساساكي مع مجموعة من عناصر الكاميكازي امام منزل البارون هيرانوما. «انه واحد من كبار المتآمرين»، صرخ ساساكي. «يريد وضع وطننا المقدس بيد العدو». بدون ان يتحروا

من كان في البيت، هيرانوما، عائلته أو الخدم، أشعلوا النيران في المنزل، وبعد بضع لحظات ركبوا سياراتهم متوجهين إلى يودوهاما. كانت شمس الصباح تضرب بلا رحمة.

لم يتبق من منزل هيرانوما الضخم سوى جزء من الكراج.

15 آب

من الساعة 7-8 صباحاً

«لنصغِ جمعياً باحترام لصوت الامبراطور».

• المذيع تاتينو

بينما كان رئيس الوزراء سوزوكي مستلقيا ليرتاح قليلاً، تمكن ابنه هاجيمي من التحدث مع ساكوميزو، سكرتير رئيس مجلس الوزراء، ثم مع مفتش عام شرطة طوكيو، ووزير الشؤون الاجتماعية، وآخرين. فعلم رئيس الوزراء، وإن متأخرا، ان القصر كان مُحتلاً وان الجنرال أنامي قد مات.

بينما كان يقود السيارة متجهاً إلى وزارة الحرب، حدّق الليفتينانت كولونيل تاكاشيتا عالياً في الشمس، لكن افكاره كانت لا تزال هناك، في البيت الذي غادره قبل قليل. بعد أكثر من ساعة على انتحاره[1]، كان الجنرال أنامي لا يزال راكعاً في نفس المكان وجسمه لا يزال منتصباً. الدم كان لايزال يتدفق من الجرح.

1- في إتشيغايا، أطلع تاكيشيتا الجنرال واكاماتسو، نائب وزير الحرب مباشرةً. اعطاه تفاصيل موت أنامي والوثيقتين اللتين تركهما الوزير.

«لازلتَ غارقا في هذا العذاب؟» همس تاكيشيتا. لكن ليس هناك من رد. اذ يبدو ان وزير الحرب قد فقد الوعي.

أخذ تاكيشيتا الخنجر الذي كان مطروحا بجانبه وغرزه عميقاً في الجانب الأيمن من رقبة أنامي. فسقط الجسد.

ثم أخذ تاكيشيتا التليفون واتصل بمنزل وزير الحرب. تحدث لزوجة الوزير، وهي أخت تاكيشيتا الكبرى. كانت مهيأة لمثل هذه الأخبار، فتلقتها بهدوء، مما أراح تاكيشيتا بعض الشيء. وافقت على المجيء فوراً إلى مبنى الوزارة للقيام بالاجراءات اللازمة.

«بسبب جريمتي العظمى»، ردد واكاماتسو، «ماذا تعتقد انه كان يقصد بذلك؟» افترض تاكيشيتا ان واكاماتسو يسأل فيما اذا كان أنامي متورطاً بالانقلاب الفاشل، وان ذلك هو ما اسماه بـ «الجريمة العظمى». شعر ان الحقيقة لا بد ان تظهر وان اسم أنامي يجب ان لا يُلطخ بجريمة لم يكن له فيها يد. «لا ادري» قال تاكيشيتا، «اسأله مباشرة ماذا قصد بذلك، لكني اعرف ماذا كانت نيّته: كممثل اعلى للجيش اراد ان يحمّل نفسه مسؤولية واقعة منشوريا، حرب شرق آسيا، وهزيمة اليابان. اراد ان يتحمل اللوم لوحده ويطلب العفو من الامبراطور».

في الصمت الذي تلا ذلك، فكر تاكيشيتا ان اللوم يقع على كل ضباط الجيش، وانهم جميعاً يتحملون المسؤولية بسبب تدخلهم في الشؤون السياسية وقراراتهم بجر اليابان للحرب. يجب ان يتحملوا جميعاً اللوم والعقاب ايضاً، فكر تاكيشيتا، لكنه لم يقل شيئاً.

كان الرجال المحتجزون في مبنى الحرس قرب نيجوباشي قد بدأوا يشعرون ببزوغ الفجر ليس فقط لأن ساعاتهم اخبرتهم بذلك، بل ايضاً من الباب الأمامي الذي كلما انفتح قليلاً كانوا يشاهدون الضباط في الخارج يشربون الشاي وهم يلوذون من شمس الصباح إلى الظل. بينما هم انفسهم كانوا طوال الساعات الست السابقة بدون ضوء ولا هواء. كانوا قد حُرموا من التدخين ومن الكلام. كل ما كانوا يحصلون عليه هو

القليل من الماء. لم يكونوا يعرفون أي شيء مما حدث في داخل القصر أو خارجه، ولا ما جاء في الصحف أو الراديو، ولا حتى عن الامبراطور.

لكن ربما كان اقوى ماشعروا به هو العطش. كانوا محجوزين طوال الليل في غرفة حارة رطبة لايدخلها الهواء، فكانوا يشعرون بالعرق يتصبب على اجسادهم. كانت السنتهم متورمة وحلوقهم جافة حتى لايستطيعون غلقها.

كلما فُتح الباب وشاهد الضباط في الخارج يحتسون الشاي، كان كاواموتو يشعر بموجة عارمة من الغضب، ليس لنفسه فقط، بل لهؤلاء الرجال الأكبر سناً منه والذين حتما يعانون العطش اكثر منه. لكنه يحاول ان يضع الغضب جانباً لأنه يعلم ان ذلك لا يجدي وسوف يزيد من عطشه.

بعد السابعة بقليل، دخل بعض الجنود إلى غرفة الحجز. «لطفاً، هل يمكن ان تأتوا إلى هذه الناحية؟» قال احدهم، والذي ربما كان برتبة عريف، «نعتذر عن بقائكم هنا طوال تلك الفترة». ما أن خرج المحتجزون من الغرفة، صرخ كاواموتو «ماء! اعطونا ماء».

كان الهواء خارج السجن، رغم حرارته، لكنه بدا منعشاً ولطيفاً، مع زقزقة العصافير بينما الشمس كانت تصعد ببطء إلى قلب السماء. كان الرجال قد ظنوا انهم لن يروا حديقة بهذه الخضرة ابداً. حول مبنى السجن، حيث كان الحرس المسلحون يعذبون رجلا ليلة امس، الآن ترى القليل من الجنود يتسكعون ويتثاءبون تحت شمس الصباح. التثاؤب معدٍ – فقد وجد بعض الرجال ولأول مرة في حياتهم ان التثاؤب قد يكون لذيذا إلى هذا الحد.

كان موريااغا ينتظر رئيس هيئة الاذاعة ليسلمه تقريره. فلقد قام المتمردون باستجوابه لفترة طويلة لكنه رفض ان يكشف لهم أي احد باستثناء الرئيس أوهاشي. وهاهو الرئيس بنفسه هنا الآن لينقل له اخبار احتلال مبنى هيئة الاذاعة، لكن في ذلك الوقت، كان قد شاع خبرأن

الجنرال تاناكا قد رفع الحصار عن القصر، مما جعل الخبرالذي اتى به يبدو باهتا.

في تلك اللحظة، كان تاناكا نفسه، ينحني بشدة امام رئيس حجّاب القصر «اطلب العفو» قال، مع انحناءة اخرى، واخرى «والمعذرة من صاحب الجلالة. لا استطيع التعبير عن بالغ اسفي للازعاج الذي قد يكون سبّبه تأخري لجلالته»، ثم انحنى مرة اخرى.

بينما كان فوجيتا يرد التحية هو الآخر بانحناءة مماثلة، قرر ان يطلب من الامبراطور مقابلة الجنرال تاناكا.

بعد مغادرته الغوبنكو، توجه الجنرال تاناكا إلى مبنى وزارة شؤون القصر والتي كانت لاتـزال محاصرة بواسطة الحرس. «افسحوا الطريق» صاح تاناكا. «انا قائد القطاع الشرقي للجيش». افسح الحرس الامبراطوري له المجال.

في الساعة 7:21 بثت الاذاعة نبأً خاصاً.

«صاحب الجلالة الامبراطور» قال المذيع تاتينو، «قد سجل بياناً للشعب وسوف يذاع في منتصف ظهيرة هذا اليوم. لنصغ جميعاً باحترام لصوت الامبراطور».

توقف للحظة. ثم كرر بنفس الجديّة، «لنصغِ جميعا باحترام لصوت الامبراطور في منتصف ظُهيرة هذا اليوم».

بعد ذلك، استمر، ولكن بحيوية اكثر: «سيتم اعادة التيار الكهربائي للمقاطعات التي لم يكن يصلها التيار خلال النهار. العمل جارٍ على اصلاح مستقبلات الصوت لتكون جاهزة في كل المحطات، اقسام الارسال والمكاتب الحكومية والخاصة. سوف يبدأ بث البيان في الساعة الثانية عشر ظهر اليوم.».

مسح العرق من على وجهه ثم كرر «سوف يبدأ بث البيان في الساعة الثانية عشر ظهر اليوم.».

في وزارة شؤون القصر، كان اللورد كاتم السر والوزير لايزالان

مختبئين في الغرفة السرية. بينما لايزال الجنود يبحثون عنهما وعن شريط البيان الذي سجله الامبراطور.

كان الميجور كوغا جالسا على كرسي، بمفرده، في احد المكاتب، مبحلقا في اللاشئ. التعبير الوحيد البادي على وجهه هو اليأس.

عندما عثر الجنرال تاناكا بعد فترة طويلة على كبير المعاونين، كرر الانحناء والاعتذار له، ثم اخبر هاسونوما القصة كاملة. لأول مرة يشعر هاسونوما بحجم الخطر الذي كان محدقا به حتى فترة وجيزة، فعبّر عن امتنانه لتاناكا. «لكني اشعر بحزن عميق» ثم أضاف «ان الجنرال موري قد مات».

«لقد فقدنا رجلاً ثميناً» ردّ الجنرال تاناكا، ثم اضاف «لا استطيع اعفاء نفسي من المسؤلية فيما حدث».[1]

بنفس التحية التقليدية، انسحب الجنرال تاناكا خارجاً باتجاه بوابة إنوي. كان مرتاحا لانتصاره الكامل على المتمردين. لكن النيران التي تعتمل داخل صدور المتمردين رغم انها اصبحت تحت السيطرة الآن، لم تنطفئ تماماً بعد.

قبل قرابة عشرين دقيقة، كان ثلاثة كولونيلات - إيدا، آراو وشيمانوكي - يعقدون جلسة في مقر وزارة الحرب يتفكرون في فشل الذي انتهت اليه محاولاتهم قبل قليل. كانت ملامح إيد، تحديداً، تعكس بشكل واضح مرارة تذكّره بموت الجنرال انامي. قرر الرجال الثلاثة ان

1- الجنرال تاناكا، وكآمر للقطاع الشرقي للجيش، كان مسؤولاً ايضاً عن القصر الامبراطوري وضريح ميجي. وكلاهما قد تضررا بالقصف خلال الغارات الجوية التي شنها العدو. كان تاناكا قد قدم استقالته لكن الامبراطور رفضها. بعد الخامس عشر من اغسطس، قرر تاناكا الانتحار باسرع وقت. في الرابع والعشرين من اغسطس، أحبط محاولة لاحتلال مقر الاذاعة قام بها طلاب في الجيش، وفي نفس تلك الليلة، في حوالي الساعة الحادية عشر وعشرةدقائق أطلق رصاصة على قلبه. كان قد ترك عددا من رسائل الوداع لأصدقائه وزملائه في الجيش، قال فيها ان انتحاره يأتي «بانيابة عن كل ضباطه ورجاله العاملين معه."*

يحاولوا تفكيك سلسلة الأحداث التي وقعت خلال العشرين ساعة الأخيرة.

بعد ذلك مباشرة استقلوا سيارة وتوجهوا إلى بوابة إنوي في القصر. ما أن توقفت السيارة وسط سحابة من الغبار، حتى قفز الثلاثة وركضوا باتجاه مقر الحرس، لكنهم وبدلاً من هاتاناكا، فقد اصطدموا بالجنرال تاناكا. توقفوا فجأة، غير متأكدين من معنى وجود الجنرال في القصر - كما ان تاناكا ايضا لم يكن مدركاً لنواياهم.

بحسم وبدون تردد «عودوا إلى السيارة واخرجوا من هنا حالاً.» صرخ بهم. «هيا اخرجوا من هنا». فغادر الكولونيلات الثلاثة النادمين المكان.[1]

يوشيرو ناغايو، المؤلف، وبعد ان سمع الإعلان في الاذاعة، كتب في صحيفته:

لا يمكن ان أصدّق هذا! قبل يومين فقط قلت انه لا يوجد طريق آخر لإنقاذ اليابان من الدمار. في الحقيقة، اعتقدتُ - وقلت- ذلك قبل سنوات: الطريقة الوحيدة لتجنب الثورة وحماية البلد هي ان يوجه الامبراطور نفسه خطابا إلى الشعب. كانت فرصتنا الأخيرة، والوحيدة. لكني لم اصدّق ابداً انها ستحدث. كنت متأكداً من ان عقبات كثيرة ستوضع امام خطاب امبراطوري كهذا. والآن، وفي غضون ساعات قليلة، ستحدث. اعرف انها لم تكن سهلة. وأعرف انها ستكون نقطة تحول في تاريخ اليابان.

1- في ليلة الخامس عشر من اغسطس، كان الليفتينانت كولونيل إيدا لايزال مصرّاً على الانتحار. كان قد غادر إلى وزارة الحرب بعد ان ترك وصية وداع لزوجته بأن تستلم جثته في صباح اليوم التالي. كان الكولونيل آراو على علم بنيّة إيدا، التزاماً بارشادات الجنرال أنامي بمحاولة منع اي عمليات انتحار أخرى، أمر بمراقبة دقيقة لكل تحركات إيدا في تلك الليلة. في الصباح عندما وصلت زوجة إيدا إلى الوزارة ورأت زوجها على قيد الحياة، أجهشت بالبكاء لأول مرة

15 آب

من الساعة 8 إلى 9 صباحاً

«لم يعد هناك مكان لرجل مسّن
مثلي بعد الآن»

• البارون كانتارو سوزوكي

تم تبديل الحرس في الثامنة صباحاً كالمعتاد. فوج من الكتيبة الثانية، رجال، ضباط ورايات ترفرف عاليا تمشي باتجاه بوابة إنوي. لم يبدُ على وجوه الجنود ما يدل ان لديهم أدنى فكرة انهم قد شاركوا في انقلاب فاشل. كل ما فعلوه بالنهاية انهم اتبعوا الأوامر.

الجنران تاناكا، بشفاه مطبقة على صمت رهيب، كان يتابع راية الكتيبة تبتعد وتختفي خلف بوابة إنوي. فوج واحد بقي في باحة القصر، كما هو معتاد ان يكون. كانت الحياة قد بدأت تعود لطبيعتها، أو اقرب ما تكون إلى الطبيعي في بلد كان قد استسلم تواً للعدو.. بلد لم يعلم مواطنوه انهم الأن دخلوا هزيمتهم الأولى.

حثّ الحاجب ميتسوي خطاه باتجاه الخزنة الحديدية التي لا تزال محمية خلف باب حديدي ضخم بحراسة ستة رجال لمنع وصول المتمردين، الذين لم يعد لهم وجود الآن. طرق ميتسوي الباب ثلاث طرقات، وهي الإشارة المتّفق عليها. لم يكن هناك اي رد. نزع ميتسوي

حذاءه وطرق به الباب مرة أخرى ثلاث طرقات. انفتح الباب هذه المرة وبرز منه ايشاكاوا، سكرتير الوزير.

«كل شيء على مايرام» قال ميتسوي.

كان ايشاكاوا مسرورا، ليس فقط لأنهم كانوا في أمان هنا، انما الآن سيجد شيئا يأكله. كان جائعا جدا. كان يريد ان يخرج في المساء ليأكل لكن إيشيواتاري، وزير القصر الامبراطوري كان يرفض ذلك.

«سعادة الوزير» قال وهو يتبع إيشيواتاري على السلّم: «ماذا سنفعل بخصوص الإفطار؟»

نظر اليه ايشيواتاري ببرود قائلا: «هذا ليس وقت الإفطار».

في الساعة الثامنة وعشر دقائق، استقبل الامبراطور بنفسه كبير الحُجّاب في القصر. صُعق فوجيتا برؤية الامبراطوار متعبا وهزيلا باديا عليه الإعياء وهو يجلس على كرسيه.

«فوجيتا» قال الامبراطور بهدوء، «ماذا يريدون؟ لماذا لم يستطيعوا استيعاب ما كان في ذهني؟»

لم يكن لدى كبير الحُجّاب ما يرّد به. فظل الصمت يسود المكان.

استفبل صاحب الجلالة بعد ذلك، الماركيز كيدو وسوتارو ايشيواتاري لفترة قصيرة، وما ان غادر الرجلان، حتى لفّ الصمت القصر. لم يعد هناك صليل سيوف، ولا خطوات جنود أو صرخات الأوامر العسكرية. اختفى هدير طائرات العدو، فقط خفقات اجنحة العصافير تُسمع من بين الأشجار وهسيس الحشرات.

عاد الكابتن ساساكي إلى يوكوهاما بعد أن أحرق بيتين، لكنه لايزال يشعر بعدم الإرتياح. لايزال يشعر بأن ثمة شيء يجب عمله لمنع كارثة الإستسلام. قرر زيارة الكابتن كوزونو في يوكوسوكا، دون أن يعلم أن يوكوسوكا كان قد وصل إلى انسوجي منذ ساعات، ولا أن القاعدة هناك لم تقرر الإستسلام بعد مثل بقية البلاد. كانت نية ساساكي أن ينقل لكوزونو نشاطات المساء وأنه سيدرج اسمه لعملية أكثر فعالية.

لكن قبل الوصول ليوكوسوكا أوقفته دورية البحرية ورفض الضابط المسؤول ان يدعه يستمر في طريقه إلى القاعدة.

«هل تقبل أن تستسلم قواتنا البحرية؟» سأل ساساكي.

«أنا أتبع الأوامر» رد الضابط.

«أنت لا تفهم!» صرخ بوجهه ساساكي «هذا معناه نهاية القوات البحرية الإمبراطورية».

«من الأفضل أن تعود من حيث أتيت» قال الضابط الشاب بلهجة صارمة وخلفه مجموعة من رجاله.

عندما وصل الحاجب اوكابي للقصر في الساعة الثامنة والنصف لبيدا عمله اليومي، سمع عن الليلة الصاخبة التي قضاها زميله. فأول ما خطر بباله هو التأكد فيما اذا كانت تسجيلات الامبراطور بأمان. أسرع إلى المكتب حيث تم حفظها ليجد الحاجب ميتسوي والمدير كاكي في اجتماع وبدت على وجهيهما الجدية مما أثار الفزع في قلب اوكابي.

«شيء ما قد حدث؟» صاح بصوت عال.

نظر اليه ميتسوي بحزن وشفقة من خلال نظارته «هذا الصباح» قال ببطء «في الفجر...»، فقاطعه اوكابي مستشيطا من الغضب «ثم ماذا؟». أشار ميتسوي إلى الخزنة «هناك» قال وقد اكفهر وجهه.

لا تزال مشكلة نقل التسجيلات إلى مقر الإذاعة قائمة. الجزء الأول من الرحلة هو نقلها إلى مبنى وزارة الشؤون العامة للقصر، وربما يكون هذا هو الجزء الأخطر لأن الوزارة عبارة عن ممرات معتمة وضيقة. ورغم ان المتمردين «نظريا» لم يعد لهم وجود في القصر، لكن لا لأحد يضمن ان لا يكون احد الضباط المتعصبين مختبئا في مكان ما بانتظار خطف التسجيلات.

اتفق الرجال الثلاثة على اقتراح اوكابي وذلك بوضع الزوج الأول من الأشرطة والمختوم بكلمة «نسخة» في صينية وتُنقل باحترام وحرص

شديدين خلال الممرات بواسطة كاكي. اما الزوج الثاني من الأشرطة والمختوم بكلمة «أصلي» فيضعه اوكابي نفسه في حقيبة الأكل الخاصه به. بعد مغادرة كاكي بدقائق قليلة، علّق اوكابي حقيبته على كتفه بشكل عفوي وسار في نفس الممر. اتفقا ان يلتقيا في مكتب الشؤون العامة.

بعد عودته إلى مقر المنطقة الشرقية، أصدر الجنرال تاناكا أمرا آخر. «رائد هاتاناكا» قال، «يبدو انه في مقر الإذاعة. ضعه تحت الحراسة حالا. لا تسمح له بالبث مهما كان الثمن.».

نقل العقيد اينادومي الأمر إلى الكيمبيتاي، وما أن أعاد وضع السماعة إلى مكانها حتى رن الهاتف مرة أخرى. سمع صوت العقيد فوها مظطربا: «لقد اختفت الأشرطة!»

جلس اينادوما بجانب الهاتف وسجل المعلومة كما وصلته.

كان رئيس الوزراء سوزوكي قد أنهى افطاره للتو. فكر هاجيمي ربما هذا هو الوقت المناسب لفتح الموضوع المؤلم والذي لا مفر منه. «الإعلان الذي سيقرأه جلالة الامبراطور» قال، «سيتم بثه ظهر اليوم، وهذا يعني ان عملنا قد انتهى. هل تُفكر بالاستقالة؟ بل ربما استقالة جماعية للمجلس برمته.».

وافقه رئيس الوزراء في الحال وسأل هاجيمي ان يكتب مسودة الاستقالة. تم احضار الورق والحبر والريشة، وبعد دقائق قليلة، قرأ هاجيمي المسودة التي كتبها:

«بعد استلامي الأمر الامبراطوري بتشكيل مجلس الوزراء، كرست كل جهودي، ليلا ونهارا، لحفظ البلد من الهزيمة. ومع ذلك فقد فشلت. الآن وقد استلمت البيان الامبراطوري بوقف الحرب، لا أعرف كيف أعبّر عن عميق أسفي....».

أصغى سوزوكي للمسودة التي كتبها ابنه إلى النهاية ثم قال: «ممتاز! فلتكن.».

بعد لحظة، أضاف: «لم يعد هناك مكان لرجل مسّن مثلي بعد الآن. لا أستطيع تحمّل فكرة إن عليّ قراءة البيان الامبراطوري مرتين. ان مستقبل البلد يعتمد على الشباب الآن.».

الدراما التي لعب بها سوزوكي دورا قياديا قد انتهت. طوى الرجل العجوز يديه بإشارة دالّة على الارتياح.

اليأس الذي لفّ ضباط وزارة الحرب كان قد بدأ بالتلاشي بعد انتشار أخبار وفاة أنامي. العمل الشجاع والهادىء الذي قام به الوزير بإنهاء حياته كان حافزا لضبّاطه وأعطاهم الأمل بمستقبل أفضل. كان أنامي قد عاش ومات مثل أي ساموراي ياباني. رجل جدير بالاحترام. نعته الوزارة وشرّفته ووجدت في وفاته مصدرا قويا للحياة.

15 آب

من الساعة 9 – 10 صباحا

«ضع الاثنين تحت الحراسة
حالاً»

• الليفتنانت كولونيل ماكوتو تسوكاموتو

عندما وصل سكرتير أول مجلس الوزراء ساكوميزو إلى البيت حيث كان رئيس الوزراء لا يزال مختبئا، هنأه بنجاته من محاولة الاغتيال ثم بدأ بسرد تفاصيل الأحداث كما وصلته في الليلة الماضية.

قاطعه سوزوكي «أنا افكّر بتقديم استقالة جماعية خلال انعقاد المجلس الوزاري اليوم.»

بدا ساكوميزو مندهشا ومسرورا بالوقت نفسه. مندهشا لأنه وبالرغم من علمه ان الاستقالة ستحدث، الّا انه لم يتوقعها بهذه السرعة، ومسرورا لأنه كان متعبا جدا. بعد أن ناقش جدول الأعمال المدرج أمامه مع سوزوكي غادر المكتب بخطى أسرع من تلك التي وصل بها.

قبل أربعة أشهر، عندما استلم منصب سكرتارية مجلس الوزراء كان وزنه 145 رطل. الآن وصل وزنه إلى 127 رطل. والحقيقة انه كان مسرورا لانخفاض وزنه.

تناول شيمومورا مدير هيئة المعلومات وسكرتيره كاواموتو شايا خفيفا بعد اطلاق سراحهما من المعتقل وتوجها مباشرة إلى المقر الرسمي لرئيس الوزراء.

عندما وصلا، كان الصمت يسود البناية كلها. هل وقعت هي الأخرى في قبضة المتمردين؟ طلب شيمومورا من كاواموتو ان يذهب ليرى فيما اذا كان ووزير الدولة ساكونجي موجودا في مكتبه، إذ أن مكتب ساكونجي يقع محاذيا لمكتب شيمومورا. أسرع كاواموتو إلى الداخل لكنه انزلق ووقع على الأرض المغطاة بالزيت الذي صبّه الكابتن ساساكي حول المبنى وداخله كجزء من عمليته الانتحارية «كاميكازي».

نهض كاواموتو مغطىً بالزيت ونظر حوله. كان الحريق قد أتى على مقدمة البهو، لكن ماذا حدث بعد ذلك أو ماذا يحدث الآن، هذا ما لايعرفه كاواموتو.

كان الليفتينانت كولونيل تسوكاموتو والذي علم باحتمال وقوع الانقلاب قبل بضعة أيام من الكولونيل إيدا نفسه قد استلم تقريرا مضطربا بخصوص ضابطين، أحدهما على ظهر حصان والآخر على دراجة نارية يوزعان منشورات خارج القصر الامبراطوري تحثّ العامة على المقاومة وعدم قبول اعلان الاستسلام.

تذكر تسوكاموتو ما كان يقوله أثناء حديثه مع إيدا عن قناعته بعدم جدوى أي ثورة مالم يكن الجيش برمته مشاركاً بها. وتذكّر حينها الغضب واليأس على وجهي هاتاناكا وشيزاكي.

دعا تسوكاموتو أحد الضباط وأخبره عن الرجلين اللذين يوزعان المنشورات خارج القصر. فقال له: «ضعهما تحت الحراسة حالاً».

كان الأدميرال يوناي، وزير البحرية في طريقه إلى مقر وزارة الحرب. جلس بصمت على مقعده، ثم، وبعد نفس عميق، قال لسكرتيره بصوت حزين «لقد فقدنا رجلاً ثميناً.».

عندما وصلت السيارة رافق الأدميرال يوناي السيد أنامي وأحد مساعديه إلى داخل الغرفة حيث كان يستلقي جسد وزير الحرب. كان جسده ملفوفاً بقماش خالٍ من أي بقعة دم، وكان وجهه مسترخياً هادئاً دون أثر لألام الساعة الأخيرة من حياته.

توجه يوناي إلى الجسد وأحنى رأسه ثم جلس على الحصيرة بجانبه وظل ينظر بصمت لجسد أنامي لفترة طويلة. ثم نهض بعد ذلك وغادر الغرفة إلى السيارة يتبعه سكرتيره. لم ينطق بكلمة إلى الآن. بينما كانت السيارة تقطع الطريق بصمت، كان السكرتير يفكر بالورقة الصغيرة التي لمحها بجانب جسد أنامي. عليها كلمات قليلة مكتوبة بحبر هندي أسود، ربما هي النسخة الأولى من قصيدته للموت. وبالمقارنة مع الحبر كان يمكن رؤية بضعة قطرات من الدم، التي صارت باهتة الآن، على الورقة.

«نعم» قال وزير البحرية، بعد صمت طويل «اننا فعلاً فقدنا رجلاً ثميناً».

بدت الشمس باهتة بعض الشيء خلف غيمة كثيفة من الدخان بدأت تتكثف خلف أسوار الوزارة، حيث استمر حرق الوثائق. الكثير منها تصاعد مع الدخان، لكن حتما الكثير من الوثائق سيأتي لاحقاً، بينما استمر الدخان بالتصاعد.

15 آب

من الساعة 10 – 11 صباحاً

«أنـا فـي طريقي إلـى مبنى الإذاعة»

• توموكاتو

تمت جدولة اجتماع تحضيري لمجلس الشورى الامبراطوري في الساعة الحادية عشر في غرفة المؤتمرات في القصر. كان ساكوميزو، سكرتير رئيس المجلس، قد غادر مكتب رئيس الوزراء إلى القصر للتحضير للاجتماع. ذهب أولاً إلى مكتب شؤون القصر حيث التقى بالمدير كاتو عند المدخل. كانت ساقه ملفوفة وحقيبة الأكل مُعلقة على كتفه. بدا عصبياً. قال وهو يمسك بالحقيبة بقوة «أنا في طريقي إلى مبنى الإذاعة.» ثم استقل إحدى سيارات الشرطة وغادر.

في غرفة الانتظار التابعة لمجلس الشورى، لمح ساكوميزو البارون هيرانوما، رئيس المجلس. انصدم لرؤيته بهذه الحالة إذ بدا وقد شاخ خلال ساعات قليلة منذ رآه آخر مرة.

«اعذرني صاحب السعادة» قال «هل صحتك على مايرام؟» ضحك هيرانوما ثم قال بصوت غير واضح، على غير عادته: «لقد نجوت عندما هاجموا بيتي هذا الصباح لأني هربت إلى البيت المجاور، لكن لم يتسنَ

لي أن آخذ طقم أسناني الذي يبدو انه احترق مع البيت. عليّ الآن أن اشتري بيتا جديداً وطقم أسنان آخر.».

كانت ليلة كارثية للكثيرين. وصل كاتو إلى مبنى الإذاعة بسلام مع أشرطة التسجيل «الأصلية». أما «النسخة» فقد أحضرها كاكي بإحدى السيارات التابعة لوزارة القصر، ووُضعت في قبو البناية لتُستخدم في حالة شيء ما حدث للأشرطة الأصلية.

بسبب النقص في الأعمدة المفرغة، كان البث من إذاعة الطوارئ اليابانية قد تقلص إلى سبعين بالمئة منذ الأول من آب. لكن الآن تمت استعادة البث ليغطي جميع مناطق اليابان كي يتسنَى للناس الاستماع لبيان الامبراطور، وكانت التعليمات قد أُعطيت ليصل البث إلى أقصى مناطق البلد، حتى تلك التي لم يكن يصلها البث في هذا التوقيت من اليوم سابقاً. فقد تم رفع مستوى الطاقة المخصصة لمحطة الإذاعة من عشرة كيلو وات إلى ستين كيلو وات.

تم الإعلان عدة مرات عن ان صوت الإمبراطور سيُسمع في تمام الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم، وأُلغيت كل البرامج الأخرى.

كان الامبراطور مشغولاً جداً هذا الصباح. بالإضافة إلى اطّلاعه على الرسائل والوثائق المعتادة وتلك المتعلقة بوقف الحرب والتي تتطلب اهتمامه المباشر، كان قد دعا الماركيز كيدو ومجموعة من الوزراء ورئيس شؤون القصر لمقابلته. كل ما كان يريده منهم ان يسألهم بشكل مباشر عن شعورهم إزاء قرار وقف الحرب. بدا الألم على وجه الحاجب المناوب من إلحاح الامبراطور بالسؤال لمعرفة حقيقة مشاعر شعبه من الموقف.

نصف ساعة قبل انعقاد مجلس الشورى، بدأ تاكوغادو بتثبيت الراديو النقال في غرفة صغيرة في القبو، تقع تحت غرفة المؤتمرات مباشرة.

تأكد من جودة البث. فكان الصوت واضحاً رغم ان الغرفة بمستوى الأرض. وأعّد كرسياً خاصاً للامبراطور بجانب الراديو حتي يستمع

لصوته مسجلاً قبل البث بإثنى عشر ساعة، معلناً أول هزيمة في تاريخ اليابان.

جلس توكاغاوا منتظراً الدقائق التي كانت تمّر ببطء ثقيل جداً.

في قاعدة كوداما الجوية، كان الميجر جنرال نوناكا قد أصدر أمراً لجميع الضباط بالتجمع لسماع البيان ظهر اليوم. كان يعتقد ان الامبراطور سيحث القوات المسلحة لبذل أقصى الجهود لدحر العدو. وهو الشيء الذي يريده بقوة. فقد شاهد بأم عينه فشل رجاله في الهجوم ليلة أمس، ورأى مدينة كوماغايا تحترق برمتها، فكان مصرّاً على أن يقوم بعمل أفضل المرة القادمة. أن تكون هناك «مرة قادمة»، لم يكن لدى الميجور جنرال نوناكا أدنى شك في ذلك.

الكابتن كوزونو، في قاعدة تسوجي الجوية، لم يكن متأكداً تماماً. فقد ألقى مهمة جمع الرجال لأحد الضباط بينما جلس على سريره بانتظار الساعة الثانية عشرة. حينها سيعرف ما اذا كان سيُجبر على القيام بعمل يتحدى به الامبراطور أو لا - بالحقيقة، فيما اذا كان سيرتكب الخيانة من أجل حفظ سيادة البلد.

كانت ساحات التجمع في كل من كوداما وتسوجي تلتهب تحت الشمس الحارقة ويزيد من حدتها انعكاس الأشعة على مدرجات الطائرات الكونكريتية. بينما كان الميجور جنرال نانوكا والكابتن كوزونو يكثران من استخدام المناديل لمسح العرق المتصبب من جسديهما.

لم يكن لدى الكولونيل اينادومي أي وقت للانتظار. كان جالساً قرب الهاتف في غرفة الموظفين في القطاع الشرقي للجيش، يرّد على الاتصالات. كان الاتصال الأول من قسم شرطة طوكيو للسؤال عن عدد الحرس المعيّن لمقر إقامة رئيس الوزراء. أجاب انادومي «ثلاثين رجلاً وضابط واحد.» ويبدو ان الجواب كان مُرضيا للسائل. بعد ذلك جاء اتصال من ياماشيتا، أحد مستشاري مجلس الوزراء ليؤكد ان اشرطة التسجيل وصلت بأمان. ثم اتصال من مقر الإذاعة بشكوى ان الحرس

الذين تم طلبهم لم يصلوا بعد. فأكد لهم اينادومي بأنهم في الطريق. لكن بعد أن تحرّى الأمر وجد ان الحرس قد أخطأوا العنوان، فأعّد ترتيبات أخرى بديلة بشكل عاجل. بدا أن الكولونيل اينادومي هو أكثر شخص مشغول في طوكيو كلها هذا الصباح.

كان رئيس الوزراء سوزوكي يرتدي معطفه الرسمي الطويل ليتوجه مباشرة إلى اجتماع مجلس الوزراء حيث سيتم تقديم الاستقالة الجماعية وبذلك يكون يوم سوزوكي الطويل قد انتهى.

15 آب

من الساعة 11 – 12 ظهراً

«بث على أقصى درجة من
الأهمية سيبدأ»

• موبوكاتا ويدا

سبعة عشر رجلاً مسناً اصطفوا في الممر الضيق الرطب المؤدي إلى غرفة المؤتمرات في قبو الغوبنكو. أتوا لأنهاء العمل الذي بدأه أربعة وعشرون رجلاً قبل أربعة وعشرين ساعة. تلك الأربعة وعشرون ساعة كانت «فراغاً» بالنسبة لبعض اليابانيين، وعملاً بالنسبة لأخرين، وضجراً للبعض الأخر، بينما كانت مأساة مرعبة قد أوشكت على النهاية لغيرهم.

كل شيء أوشك على النهاية. رعب الحرب، مشاعر الخيانة، ازدواجية الحب والتعصب التي خلقت ظاهرة فريدة من «الوطنية»، كذلك أوشكت على النهاية. اقتربت اليابان، بعد خمسة عشر عاماً من الحرب من تذوق ثمرة السلام ولترى فيما اذا كانت «حلوة» المذاق بما يكفي. فالصبيان والبنات بعمر الخامسة عشر ليس لديهم اية فكرة عن طعم هذه الثمرة. لم يتذوقوها في حياتهم.

أما العقيد إيدا، فحلمه، «حلم ليلة صيف»، قد انتهى بنهابة الليلة الماضية. مع بداية اليوم، كان الميجور هاتاناكا راكباً دراجته النارية،

والليفتنانت كولونيل شيزاكي ممتطيا حصانه يوزعان المنشورات خارج القصر. الأمر الذي أثار استغراب ودهشة الناس، اذ ان المنشورات تقول: «نحن ضباط الجيش الياباني، في هذا اليوم، الخامس عشر من آب عام 1945 نعلن لجميع جنود وضباط الجيش الامبراطوري ولشعب اليابان: أن الهدف من انتفاضتنا هو حماية الامبراطور والحفاظ على سيادة الدولة اليابانية رغم إرادة العدو. ان هدفنا الرئيسي ليس النصر أو الهزيمة، وليس لدينا أية دوافع شخصية. اننا نحيا ونموت من أجل الوطن، ونصلي من أجل ان يتفهم الشعب الياباني وأعضاء القوات المسلحة عملنا هذا ويلتحقوا بنا لمواصلة القتال من أجل الوطن وإقصاء الخونة من حول الامبراطور وبالتالي ارباك مخططات العدو.

كان الضابطان يلقيان المنشورات امام المارة لكن لم يكن احد يتوقف أو يعيرها أي اهتمام.

في الساعة الحادية عشرة، نزل الامبراطور إلى القبو في الغرفة الواقعة تحت غرفة المؤتمرات ومعه الحاجب كويدي. كان الاجتماع التحضيري قد بدأ قبل عشر دقائق، عندما نهض البارون هيرانوما وبدأ يقرأ الرسالة التي بعثها له الامبراطور:

أمرنا حكومتنا بإبلاغ حكومات الولايات المتحدة، بريطانيا العظمى، الصين والاتحاد السوفيتي، ان حكومة اليابان قد قبلت شروط اعلان بوتسدام....

بعد أن أنهى البارون هيرانوما قراءة رسالة الامبراطور، طواها ووضعها على رأسه وقدم انحناءة باتجاه الامبراطور. فعل الأخرون الشيء نفسه ثم جلسوا في مقاعدهم وعاد الصمت المطلق يلف المجلس.

نادى البارون هيرانوما «رئيس الوزراء». فنهض سوزوكي وتنهد بعمق. تعابير وجهه كانت مشوشة وغير مفهومة على الاطلاق. ومع ذلك فليس هناك من يجهل ما كان يفكر به. قريباً سينتهي كل شيء. لقد وصل الأمر مداه.

في مقدمة القصر، بين الجسر المزدوج وبوابة ساكاشيتا لاحت نهاية

الحرب المُحبطة التي خاضها الميجور هاتاناكا. نفس المسدس الذي قتل به الجنرال موري، صوّب فوهته نحو وسط جبهته وأطلق الرصاصة. القصر الذي حاول السيطرة عليه، القصر الذي أطلق العنان لمخيلته للقيام بعمل خارج قدرته، القصر الذي كان رمزاً للقوة ووحدة اليابان. تلك كانت الخلفية الناصعة لآخر عمل يائس يضطر للقيام به.

في نفس الوقت، كان الليفتنانت كولونيل شيزاكي قد اتكأ على سيفه وأطلق رصاصة على رأسه. تحت أشعة شمس آب الحارقة، تناثرت الدماء وأشلاء من الرأس على العشب امام بوابة القصر. الرجال الذين قاوموا السلام بكل ما أُوتوا من قوة، وجدوا السلام أخيراً.

بجانب الكفن الملفوف به جسد الجنرال موري في مقر الحرس الامبراطوري، قام الميجور كوغا بآخر عمل له. في وقت مبكر من هذا الصباح قال الجنرال تاناكا للميجور كوغا «لنمُت بشجاعة. تلك هي القيمة العليا للضابط الياباني.» وعلى الرغم من ان رفاقه الضباط كانوا يتوقعون منه هذا الشيء وحاولوا منعه، الّا ان كوغا غادر الغرفة بسرعة واستجاب لقناعة الجنرال تاناكا، بأن قطع بطنه على شكل صليب. في الوقت الذي وصل به الضباط الآخرون كان كوغا قد فارق الحياة.

كانت الحراسة مشددة على مبنى الإذاعة من الخارج والداخل بواسطة جنود من كتيبة القطاع الشرقي.

في الساعة الحادية عشرة والنصف كانت اشرطة التسجيل قد نُقلت من مكتب رئيس الإذاعة أوساشي إلى الاستوديو كي يتم بثها.

كان كل من أوساشي، كاتو وياماجيشي من الإذاعة، وشيموموروا وسكرتيره كاوموتو من هيئة المعلومات، وكاتو وكاكي من وزارة شؤون القصر بانتظار لحظة البث.

معظمهم كان قد قضى ليلة الأمس دون نوم في غرف الحراسة الرطبة والحارة يترقبون ما سيجلبه لهم الغد. رغم انهم قد بدّلوا ملابسهم لكن حتى الملابس الجديدة عادت لتنقع بالعرق.

كان المذيع وادا جالساً أمام الميكروفون بوجه قلق، وخلف الفاصل الزجاجي كان يجلس المهندسون، أيضاً يملأهم الرعب خشية أن يقع خطأ ما. فجأة تنبه أحدهم إلى انه بالرغم من ان تجربة تشغيل الأشرطة قبل البث الفعلي ستُعتبر بمثابة إهانة «لذات الامبراطور» لكن عدم تجربتها قد يأتي بنتيجة كارثية.

فجأة تم سماع صوت الامبراطور في الاستوديو. كل الرجال الذين كانوا ينتظرون بدوا مرعوبين وكأن واقعة غير طبيعية حلّت بهم، حتى بعد أن علموا ان هذا مجرد اختبار أولي للتسجيلات، فقد بقوا في حالة من عدم الارتياح إلى ان انتهى الاختبار.

عدم الارتياح هذا كان سيتضاعف لو انهم علموا بما كان يدور خارج غرفة الاستوديو العازلة للصوت. فقد وجد الليفتينانت كولونيل شيجيتويو سوزوكي، ان تصرفات احد الضباط بدت غريبة ومثيرة للاشتباه. كان الضابط واقفاً في الممر خارج الاستوديو رقم 8 محلقاً في السقف وكأنه في غيبوبة. سار سوزوكي باتجاهه قائلاً «لا تنم. سيبدأ بث اعلان الامبراطور بعد قليل». مثل مارد انطلق من القمقم سحب الضابط سيفه وصرخ «لن يتم بث الإعلان. سأقتلهم جميعاً!» وأسرع باتجاه الاستوديو. قفز عليه سوزوكي وثبت يديه إلى الخلف وهو يقول له «سأقتلك اذا لم تتوقف.» وسحبه إلى الخارج.

كان الناس في كل انحاء اليابان يراقبون عقارب ساعاتهم تتحرك باتجاه منتصف النهار. مثل شخصيات مزدحمة في فيلم سينمائي تتوقف فجأة، كانوا ينتظرون سماع صوت الامبراطور، فالفيلم قد يُستأنف مرة أخرى. لكنه ما أن يبدأ الامبراطور بالحديث قد يصبح الفيلم مختلفاً حينها. القليل جداً كان يعرف هذه الحقيقة. والكثير قد خمّنها، بينما ظل العديد في حيرة وشك. لكن الأغلبية، بالتأكيد كانت مستعدة لنهاية الموت والدمار، والجوع واليأس الذي عاشه الشعب، وطالما في النهاية سيبقى الامبراطور مُصاناً.

بدا ان الحياة في العاصمة قد توقفت. كان الكل متسمراً بجانب أجهزة الراديو: في وزارة الحرب، قاعدة القطاع الشرقي، في الإذاعة وداخل القصر الامبراطوري نفسه. في الملجأ تحت الأرض كان الامبراطور قد انتقل إلى غرفة انتظار صغيرة قد أُعدّت له ومعه الحاجب.

«بيان على درجة قصوى من الأهمية» قال المذيع وادا «سوف يُبّث عليكم الآن. يُرجى من جميع المستمعين الوقوف.».

وقفت الأمة اليابانية على أقدامها. بدا ان جميع البشر القادرين على الوقوف -باستثناء الامبراطور، قد نهضوا واقفين. كان جالساً على كرسيه متوتراً مما أخاف الحاجب فطأطأ رأسه منحنيا.

«صاحب الجلالة الامبراطور» قال المذيع «سيقرأ إعلاناً امبراطورياً لشعب اليابان. بكل الاحترام، ننقل لكم صوت جلالته.».

تلا ذلك أداء النشيد الوطني الياباني «كيميغايو» وبعد فترة صمت قصيرة، جاء الصوت الذي طال انتظاره، وقوراً متعَباً، لكنه هادئ، صوت الغرنوق:

«بكل إخلاص، وحرصاً منّا على...».

المحتويات

في الساعة الثانية عشرة ظهراً، الخامس من آب ١٩٤٥ ، حدث أمران تاريخيان في نفس الوقت في اليابان: الشعب الياباني سمع صوت امبراطوره لأول مرة، ليخبرهم في الراديو أن بلدهم خسرت حربها الأولى. هذا الكتاب هو سجل تفصيلي للاربع والعشرين ساعة التي سبقت ذلك البث، منذ الاجتماع الامبراطوري حيث اُتخذ قرار الاستسلام إلى خطاب الأمبراطور نفسه.

كان ذلك أطول يوم يعيشه شعب اليابان في تاريخه.

بالنسبة لنا، نحن أعضاء معهد دراسات حرب الباسيفيك، كانت فكرة تجميع وكتابة هذا السجل مهمة للغاية، إذ بدا كما لو أننا نعيش من جديد قسوة تلك الاحداث التي عاناها بلدنا. الخامس عشر من آب سنة ١٩٤٥ ، كان ذروة السنوات المائة الأخيرة في تاريخ اليابان، منذ «إحياء ميجي».

كل مستقبل الشعب الياباني، واليابان نفسها، يتوقفان على ذلك اليوم.

إنني الأكبر سناً بين أعضاء معهد دراسات حرب الباسيفيك، فقد كنت في الصف الثالث الاعدادي يوم تحدث الأمبراطور من الراديو. حينها كنت أعمل في مصنع للعتاد الحربي ينتج خرطوشة للرشاش ٢٠ ملم، وتلك كانت مساهمتي في الحرب. وفي أحد الايام قصفت طائرات بي ٢٩ المصنع وقتل العديد من زملائي في العمل. يومها كانت جبهة القتال قد انتقلت إلى الداخل، مع ذلك كنت لا أزال آمل بانتصار اليابان، لذلك كان شعوري في منتصف ذلك اليوم خليطاً من المرارة والغضب، مع احساس بعبثية الأمل، إذ أُخبرنا أننا مع احتلال اليابان سوف نُجبر على عيش حياة العبيد.

في ذلك اليوم دخنتُ أول سيجارة، الأمر الذي كان ممنوعاً في المدارس، مع الاصرار على القيام بأي شيء آخر، فقد كنت ما أزال شاباً، وبدا أن القليل من الوقت قد تُرك لي لأعيشه، ولم تكن هناك متعة في أي شيء أفعله. بالنسبة لنا، نحن الذين عانينا الحرب، سواء على الجبهة أو في الداخل، كنا بشكل أو بآخر عرضة لرعب الحرب. كانت الحرب مثل قدر لا يمكن تجنبه. كان علينا تحمّل قسوة المشاهد اليومية لوحشية الإنسان ضد الإنسان.

على الرغم من أن الخامس عشر من آب وضع نهاية لبعض تلك الوحشية، فالحقيقة أن الهزيمة، بالنسبة للشعب الياباني، كانت تجربة كارثية من الصعب جداً قياس آثارها. وحتى اليوم لا تزال اليابان ضالّة طريقها لتهدئة أرواح قتلى الحرب، وإلى أن تفعل، لا تستطيع القول إن كانت قد نسيتْ الماضي، أم أنها تعيش برمتها في الحاضر.

ما الذي قاد مئات الآلاف إلى الموت؟ بعض الاجابات قد توجد في أفكار وذكريات اللاعبين الرئيسيين في دراما الأربع وعشرين ساعة تلك! وكان ذلك أحد أسباب وضع هذا الكتاب.

أن تموت من أجل وطنك، كان على الدوام واجباً دينياً في اليابان.

ربما تكون عشرون عاماً ليست طويلة بما يكفي على أمّة، لتطرح عنها ذلك الاعتقاد القديم، لكن يجب عليها أن تفعل هذا، إذا أراد الشعب الياباني أن يعيش في عالم اليوم وليس الأمس. وربما هذا سببٌ آخر لوضع هذا الكتاب.


ISBN 978-9933-6350-7-7
9 789933 635077